وزارة التـــــعليم العالي والبـــحث العلـــــمي
جامـــــعة حسيبة بن بوعلي بالشلف
كلـــــية الآداب والعلوم الإنسانية
قسم اللغة العربية وآدابها

صورة الأجنبي في الخطاب السردي
عند الطاهر وطار

مذكرة معدة لنيل شهادة الماجستير
مشروع الدارسات الأدبية المقارنة في الأدب الجزائري الحديث

إعداد الطالبة:
مليكة عجـــاج

تحت إشراف:
د/ عبد القادر توزان

السنة الدراسية: 2012-2013

وزارة التـــــعليم العالي والبـــحث العلـــــمي
جامـــــعة حسيبة بن بوعلي بالشلف
كلـــــية الآداب والعلوم الإنسانية
قسم اللغة العربية وآدابها

صورة الأجنبي في الخطاب السردي عند الطاهر وطار

مذكرة معدة لنيل شهادة الماجستير
مشروع الدارسات الأدبية المقارنة في الأدب الجزائري الحديث

الإسم	الرتبة	الجامعة	الصفة
علي ملاحي	أ-د	الجزائر	رئيسا
محمد زيوش	د	الشلف	عضوا مناقشا
عبد الله شطاح	د	خميس مليانة	عضوا مناقشا
أحمد عزوز	د	وهران	عضوا مناقشا
عبد القادر توزان	د	الشلف	مشرفا ومقررا

إعداد الطالبة:
مليكة عجـاج

تحت إشراف:
د/ عبد القادر توزان

السنة الدراسية: 2012-2013

شـــــــكر وتـــــــــــــــقدير

أتقدم بخالص شكري وتقديري إلى أستاذي المشرف الدكتور عبد القادر توزان على ما حـــباني به من توجـــيه وتصويب، كما أبسط جزيل اعترافي وامتـــناني للسيـــد:قلواز موسى، وكذا الآنسة حمداش فاطمة الزهراء، وكل من ساعدني في إعداد هذا البحث.

الإهـــــــــــــــــداء

إلى من ركع العــطاء تحت قدميها ، إلى الّتي لا يــبّصر الأمــل إلاّ من عينيها: أمي الحبيبة حورية.

إلى من كلّله الله بالهيــبة والوقار، إلى من أحــمل اسمــه بكل افتخار: أبي محمّد.

إلى الّذين شاركوني حنان والديا، وكانوا لي ذخرا ، وعزّوة وثبتوا قدميا: إخوتي، وأخواتي.

إلى بســـــمة حياتي، رفــيق دربي، وســندي لتحــقيق أمــنياتي زوجي:محمّد مبدوعة .

إلى قرة عيني وفلذة كبدي ابنتي: شهد منار

إلى زميلاتي، وزملائي الّذين تســكن صورهم وأصواتهم أجمل اللحظات، إلى كل من ســاعدني من قريــب أو بعيد، لهم مــني أخلص التشكرات.

عجاج مليكة

المقـــــدّمـــــة

مـــــقدّمـــــــــــــــة

في عصر الانفتاح أللا محدود، أصبح الآخر الأجنبي يحضر إلينا ويسكن فينا، كلما حاولنا أن نحدّد معالم لهويتنا القومية، نجده حاضرا أداة وحكما، وكأن تقييمنا لذواتنا لا يمكن أن يتم بمعــزل عن الآخر الأجنبي.

هذا الأخير الّذي ما ينفك يرسل لنا صوره عنا،فمرة يسمنا بالبداوة، والتّخلف، وهو صاحب الرسالة التنــويرية الّذي يحمل بيده اليمنى الحضارة، وبيده اليــسرى الّتي خلف ظهره الرغــبة في طمس هذه الهوية الّتي أرقته لقرون عديدة، ما إن يظن أنّها خــمدت حتى ينبعث من رمادها دخان يوذن بالحياة، ومرة يسمنا بالإرهاب المهدد للسلام العالمي وهم الرادعون لنا في كل زمان ومكان، وفي مواقــف أخرى نلفاه يــضع يده البيــضاء بأيدينا السمراء معتذرا عن سوء فهــمنا بسبب أخطاء الأجداد، وهكذا تبــاينت صوره عنا بتــباين مواقفــه منا، بحيث يستدعي الوعي بصورتنا القــائمة في مخــيلته، صورة مقابلة له في مخيلتنا.

يتناول بحثي لدراسة الخطاب السردي عند الطاهر وطار في نطــاق دراسة أدبية مقارنة، على خطى المــدرسة الفرنسية الّتي تقتــضي الاختــلاف اللغوي شرطا أساسيا لإجــراء المــقارنة، وفي أحد فــروع الأدب الــمقارن فيــما يعرف بدراسة الــصورة الأدبية المقارنة.

وفي حقيقة الأمر كان نظري منصب في البدء على تتبع صورة الأجنبي في الرحلة الجزائرية، وبالتّحديد عند الأديب الشهيد أحمد رضا حوحو، ولما تعذّر عليا إيجاد رحلاته، وأثرت التّمسك بموضوع الصورة الأدبية المقارنة، كان لزاما عليا أن أبحث عن مدونة بديلة، وفي غمرة البحث لفت انتباهي إلى مدونات الطاهر وطار إحدى البحوث الصّفية المقرر انجازها في السنة النظرية، فاكتملت بذلك فكرة هذا البحث ليكون العنوان" صورة الأجنبي في الخطاب السردي عند الطاهر وطار".وأقصد بالأجنبي الغرب الرأس مالي والاشتراكي(سابقا) .

سبق هذا البحث عدّة دراسات تطرقت لموضوع الصورة الأدبية المقارنة أذكر منها على سبيل المثال لا الحصر: (صورة الفرنسي في الرواية المغربية) لعبد المجيد حنون، و(صورة المرأة اليهودية في الرواية الفلسطينية) لحسين أبو النجا، ودراسة (الغرب في الرواية العربية) لجمال مباركي، أما فيما يتعلق بدراسة الخطاب السردي عند الطاهر وطار في إطار هذه الدراسة فإنني لم أعثر على دراسة تناولته كمدونة منفصلة قائمة في حد ذاتها، وإنّما عثرت على دراستين تناولتا رواية اللاز إلى جانب مدونات أخرى، قام بإحداها عبد المجيد حنون في كتابه السابق الذكر، وقام بالأخرى أحمد شريبط في دراسته الموسومة (بمقالات في الأدب الجزائري الحديث). مما يتيح لبحثي هذا ربما أسبقية الظفر بالتطرق إلى هذا الموضوع.

جاء اختياري لموضوع الصورة الأدبية دون فروع الأدب المقارن الأخرى تلبية لعدة مبررات موضوعية، وذاتية أولها يكمن في الحضور القار الّذي أصبح يتمتع

به الأجنبي في المتون الأدبيـــة العربية، والجزائرية على حد سواء، فرضته ضرورات ملحة اختلفت تبعاتها من أديب إلى آخر، أما السبب الثـــاني فإنّه ينطـــلق من نعرة ذاتية لمحاولة موضعة الأجنبي الّذي تضمنته المتون الأدبـــية الجزائرية على خارطة الحضور الأجـــنبي العربي بعد معرفة ملابسات حضوره، واستخلاص سماته العامّة.

تسعى هذه الدراسة إلى الكشف عن رؤية الطاهر وطار للأجنبي بكل أبعاده الثقافية والاجتماعية من خلال الإجابة عن الأسئلة التّالية: من أين استقى الطاهر وطار معلوماته عن الأجنبي ؟. كيف تشـــكلت صورته فنيـــا في خطابه السردي ؟.ما طبيعة الشخصيات الأجـــنبية الّتي وظـــفها الطاهر وطار في أعمـــاله الأدبية؟ ما هي معالم نـــظرته للذكر الأجنبي والأنثى الأجنبية؟ هل كانت هذه الصورة متجددة أم أنّها صورة مكرورة تمتاح من مخيال ثابت؟ هل صاحب هذه الشخصيات ذكر لعوالمها الحقيقية المحيطة بها، أم أنّها وردت مبتورة منها ؟ ما مدى صدق هذه الصـــورة وهل يمكن اعـــتبراها وثيـــقة إناسية عن هذا الأجنبي؟ هذه الأسئلة وغيرها أسعى للإجـــابة عنها في بحثي هذا، الّذي ارتأيت أن أقسمه إلى مقدمة وأربع فصول وخاتمة.

خصصت الفصل الأول للجانب النظري في أربع مباحث، تطرقت في المبحث الأول إلى مفهوم الصورة الأدبـــية المقارنة، بتقـــديم لمحة عن هذه الدراسة، وكذا مكـــوناتها وطريقة الدراسة بها. وتناولت في المبحث الثاني واقع دراستها بالجـــزائر بالاســـتناد على مجموعة من الدارسات الأدبية النقدية الجزائرية، والدارسات الأكـــاديمية. وتتبعت في المبـــحث الثالث الحضور الأجنبي في القصّـــة والرواية الجزائرية بحيـــث عرجت

أولا على مراحل تمثل الغرب في الرواية العـربية، وكذا سبل هذا التمـثل وتوجهاته بعدها قدمت نماذج عن شخصيات أجنبـية ضمتها أعمال قصـصية وروائيـة جزائرية بحيث اعتمدت في انتقاءها على اختـلاف هذه الصورة، ثم رتبتها على أساس أسـبقية صدور المتن(تاريخ النشر) .

وقد كان هدفي من إيراد هذا العنصر هو الإبانة على مدى توفر الأدب الجزائري على شخصيات أجنبية شأنه شأن الآداب الأخرى، هذا من جهة ومن جهة أخرى توفير جهد البحث عن مدونات لذوي الاهتمام بدارسة الصورة الأدبية من الطلبة الباحثين. أما المبحث الرابع من هذا الفصل فقد خصّصته لمرجعيات الكتابة عند الطاهر وطار، وفيه حاولت استخلاص المؤثرات الّتي بدت لي أن لها يد في بناء صـورة الأجنبي لدى هذا الأخير، ممثلة في المعايشة، والسماع، والمشاهدة ،والقراءة ،والترجمة.

أما الفصل الثاني المعنون بصورة الشخـصيات الأجـنبية الذكورية فقد ضمّ ثلاثة مباحث، تعلّق المبحث الأول بالشخصيات العسكرية الّتي رتبتها تبعا لسبق الظهور وكذا تبعا لقوة سلطتها العسكرية، وأتبعتها بعد ذلك بالشخصيات المماثلة لها، حتى يتـسنى لي تتبع صيرورتها، والقبض على ملمح التّغير فيها إن وجد .أما المبحث الثاني فقد ضمّ الشخصيات السياسية، وينبغي أن أشير هـنا أني قفزت عمدا عن انتماء بعض شخصيات هذا المبـحث إلى الجانب العسكري, وارتأيت أن أصنفها حسب صفة الحاكم أو الرئيس الّتي ألصقت بها. أما المبـحث الثالث فقد ضمّ الشـخصيات المـدنية، وعنَـيْت بها كل

شخصية خارجة عن الإطار العسكري حتّى ولو كان وجودها مصاحبا للاستعمار ونتيجة حتمية من نتائجه.

حوى الفصل الثالث الّذي تمت عنونته بصورة الشخصيات الأجنبية الأنثوية ثلاث مباحث أيضا، مقسمة تبعا لأماكن اللقاء الّذي تراوح بين اللقاء داخل الوطن، واللقاء خارج الوطن.أما عن الشخصيات الّتي لها مقابل في الواقع، أو التي لم يتحدد مكان اجتماعها مع شخصيات الأنا فقد موضعتها تحت عنصر (خارج اللقاءين). ورتبت هذه الشخصيات وفقا للشخصية الأسبق ظهورا، وأتبعتها بعد ذلك بالشخصيات المماثلة لها مرتبة ترتيبا كرونولوجيا حسب أسبقية النّص السردي الّذي وردت فيه.

ضمّ الفصل الأخير من هذا البحث، الموسوم بـ الأجنبي من خلال المعجم والفضاء المكاني والزماني وتعابيره الثقافية أربعة مباحث، تتبعت في المبحث الأول الأجنبي من خلال المفردات الّتي صاحبت ظهوره، سواء أتعلق الأمر بكلمات صيغت بلغة الأنا أو كلمات مستوحاة من لغة هذا الأجنبي، أما المبحث الثاني فقد تعلّق بالفضاء المكاني الّذي أطّر هذا الحضور وتناولته في شقين اثنين، أماكن أجنبية كائنة على أرض الوطن وأماكن أجنبية كائنة خارج أرض الوطن، وفي المبحث الثالث تتبعت الحضور الأجنبي من خلال الزمن، وتلمست فيه علاقة الأجنبي بالماضي والحاضر والمستقبل، وآخر مبحث من هذا الفصل تطرقت فيه إلى التّعابير الثقافية لهذا الأجنبي بالتطرق إلى دياناته وعاداته، وتناصه الأسطوري، والأدبي، والفلسفي، والإيديولوجي الكائن في الخطاب السردي عند الطاهر وطار، بحيث مهدت للمباحث الثلاثة الأولي من هذا الفصل بتمهيد

عن صلة العنصر المدروس بصورة الأجنبي. وفي الأخير تمّ ظفر أهم النتائج المتوصل إليها.

إنّ أهمّ ما كان حجرة عثرة في إعدادي لهذا البحث، هو تعذر إيجادي لدراسة تتقصى حضور هذا الأجنبي بمختلف مكوناته، حتى أستطيع بذلك السير على هديها وأتفادى مغبة الشتات والضياع في تأويلات ربما تخرجني عن نهج الدراسة الأدبية المقارنة، ناهيك عن صعوبة الحصول على بعض المصادر والمراجع، من بينها مسرحية الطاهر وطار:(على الضفة الأخرى).كما اضطرني الخطأ المطبعي الموجود بإحدى المجموعات الروائية(حذف بعض الصفحات من رواية تجربة في العشق) إلى الاعتماد على مرجع آخر.

استعنت في هذا البحث بعدة مناهج في دراسة هذا الموضوع ، بدءا بالمنهج التاريخي الذي استحضرت من خلاله السياقات التاريخية بالتطرق لحياة الطاهر وطار وكذا بعض الأحداث التاريخية، والمنهج الوصفي الاستقرائي الّذي يعتمد على تحليل المادة الروائية واستحضار دلالتها، لاستقراء بنية الفضاء الروائي والقصصي مكانيا وزمنيا، كما استخدمت المنهج السيميائي لفك رموز النصّ واستنطاق إشارته عن طريق الفهم التأويلي، ودراسة الصورة باعتبارها علامة على الأجنبي، دون أن أغفل المنهج النفسي في تأويلي لبعض سلوكات وأفعال الشخصيات الأجنبية الواردة في هذا الخطاب، وكذا الإحصاء في جرد عدد الشخصيات الأجنبية الذكورية والأنثوية .

لا يفوتني في الأخير ،إلا أن أقدم شكري وامتناني لأستاذي الفاضل: الدكتور عبد القادر توزان الّذي أشرف على هذا البحث منذ أن كان فكرة مجردة، حتى انتهى إلى صورته هذه، ولم يدخر جهدا في تقديم المساعدة ، كما أقدم شكري للأستاذ الفاضل: الدكتور على ملاحي، والدكتور عمور، والدكتور شطاح ، والدكتور عزوز على رحابة صدرهم، كما لا يفوتني أن اشكر لجنة المناقشة الّتي تجشمت عناء قراءة هذه رسالة وتقويمها إلى ما هو أفضل.

الفـــــــــــــــــصل الأول:

دراسة الصورة الأدبية المقارنة ومرجعيات الكتابة عند الطاهر وطار

المبحث الأول: الصورة الأدبية المقارنة

المبحث الثاني: واقع دراسة الصورة الأدبية المقارنة بالجزائر

المبحث الثالث: الحضور الأجنبي في الخطاب القصصي والروائي الجزائري

المبحث الرابع: مرجعيات الكتابة عند الطاهر وطار

الفصل الأول: دراسة الصورة الأدبية المقارنة ومرجعيات الكتابة عند الطاهر وطار.

المبحث الأول:الصورة الأدبية المقارنة:

1-ماهيتها:

تندرج دراسة الصورة الأدبية المقارنة، أو ما يطلق عليها الصورائية أو الصورولوجيا(IMAGOLOGIE) ضمن نطاق الأدب المقارن،ويرجع الاهتمام بهذا الفرع من الدراسة الأدبية إلى النّصف الثّاني من القرن التاسع عشر من قبل الدارسين المقارنين الفرنسيين، الّذين ينسب لهم السّبق في ولوج هذا الحقل، بداية بدراسة جان ماري كاريه(Jean Marie Car)، وماريوس فرنسوا غويار(.M.F Guyard) ومدام دوستال (M. Dustal)، وميشال كادو (Miechal| Cadeau) وغيرهم، لينتقل الاهتمام بدراسة هذا الفرع بعد ذلك إلى المدارس المقارنية الأخرى.*

تهتم الصورائية –حسب هنري باجو– بدراسة " كلّ صورة تنبثق عن إحساس مهما كان ضئيلا(بالأنا) بالمقارنة مع الآخر، (وبهنا) بالمقارنة مع مكان آخر"[1]،بحيث تقوم هذه الصورة على أساس ثنائيتين، تمثل إحداهما الأنا فيما تمثل الأخرى الآخر(الأجنبي)، بحيث تتراوح بين العرض الفردي أو الجماعي الذي " تدخل فيه عناصر عقلية وعاطفية وموضوعية وذاتية في الوقت نفسه"[2]، وبطبيعة الحال يتّصل العقلي بالموضوعي والعاطفي بالذاتي، وتتفاوت نسبة حضورهما من صورة إلى أخرى.

(*)- نذكر على سبيل المثال المدرسة الأمريكية ،المدرسة السلافية ،المدرسة الألمانية ، المدرسة الإيطالية.

([1])- دانييل هنري باجو : الأدب العام المقارن، ت غسان السيد، (د، ط) ،اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ،1997، ص91.

([2])- بير برونيل، كلود بيشو، أندري ميشال روسو : ما الأدب المقارن ، ت غسان السيد، (د، ط)، منشورات دار علاء الدين، (د، ت) ،ص71.

وبناء على ذلك، فإن منازعة العنصر الذّاتي للعنصر الموضوعي في بناء الصـــورة الأدبية يجعل من هذه الأخيرة " قلما تكـــون صـــادقة أمـــينة في تعـــبيرها عن طـــبيعة البـــلد ونفـــــسية ساكنـــيه،بـــل كثيرا ما تخـــتلط الحقائق فيـــها بمـــزاعم لا أصل لها أو بتأويلات مبالغ فيها، فتخرج بذلك عن حدود الواقع..."[1]، وتركن إلى الخـــيال الّذي تحرّكه المشاعر والأحاسيس في رسم الأخر الأجنبي .

فالصورة الأدبيـــة –انطلاقا من هذا المنظور– "هي إعـــادة تقديم واقـــع ثقـــافي يكشف من خـــلاله الـــفرد والجماعة الّذين شـــكّلوه (أو الّذين يتقاسمونه، أو الّذين ينشرونه) ويترجمون الفضاء الاجتماعي، والثقافي، والأيديولوجي، والخيالي الّذي يريدون أنّ يتموضعوا ضمنه"[2]، والّذي ربما لا يحتلونه حقيقة، فتغدو الصورة الأدبـــية على هذا النّـــحو تطلّع للممكن أكثر ممّا هي نقل لحيثيات الـــصورة الكامـــنة في الواقع.

تنبع الصورة الّتي يرسمها الأديب لبلد أجنبي ما – كما ذهبـــت إليه ماجدة حمود – " أولا وقـــبل كلّ شيء آخر من مشكلات الأديب نفسه، ومشكلات قومه في مواجهة الآخر، لذلك تلبي الصورة الأدبية في الدرجة الأولى حاجات نفسية، أو فنية، أو اجتماعية للشعب الأجنبي، دون أن تلبي حاجات المـــجتمع المدروس في أغلب الأحيان"[3].وقد لا تتطابق مشكلات الأديب مع مشكلات قومه تطابقا حرفيا مما يساهم في بناء صور مخـــتلفة، ومتـــباينة عن الأجنبي الواحد.

يغلب على بناء الصورة الأدبية الأنماط المـــتوارثة ذلك أن النّمط " حامل لتعريف

([1])- محمد غنيمي هلال : الأدب المقارن، ط1، دار العودة، بيروت، 1983، ص422.
([2])- دانييل هنري باجو : الأدب العام المقارن ، مرجع سابق، ص91.
([3])- ماجدة حمود : مقاربات تطبيقية في الأدب المقارن، (د، ط) ، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، 1997 ، ص111.

(الآخر)، وهو البيـــان عن معـــرفة جماعية دنيـــا تـــريد أن تكون مشـــروعة في أي لحظة تاريخية مهما كانت"[1]. وكأنّها لازمة ثابـــتة صـــالحة لكل زمـــان ومكان. وكمثال على ذلك ما تستدعيه كلمة عربي من مفاهيم في المخـــيّلة الغربية: مسلم، إرهابي، بدوي متخلف، همـــجي، شـــهواني، حيـــواني، غبـــي، فوضوي.. إلى غير ذلك. وتلجأ الذات إلى تنـــميط الآخـــر-على حد قول فاطمة المزروعي- لـــ" تميـــزّ نفســـها عنه فتؤسس من نحن/ الذات، ومن هم/ الآخر، وقد تنسب إلى نفسها الصّـــفات الإيـــجابية كنـــوع من حماية الذات والحفاظ على نقائها المزعوم"[2]على منحى يكاد يكون ثابـــت في انتقاء الصّفات الّتي تخدم الصّورة المراد رسمها للذات وللآخر.

يفتقر النمط إلى الموضوعية كونه يعتمد في بنائه على التّعميم، ويقفز على الفوارق الفـــردية الموجودة بين أفراد الشـــعب الواحد، في نـــسبة هذه الصـــّفة أو تلك، ناهيك عن تحيزه في تبني الصّفات السلبيـــة على حساب الصّفات الإيجابية في رسم تمثيلات الآخر.

2- مواطنها:

تتخذ الصورة من الآداب الإنسانية قاطبة موطنا لها، كالفن، والرسم، والتّاريخ..الخ غير أنّ الأجناس الأدبية تمثل أخصب مورد لهذه الأخيرة كالرحلة، والرواية، والقصّة والمسرحية وغير ذلك، باعتبار أنّ الأدب" من بين جميع مظاهر النّشاط الإنساني أوضح وأفضل مظهر في التّعبير عن الصّفات، والطباع الخاصّة بشعب من الشعوب"[3]. فهو

(1)- دانييل هنري باجو : الأدب العام المقارن ، مرجع سابق، ص95.
(2)- فاطمة المز روعي : تمثيلات الآخر في أدب قبل الإسلام، ط1، أبو ظبي للثقافة والتراث ، المجمع الثقافي، 2007، ص50.
(3)- فان تغيم: الأدب المقارن : تعريب سامي ألدروبي ،(د، ط)، منشورات المكتبة العصرية ، صيدا، بيروت (د، ت) ، ص169.

بمثابة المرآة العاكسة لخلجات النفس، وما تطفح به من مشاعر الحبّ، والكره، والرضا والسخط.

تتعذى هذه الدراسة– كما ذهب إليه ماريوس فرنسوا غويار–"من وقائع أدبية منظمة في سردها دقة وحذر"[1] في رسم تلك الصورة. وذلك ربما تبعا للمنظور إليه، وطبيعة علاقته بالناظر، وعلى هذا الأساس يحرص الأديب أشد الحرص في انتقاء الأوصاف المناسبة ذات المنحى الايجابي إذا ما تعلّق الأمر ببلد صديق، أو ببلد تربطه به، أو ببلاده مصالح(تشويه إيجابي)، أما إذا كان البلد المنظور إليه مصنف في خانة العدو له أو لبلاده فإنه يختار له من الأوصّاف ما يليق بهذا التّصنيف (تشويه سلبي).

3- اتجاهاتها ومنهجية الدراسة بها :

نميّز في دراسة الصورة الأدبية المقارنة اتجاهين مهمين:

أ- صورة بلد كما يصوره أدب آخر:

كأنّ نـــدرس مثلا صـــورة الجـــزائر في الأدب الفرنسي، أو صـــورة الفرنـــسي في الأدب الجزائري، وعلى الدارس في هذا الاتجاه" أن يشرح إلى أي حدّ كانت الصورة الّتي رسموها صادقة، وأن يدرس كذلك المؤلفين الّذين كتبوا عن ذلك البلد دون أن يروه وكيف يصـــور هؤلاء وأولئك مخـــتلف الأماكن لذلك البلد "[2]، وهل كان وصـــفهم عامّا أو جزئي، وما تخلل هذا الوصف من تجاوزات في إضافة أوصاف أو حذف أخرى.

(1)- ماريوس فرانسوا غويار : الأدب المقارن، ت هنري زغيب ، ط2، منشورات عويدات بيروت ، باريس ، 1988، ص 133.
(2)- محمد غنيمي هلال : الأدب المقارن ، مرجع سابق ، ص101.

ب – صورة بلد كما يصوره مؤلف من أمة أخرى:

وهو نفس مجرى بحثنا، أي أن ندرس مثلا صورة الأجنبي في الخطاب السردي عند الطاهر وطار، أو أن ندرس صورة الجزائر في أدب ألــبير كامو، وعلى الباحث في هذا الاتجاه أن "يدرس حياة الكاتب ومدى صلته بالبلد المقصود، ثم يبين كيف استقى معلوماته، أو كيف رأى البلد رأي العين، وإلى أي حدّ كانت الصورة الّتي رسمها لذلك البــلد صــادقة وكامــلة"[1]، وذلك بعد تفكيك هذه الصورة إلى عناصرها المركبــة لهــا (شخصيات زمان، مكان، عادات....) وربــطها بالعــوامل الّتــي أدت إلى ظــهورها على هذا الشكل.

المبحث الثاني: واقع دراسة الصورة الأدبية المقارنة بالجزائر:

يعود الاهــتمام بالأدب المقارن في الجزائر– على حد قول بومــدين الجــــيلالي– إلى تلك الدراسات الّتي قام بها الدكتور محمد بن شنب، بحيث كانت اللّغة الفرنسية "هي اللّغة المسيطرة على أقلام المقارنين الجزائريين وكان الاشتغال على التّأثير والتأثر وفق ما جاءت به المدرسة التّاريخية الكلاسيكية الفرنسية..."[2].

في حين يُرجِع الاهتمام بدراسة الصورة الأدبية المقارنة إلى الدكتور أبو العيد دودو الّذي يــنسب له فضل تعريب هذا الاختصاص، بعدما رأى أنّه "من واجب كلّ من يتقن لغة أجنبية أن يشارك في إعادة كتــابة تاريخ بلاده بغض النظر عن ميدان تخصصه ... عن طريق عرض النصوص المكتوبة بهذه اللّغة، أو تلك وتقديمها للمؤرخ المتخصص

(1)- محمد غنيمي هلال : الأدب المقارن، مرجع سابق، ص101.
(2)- بومدين الجيلالي : اهتمامات الأدب المقارن في الجزائر ، مجلة التبيين، عدد 29 ،2008، ص17.

لتقويمها، وربطها بقراءتها التّــاريخية ثم مقارنتها بغيرها من النصــوص لمعرفة مدى صحتها، وموافقتها للوقائع التاريــخية"[1]. وهذا ما ترجمه فعليا في مؤلفــيه: (الجــزائر في مؤلفات الرحالين الألمان)، و(دراسات أدبية مقارنة).

1- في الدارسات النقدية الأدبية:

أ - العناوين الفرعية:

ورد في كتاب سعاد محمد خضر(الأدب الجزائري المعاصر)، عنوان فرعي يمتّ بصلة إلى دراسة الصورة الأدبية المقارنة، وسمته الدكتورة بــ(الجزائر في الأدب الفرنسي). تحدّثت ضمنه حول علاقة الجزائر بفرنسا قبل الاحتلال والّتي كانت" حسنة أحيانا، وسيئة أحيانا أخرى فرضتها الظروف التّاريخية المعينة الّتي تعيشها كلتا الدولتــين. وكانت الجــزائر موضوعا مطروقا تعرّض له الكــثير من المــؤرخين ومن الكتاب. سواء كانوا من الدرجــة الأولى، أو من الدرجــة الثانية.."[2]. مما يعني أنّ صورة الجزائر في الأدب الفــرنسي لم تــكن فــقط وليدة الاحــتكاك المبــاشر النــّاتج عن الاحتلال الفرنسي للجزائر سنة ألف وثمان مائة وثلاثين (1830)، وإنّما سبقت هذه الفترة بكثير.

ولقد دلّلت الدكتورة على ذلك بإيرادها لبعض الصور الّتي تضمنتها كتابات بعض رجال الدين، والكتاب، والشعراء، والجنود الفرنسيين أمثال القس دانla par dan " وهو أحد القسس الأسبان كانت الكنيسة قد أرسلته لشراء الأسرى الّذين وقعوا في أيدي

([1])- أبو العيد دودو : الجزائر في مؤلفات الرحا لين الألمان 1830-1855،(د، ط) ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989 ، ص6.

([2])- سعاد محمد خضر:الأدب الجزائري المعاصر، (د، ط)، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 1967، ص92.

قراصنة العرب، وكان ذلك في سنة 1634"[1]. وقد عرض هذا الأخير في كتابه" صورا طريفة لنشاطات القراصنة ولجمال الجزائر وجمال طبيعتها"[2]. بحيث أصبح الجزائري بمفهوم هذا القس مرادفا للقرصـــان.

ومن بين هذه الكتب أيضا، نجد كتاب آخر لإمانويل أراندا، وقصة شهيرة للشاعر رينار، وهي أعمال اتسمت في أغلبها-حسب سعاد محمد خضر-" بالعنصرية وبالتعصّب القومي والدّيني كما أنّها تعتبر امتداد لإيديولوجية الحروب الصليبية فالأبطال* دائما قرصان مسلم، والأسير مسيحي في أغلب الأحيان رجل نبيل يسومه ذلك القرصان شتى ألوان العذاب"[3].ويبدو لنا المسيحي من منطلق هذه الصورة ضحية يستباح جسدها بالتّعذيب، أما المـــسلم فهو جلاد قـــاس لا يعرف قلبه الرّحـــمة ولا الشفقة، بالإضـــافة إلى كونه قاطع طريق.

لم تنفصل صورة الشخصيات الفرنسية، والجزائرية الّتي ظهرت في كتاب لشاتوبريان (Chateaubriand) لم تحدّد الدكتور عنوانه، وآخر لفيني (Vigny) عنـــوانه: (حكـــايات سياسية وتاريخية للمـــساعدة في وضع تـــاريخ حمـــلة الجزائر) عن النّزعة العنصرية الّتي انطلقت منها الأعمال السابق ذكرها فـــ" الأبطال والشخصيات الّتي تتحدّث عنها هذه الكتابات تمثل الرجل الباريسي رائد الصالونات وصاحب الاستخبارات الرائـــعة وربّ الأسرة البورجوازي بتـــقاليده المحافظة أو الضابط الـــذّي

([1])- سعاد محمد خضر:الأدب الجزائري المعاصر، مرجع سابق، ص93.
([2])- المرجع نفسه، ص 93.
(*)- هكذا وردت في كتاب سعاد محمد خضر ونقلتها كما هي للأمانة العلمية ومن المفروض أن يوضع البطل بدل الأبطال.
([3])- المرجع نفسه ، ص94.

يقاسم جنوده حياة الحرب الشاقة .. "[1].

نزع الأدباء الفرنسيون عن الشخصية الفرنسية رداء الضحية السجـينة وألبـسوها ثوب الشخصية المثقفة الضـليعة بأمور رعاية مصالح الجزائريين، أو رداء الضابـط المتفاني في حماية كتيبته. وعلى الرّغم من تـغيّر نـمط هذه الصورة إلا أنها حافظت على نفس منحاها الايجابي في مقابل سلبية الطرف الآخر الممثل في الجزائريين.

بالإضافة إلى ما سبق، تباينت صـورة الجزائر لدى بعض الكتاب الفرنسيين الّذين ينتمون إلى حقب زمنية متفاوتة، وهو ما أشارت إليه الدكتورة عند حـديثها عن أعمال: هغو،ألفونس دوديه، فرومانتان ،مالتسان، لويس برتراند، وكذا رواد مدرسة الجـزائر: إمانويل روبسن، ألبير كامـو ، بول روا، أدمـون بروا. بحيث لا نلمس فرقا بينها وبين الصور المقدّمة سابقا، إلا فيما تعلّق برواد مدرسة الجزائر الّذين بدت صورة العربي عندهم أقل حـدّة، ومزدوجة أحـيانا أخرى. مثلما هو الحال عند الأديـب ألبـير كامو في روايته (الغريب) أين عانت الشخصيات العربية الموظفة بهـا، نوعا من التشويه لا يتواءم وموقف هذا الأخير من القضية الجزائرية، الّذي كانت تتضح به مقالاته المنشورة على صفحات الجرائد والمجلات.

تناول أبو القاسم سعد الله في كتابه (تاريخ الجزائر الثقافي) في جزأين (صورة الجزائر عند الكتاب الفرنسيين)، وكذا (صورة الجزائر والشرق عند الفنانين الفرنسيين).

وقد تطرق تحت العنوان الأول إلى أعمال بعض الأدباء الفرنسيين الّذين زاروا الجزائر أمثال: دي لاكرو، وغوته، وألفونس دوديه، والأخوان غويكر، وألكسندر دوماس

([1])- سعاد محمد خضر: الأدب الجزائري المعاصر، مرجع سابق، ص 96.

وكلهم" كانوا في البداية معجبين بالإنسان البدوي (المتوحش)، والبربري (الخشن)، لأنّهما في نظرهم قابلان للحضارة ، وهما النموذجان اللّذان يبحث عنهما علماء السلالات وأدباء الرومانتيكية، ثمّ تحوّل ذلك الإعجاب، وأصبح النظر إليهما على أنّهما نموذجين أهليان (أندجين)غير قابلين للتمدن وعدوين للفرنسيين بحكم التّعصب الديني"[1]، وبالتّالي ليس لهم الحق في سيادة أنفسهم، بل يحتاجون دوما إلى وصيّ يرعى حياتهم ويدير شؤونها.

يفتتح سعد الله حديثه تحت إطار العنوان الثاني عن الاهتمام الغربي بالجزائر والشرق بشكل عام، والّذي يرجعه إلى "ما قبل سنة 1830 بعقود ولكن الحملة الفرنسية هي الّتي فتحت لهم أبواب الشرق على مصراعيه ، فرافقها بعضهم ولحق آخرون في أعقابها"[2]. وهو ما يتوافق مع ما ذهبت إليه سعاد محمد خضر، بخصوص أسبقية الاهتمام الفرنسي بالجزائر لفترة الاحتلال المباشر، والّذي ولّد صورا كثيرة ترجمت هذا الاهتمام.

من بين اللوحات الفنية الفرنسية الّتي تطرق إلى ذكرها سعد الله، لوحة (معركة الجزائر) لهوارس فرنيه والّتي أظهرت" المرأة الجزائرية باللباس الشفاف راكبة على ظهر جمل، وعليها سيماء الهزيمة والعار"[3]، ولوحات فردريك شاصيريو:

(الراقصات بالمناديل)، (الخروج من الحمام)، (دخول الحريم). وبإلقاء نظرة خاطفة على عناوين هذه اللوحات نلاحظ أنّها كلها "ذات صلة بالمرأة والحياة الداخلية

([1]) - أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1954 ، الجزء السادس، دار البصائر،2007 ، ص383.

([2])- أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1954 ، الجزء الثامن، دار البصائر، 2007 ، ص374.

([3])- المرجع نفسه، ص377.

المحرمة"[1]صارفة النظر عن باقي جوانب المجتمع الجزائري بما في ذلك صورة الرجل.

حملت لوحات أخرى لشاصيريو عناوين غريبة في نظر أبو القاسم سعد الله وهي: (العرب يحملون موتاهم)، (الغالبون يدافعون عن أنفسهم)، وأظن أن غرابتها تزول إذا ما أخذنا بعين الاعتبار النّزعة الاستعمارية الكامنة وراءها، وهذا ما توصّل إليه سعد الله بعد تطرّقه للـــوحات الرحالة فرومنتان:(جمل وجمال)، (الصيد بالصقور)، (قـــطاع الطرق) (عـــرب هاجمهم أســـد في مضيق)[2]، بحيث كشـــفت هـــذه الأعمال الانـــحياز الواضح لهؤلاء الرّســـامين لانتمـــائهم الوطني، بدل تحري الصّـــدق الواقعي في رسم صـــورة الشخصية الجزائرية.

إنّ غاية الحطّ من قيـــمة الشّخصية الجزائرية لم تكن منوطة بحبر أقلام الأدبـــاء الفرنسيين فقـــــط، بل كان لريـــشة الرسامين الفرنسيين أيضا نصيب في بـــناء هـــذه الصورة المغلوطة، ولعلّ سبب ذلك يعود إلى العلاقة المتشنجة التي أطرت لقاء الطرفين (الجزائري والفرنسي)، والّتي لم تخـــرج أبدا عن علاقة المستعمِر بالمستعمَر.

خصّ عمر بن قينة في مؤلفه: (الشكل والصورة في الرحلة الجزائرية) الرّحلة الجزائرية بنوعيها الداخلية والخارجية، غير أنّ ما له صلة بموضوعي هو القسم الثّاني منها لذا أدرجتها ضمن عنصر العنّاوين الفرعية .من بين هذه الرحلات نجد رحلة البشير الإبراهيمي إلى الباكستان، ورحـــلة ابن الفغون، وبوزوزو، وسعد الله إلى فرنسا، وكذا رحلة أحمد رضا حوحو، والمـــدني إلى الاتحاد السوفيتي سابقا.

([1])- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1954، الجزء الثامن، مرجع سابق، ص379.

([2])- ينظر المرجع نفسه، ص381.

بدا الباكستان في عيني البشير الإبراهيمي مجتمعا إسلاميا " في سلوك النّاس وتفكـيرهم رغم بعض المآخذ على الصور في فهم النّاس الإسلام في السلوك ، خاصة في المحيط الشعبي الّذي تعوزه الثقافة الإسلامية الصحيحة المتينة "[1]. ولقد ألقى التّكوين الديني للبشير الإبراهيمي بظلاله الوارفة في بناء هذه الصـورة، بعدما أثـر هذا الأخير إظهار الجانب الديني للمجتمع الباكستاني دون الجوانب الأخرى.

تباينت صورة باريس في عيون قاصيديها فهي وإن" بدت في صورة ايجابية مثلا عند(ابن الفغون) فهي في صورة سلبية عند (بوزوزو)، وكلاهمـا تقريبا أعلن رأيه من منطلق سياسي، بناء على وضعه وموقفه، وصلاته بالحكم الفرنسي، فالأول يكتب وفي ذهنه فضل الإدارة الفرنسية، ونعمها عليه في (الجزائر) وفي (باريس)، والثّاني يكتب بحرية في شيء من الحمية بفعل معاناة بلده سياسة الاستعمار، وإدراكه جـوانب من سياسة (فرنسا) العنصرية في (الجزائر) ، أما (سعد الله) فهو على وعي تام بسياسة (الاستعمار) وتاريخه في بلده ماضيا وحاضرا أيضا أي الجـانب السلبي فاكتـفى بالإشارة إلى ذلك عرضا واسـتأثر باهـتمامه الجـانب الايجابي، أي الجـانب الثقافي في (باريس) .."[2].

وعلى الرّغم من أن البلد المنظور إليه واحد، إلا أن ذاتية كل أديب لعبت دور فعالا في توجـيه الصورة المرسومة وفق اتـجاه معين، عن طريـق اختـيار جـملة من الأوصاف والمواقف.

([1])- عمر بن قينة: الشكل والصورة في الرحلة الجزائرية الحديثة، ط1، شركة دار الأمة للطباعة والترجمة والنشر والتوزيع، الجزائر ماي، 1995، ص 138.

([2])- المرجع نفسه ، ص139.

إن الاتحاد السوفياتي عند أحمد رضا حوحو هو" موطن ثقافة ورعاية للإنسان خاصّة الطفل كما هو موطن التفاؤل بالحياة"[1]. ويتفق مع المدني أيضا في كونه" بلد الجدّ والنّشاط، وبلد العمل والعمال في جدّهم ونشاطهم"[2]. ولقد علّل بن قينة بالأسباب المقنعة دافع كلّ رحالة في بناء صورته عن البلد الأجنبي بالشكل الّذي ظهرت عليه في رحلاتهم.

احتوى كتاب آخر لابن قينة(في الأدب الجزائري الحديث)عنصر فرعي آخر معنون بالرحلة السياسية، ضمّ رحلتين قام بهما كلّ من سليمان بن الصّيام، وأحمد بن قاد إلى فرنسا. حملت الرحلة الأولى عنوان(الرحلة الصّيامية). وقد عاد منها صاحبها "... معجبا بحسن السياسة الفرنسية في(فرنسا) الّتي خيّل إليه بفعل (الكرم) الفرنسي أنّها السياسة نفسها الّتي تجد امتداد لها في وطنه خارج (فرنسا) "[3].

أما الرحلة الثّانية فقد حملت عنوان (الرحلة القادية في مدح فرنسة وتبصير أهل البادية) وبدا فيها صاحبها "مبهورا في غياب فرنسا الاحتلال الّتي تمارس بطشا في وطنه عمي عنه في حضور الصورة اللّماعة والوجه البّراق لفرنسا الأخرى غير الاستعمارية فسقط الكاتب صريع حب جارف لفرنسا (الحرية –العدالة– المساواة)، وهو الشعار الّذي لم يدرك الكاتب أنّه في السياسة الاستعمارية غير قابل للتحويل إلى بلاده، أو هو ممنوع التداول في سياسة الاحتلال بالجزائر، لم يدرك بعمق لما يحوطه به هو وأمثاله الاحتلال

([1])- عمر بن قينة : الشكل والصورة في الرحلة الجزائرية الحديثة ،مرجع سابق، ص 147.

([2]) – المرجع نفسه، ص 147.

([3])- عمر بن قينة : في الأدب الجزائري الحديث تاريخا وأنواعا وقضايا وأعلاما، (د، ط) ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995 ص 117.

الفرنسي من رعاية وتبجيل ليخدموا سياسته في الأرض المغتصبة..."[1]، وليروجوا لصورة جميلة له تكون بمثابة دعاية تحجب بها فرنسا وجهها الاستعماري القبيح، وتبرز الدور الحضاري المزعوم الّذي كانت تدّعي أنّها تقوم به.

ب –العناوين الخاصة:

نلفى في طليعة الدارسات النقدية الأدبية الجزائرية الّتي تمحّور موضوعها حول نطاق دراسة الصورة الأدبية المقارنة، دراسة أبو العيد دودو (صورة الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان). وقد تضمن هذا الكتاب مجموعة من الرحلات الّتي قام بها بعض الراحلين الألمان إلى الجزائر لدوافع متباينة، ومختلفة وصفوا فيها الأرض وما عليها ، وقد صنّفها كمايلي:

الفصل الأول: الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان.

الفصل الثاني : فيلهم شيمبر.

الفصل الثالث:فرديناند فنكمان.

الفصل الرابع : هرمان هاوف.

الفصل الخامس:شونبيرغ والجزائر.

الفصل السادس: دايات الجزائر.

الفصل السابع :موريتس فاغنر.

الفصل الثامن : الوجه الآخر لقابلة التافنة.

الفصل التاسع:الأمير عبد القادر.

([1])- عمر بن قينة : في الأدب الجزائري الحديث تاريخا وأنواعا وقضايا وأعلاما، مرجع سابق ، ص119.

الفصل العاشر: الحياة الاجتماعية في مدينة الجزائر إبان الاحتلال.

الفصل الحادي عشر:انطباعات رحالة ألماني في مقاطعة وهران.

الفصل الثاني عشر: صور شمسية جزائرية.

الفصل الثالث عشر:كليمانس لا فبينغ.

الفصل الرابع عشر : لودفيغ بوفري[1]

أرجع أبو العيد دودو الفضل " في وجود نصوص من هذا النوع ..إلى أن الجزائر قد عرفت في القرون الأخيرة، في نهاية العهد التركي، وإبان الاحتلال على الخصوص عددا غير قليل من الأسرى والعبيد، كانوا ينتمون إلى معظم شعوب أوربا، وزارها كذلك بعض الرحالين والكتاب والعلماء والشعراء. وبعد أن رجـــع هؤلاء إلى بلدانهم أصـــدروا كتبا على شكل رحلات أو بصـــورة رســـائل أو مذكرات.."[2]. تباينت فيها واختلفت انطباعاتهم عن الجزائر و" تحدّثوا فيـــها عن تجاربهم الشـــخصية في الجزائر وعلاقاتهم بأهلها، وعبروا عن موقفهم من قضاياها الدينية والاجتماعية والسياسية والثقـــافية والخلقية، كما تطرقوا إلى وصف العادات والتّقاليد وأساليب الحياة في المدن والأرياف"[3].

لم تكن صورة الجزائر-إذن- حكرا على الأدب الفرنسي وحده، بل وجدت هذه الأخيرة مكان لها في كتابات أخرى ينتمي أصحابها إلى بلدان أجنبية مختلفة.

([1])- أبو العيد دودو : صورة الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان1830 -1855، (د، ط) ،المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989 ص 208.

([2])- المرجع نفسه، ص 6.

([3])- المرجع نفسه، ص6.

لأبي العيد دودو كتاب آخر موسوم بـــ (دراسات أدبية مقارنة)، حوى بعض العناوين ذات الصـــلّة بمبـــحث الصـــورائية مثل:(صورة مديـــنة الجزائر)، (صـــورة البلـــيدة) ،(صورة الصحراء في عدد من قصائد الرحالة الألماني مالتسان)، وقد أردفها أبو العيد دودو ببعض التّعليقات والتّحليلات.

اســـتأثرت الرحلة الألمانية باهتمام أبو العيد دودو دون غيرها من الرحـــلات فهـــم في نظره مؤرخون" بشكل أو بآخر.فمن النّادر أن نجد بينهم من لم يهتم بتاريخ الجزائر في طور من أطوارها، ويحاول أن يقدم صورة عنه، ولو كانت مختصرة غير وافية وكثيرا ما تكون هذه الصورة المختصرة تمهيدا لدارسة نفسية الشعب الجزائري، وعاداته وأساليب حياته وطرق معيشته..."[1]، وهو ما تســـعى دراسة الصّورة الأدبـــية المـــقارنة الكشف عنه، والبحث عن دواعي وأسباب تشكله.

فيما استطاعت الرحلة الانجليزية أن تستحوذ على اهتمام عبـــد الله الركـــيبي الّذي تجسد بوضوح في مؤلفه المعنون بـــ:(الجزائر في عيون الرّحالة الإنـــجليز)، وقد حوى هذا المؤلف الرحلات الآتية:

1-رحلة في ربوع الآوارس لـــ:هيلتون سيمبسون.

2-بسكرة بوابة الصحراء لـــ:س. ه. ليدر

3- الصحراء ملاذا لـــ: إيديت هالفورد نلسون.

4- جولات في الجزائر العاصمة وما حولها لـــ: ل.ج سيقوين

5-الجزائر على حقيقتها لـــ: م. د ستوت

(1)- أبو العيد دودو: دراسات أدبية مقارنة، (د، ط)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1991، ص69.

6-إفريقيا المستنيرة لـــ:ه.ت.كيني

7-جزائر اليوم لـــ:قوردون كاسلي

8-في إفريقيا الفرنسية:الآنسة بيثم إدوارد.

9-بلد القراصنة : إكسان فيلدنج

10-الملعب الجديد أو جولات في الجزائر لـــ: الكسندر أ. كنوكس.

11-ريح الصحراء لـــ: ر.ق.س.بادلي.

12-الدورية العربية: ضابط في اللفيف الأجنبي رقم 1384[1]

قام عبد الله الركيـــبي في دراســـتة هذه بمنـــاقشة الأفـــكار الرئـــيسية الّتي وردت في هذه الرحلات، إما بالنّـــقد، أو الرد، أو التّنويه، كما أشار في الوقـــت ذاتـــه إلى أنّها ضمت صورا "للمدن الـــجزائرية منـــذ القرن الماضي وحتّى العصر الحديث بل هـــناك صور حتى للقرى الصغيرة وللواحات الصحراوية المتنوعة، وبعض الأشخاص"[2].

وقد صنّف عبد الله الركيبي هذه الرحلات إلى صنفين "صنف تعاطف فيها أصحابها مع الجـــزائر مثل رحلة: (بسكرة بداية الصحراء) للمؤلف: س.ه.ليدر،ورحلة (جولات في الجزائر العاصمة وما حولها) للمؤلف: ل.ج سيقوين، وصنف آخر تحامل أصحابها على الجزائر مثل رحلة (الجزائر على حقيقتها) لمـــؤلفها:م.د.ستوت.ورحـــلة (الجزائر اليوم) للرائد قوردون كاسلي"[3].ولعلّ سبب هذا التّحامل هو موالاة مؤلفيها للسلطات الاستعمارية الفرنسية الّتي كانت تغدق عليهم بفضلها واهتمامها.

([1])- عبد الله الركيبي :الجزائر في عيون الرحا لين الإنجليز، دار الحكمة، الجزء الأول، 1999، ص299 .
([2])- المرجع نفسه، ص21.
([3])- ينظر المرجع نفسه، ص 18.

تراوحت صورة الجزائر في عيون الرّحلين الانجليز بين كونها بوابة للأفكار وملاذا للهموم، ومصدرا للنور عند البعض، وبكونها بلدا متقوقعا على ذاته، وموطنا للقراصنة وملعبا جديدا تسرح وتمرح فيه الأفكار عند البعض الآخر.

ترجم أحمد منور مجموعة من القصص، والمذكرات الفرنســية وجمعها في كــتابه: (الجزائر في كتابات الأدباء الفرنسيين) مرتبا إياها على النّحو التّالي:

-تيوفيل كويتي:

- رقصة الجنّ

Théophile Gautie

La danse des Djinns

-بروسبير ميريمي:

-جمان....

Prosper Mérimée

Djoumane

ألوفنس دودي:

- في مليانة

- الجراد

-وسام الآغا

Alphonse Daudet

A Milianah

Les Sauterelles

– كي دكي دو موباسان:

- علّومة

-ذات مساء في بجاية

- السلسلة الذهبية.

Guy de Maupassant

Allom

[1] Allouma.A Bougie.Mohamed fripoille

تشبه المدونات الّتي ترجمها أحمد منور في طريقة كتابتها السيرة الذاتية الّتي تعنى بسرد الأحداث، والوقائع الّتي حدثت لأصحابها في نزعة تقريرية إخبارية بحيث تراوحت فيها صورة الجزائر بين الوسم الإيجابي، والوسم السّلبي.

تندرج صورة الجزائر الّتي احتوتها قصّة(ذات مساء في بجاية) لغي دي موباسان ضمن الاتجاه الأول، وهذا ما يؤكده المقبوس الّذي ورد على لسان بطل هذه القصّة:"بدا لي فجأة كأن الروح الشرقية تتسلل إلى داخلي، الروح الشاعرية والأسطورة للشعوب البسيطة، ذات الأفكار الزاهرة. كان قلبي مفعما بالتوراة وألف ليلة وليلة وكنت أسمع الأنبياء يعلنون معجزاتهم وكنت أرى فوق سطوح القصور أميرات يمررن وهنّ لابسات سراويل من حرير، في الوقت الّذي كانت فيه أنواع من البخور اللّطيف

([1])- أحمد منور : الجزائر في كتابات الأدباء الفرنسيين في القرن التاسع عشر، (د، ط)، الجزائر عاصمة الثقافة العربية، 2007 ، ص15.

تحترق في مواقد من الفضة، وتنشر دخّانا يأخذ أشكال الجنّ"[1].

ولعلّ موباســـان وهو يـــكتب عمله هذا، كان يستحضر في ذهـــنه صورا مســـبقة عن جزائر الشرق بالكاد تكاد تنفـــصل عن عوالم ألف ليلة وليلة الّتي ترجـــمها أنطوان غالان إلى اللاتيـــنية، والّتي ساهمت بقـــسط وافر في بـــناء صـــور سرابيـــة موغـــلة في الميثية عن الشرق وأهله في المخيال الأوربي.

أما قصة (جمان) لـــبروسيير ميريمي فإنّهـــا تتماشى مع الاتـــجاه الثّـــاني، ويظهر ذلك جليا من خلال وصفه لعرض بهلواني يقول عنه : "عندما أفقد التعب والدوار هؤلاء القوم القليل من العقل الّذي لديهم ، أخرج كبيرهم في السحر عقارب وثعابين من بعض القفاف الّتي كانت تحيـــط به.وبعد أن بيّن بأنها حية، رمـــى بها إلى مهرجيه الّذين انقضوا عليها مثل ما تنقض الكلاب على عظم وراحوا يمـــزقونها بأسنـــانهم في لذّة، إذا كـــان هذا الوصف يعجبكم"[2].وقد قنن بورسير من خلال وصـــفه هذا من شأن الشخصية الجزائرية ووضعها في مرتبـــة دنيا تضاهي مرتبة الحيوان، مركزا على بعض المظاهر الجانبية الموجودة في المجتمع الجزائري على وجه العموم، والّتي لا تعكس البتّة حقيقته.

لم يخرج مضمون كتاب أحمد مـــنور عن إطار التّرجمة الصـــرّفة لمدونات هؤلاء الأدباء السابق ذكرهم، وهي نصوص يستطيع الـــقارئ من خلالها الكـــشف عن" حقائق ومعلومات أخـــرى كثيرة تتعلق بالأنـــشطة اليومية للنـــّاس، وبأنواع اللباس، والحـــلي والأطعمة والآثـــار والمعمار، وما إلى ذلك"[3]. أي أنه ترك القارئ بمجابهة النّـــص هو

([1])- أحمد منور : الجزائر في كتابات الأدباء الفرنسيين في القرن التاسع عشر، ص 132 ،133.
([2])- المرجع نفسه، ص38.
([3])- المرجع نفسه، ص15.

الّذي يستنبط ملامح الصورة الكامنة فيه، ويستعين بذلك ببعض الكلمات والمواقف التي تم شرحها في الهامش.

تقصى عيسى عطاشي تجليات صورة الصحراء الجزائرية في أدب رحالة فـرنسي في دراسته:(صورة الصحراء في أدب الرحالة أوجين فرومنتين)، وخَلُص إلى أنّ هذه الصورة كانت " محكومة بإرث الماضي الثقيل ومتأثرة بطبيعة العلاقة الّتـي كانت سائدة بين القطبين، وهي علاقة كانت مطبوعة في أغلب الأحيان بالعداء المستحكم والحروب الديـنية الطويلة"[1].وقد وردت هذه الصورة مركبة من شقين" صورة الإنسـان وفيـها كثير من الانطباعات الذاتيـة، والتّصورات القبـلية، والأحـكام المسبقة، وصـورة الفضـاء الطبيـعي الّتي تحمل نظرة انبهار وإعجاب منقطع النظير"[2].

تبرز صورة فرومنتين المتعلّقة بالإنسان بشكل واضح في" قصته الّتي جعل أحداثها تدور حول شخصية خادمه العربي أحمد، الّتي تتصف بالنّفاق، وخبث النّفس وتجـنح إلى السرقة والاحتيال.وقد منحها تصوره، وخياله المبدع حيوية صادرة من تصرفاتها وانفعالاتها، وسلوكها الغريب الشاذ المنحرف حتّى يوهمنا أنها تـطابق الواقع، ومأخوذة من صميم الحياة"[3]. ومن جهة أخرى حرص فرومنتان على" أن يقدم للفرنسي صورة كامـلة مـثالية ، تؤهله لأن يبرز كإنسان متشـبع بالمسؤولية خبـير بحـياة الأهالي يدير شؤونهم بحزم وصرامة، دون أن يجرده ذلك من مشاعر الإنسانية وعواطـفه

([1]) - عيسى عطاشي: صورة الصحراء في أدب الرحالة الفرنسي أوجين فرومنتين، (د، ط)، مؤسسة الحياة الصحافة، الجلفة، الجزائر، 2007 ص 96.

([2]) – المرجع نفسه، ص8.

([3])- المرجع نفسه، ص52.

الخيّرة"[1].

أما في صورته المتعلّقة بالطبيعة فقد أبدا فرومنتين".. تفاعلا وجدانيا مرهفا نحوها وكان يــرتاح ويبــتهج لرؤية هذه الطــبيعة ذات الفضــاء الواسع، والمناظر الجمــيلة والأجواء الرومانسية الهادئة،بسمائها الزرقاء الصافية، وشمسها الساطعة المتوهجة وليلها المقمر ذي النّجوم المتلألئة اللامعة"[2].

اتــكأ فرومنــتين – على حد قــول عيسى عطــاشي– في بــناء صــورته هذه على "تسجيل ما يعيشه وما يســمعه ويراه ويقرأه بطريقة لا تخــضع لتــخطيط سابــق أو ترتيب منهجي ، ثم يعيد بناء وتركيب هذا الكــلّ..."[3]. لذا جاءت صــورته خــالية من الحسّ الواقعي، ويشوبها الكثير من التّشويه، والزيغ لأنّ من يقرأ ويسمع ليس كمن يرى ويعيش.وإذا عدنا صفحات قليلة من بحثنا هذا، وعقدنا مقارنة بسيطة بين مواضيع لوحات فرومنتان الّتي تطرقنا إلى ذكرها سابقا في دراسة أبو القاسم سعد الله وأدبه، نلفى أنّها بالكاد تنفصل عن بعضها.

2 – دراسة الصورة في الإطار الأكاديمي:

تحفل رفوف الجامعات الجزائرية بعدة دراسات مهمّة حول دراسة الصورة الأدبــية المقارنة، سواء تعلّق الأمر بالأدب الجزائري، أوالأدب العربي، أوالأدب الغربي،ولا تكاد تخرج عناوينها عن: (الآخر ، الأجنبي ، الغرب..) .وسأعرض فيما يلي لبعض تلــك الرسائل الّتــي استطعت الحصــول عليها للتــدّليل على هذا الجانب من الدراسة.

(1)- عيسى عطاشي: صورة الصحراء في أدب الرحالة الفرنسي أوجين فرومنتين، مرجع سابق، ص52.
(2)- المرجع نفسه، ص 64.
(3)- المرجع نفسه، ص53.

أ- رسائل الدكتوراه:

من بين رسائل الدكتوراه الّتي لها قصب السّبق في مجال دراسة الصورة الأدبية المقارنة بالجزائر، رسالة الدكتور عزّ الدّين شريفي المعنونة بـــ(صورة الصحراء العربية في قصـــص فولتير زديج أو القدر نموذجا).وقد توصـــــل الباحث بعد جمـــلة من التّحليلات إلى " أن أبـــطال فولتـــير الشرقيين هم رموز لأفكار مـــعينة استـــمدهم من المـــعاني الّتي قصـــد إليها وأراد تصويرها. فهو يزج أبطاله في مغامرات ليس لها من هدف سوى أن يبدي رأيه بطريقة غير مباشرة في مجال من مجالات الحياة والفكر وأن يفسح المجال لسخريته وانتقاده اللاذع"[1]، وكـــأنّ شخصياته العربية ما هي إلا جسر تعـــبر من خلاله أفكاره لتستقر إلى النّتيجة المخطّط لها مسبقا.

تتـــبع الدكتـــور جمال مباركي في رسالتـــه(الغرب في الرواية العربية المعاصرة) صورة الغرب بظلاله الواضحة والمشوشة في مجموعة من الروايات العربية نذكر منها على سبيل المثال: رواية (السفينة) لجبرا إبراهيم جبرا، وراوية (قنديل أم هشام) ليحى حقي، ورواية (الميراث) لسحر خليفة، كما تعدّدت الروايات الجـــزائرية المعتّمد علـــيها في هذا البحث منها:(المخطوطة الشرقية، رمل الماية، شرفات بحر الشمال) لواســـيني الأعـــرج، ورواية(مأوى جان دولان) لعمر بن قـــينة، ورواية (التّفكك) لرشيد بوجدرة.

وخلص في الأخير إلى أن وعي الروائيـــين العرب للغرب بدا مختلف في أعمالهم الأدبية و". ..في صور متناقضة، فالغرب مرفوض لكنه محبوب، يبهر لكنه مخيف، يبني

(1)- عز الدين شريفي: صورة الصحراء في قصص فولتير ،زديج أو القدر أنموذجا، نقلا عن أحلام صغور، واقع الدراسات المقارنة في المغرب العربي، دكتوراه، مخطوط ، جامعة وهران ،2008-2009، ص15.

الذات وفي الوقت نفسه يهدمها، يشد العرب بجاذبيته ويحملهم على كراهــيته ، كلما ازداد تحضــرا ازداد توحــشا"[1].

وبالإضافة إلى الحضور الممثل في الشخصيات الروائية، رصد جمال مباركي حضورا آخرا للغرب ممثلا" في الجانب الفنّي التشكيلي الممثل في عناصر الرواية، حيث حضر في المكان الخاص (الوطن)، وحاصر الشرقيين فيه، وبدل هذا المكان وصبغه بخصوصيته"[2].ولقد تطرق الباحث إلى موضوع الغرب بكــل تفاصــليه،ولا أنكــر البتّــة أنّي استفــدت كثيــرا من هذا البحث.

ب- رسائل الماجستير:

كثيرة هــي رسائل الماجستير الّتــي تناولــت موضوع الصورة الأدبية المــقارنة ولعلّ أسبقها ظهورا رسالة عبد المجيد حنون :(صورة الفرنسي في الرواية المغربــية من الحرب العالمية حتى سنة 1976).والّتي تقدّم بها صاحبها إلى جامعة القاهرة سنة 1979، وحاليا هي مطــبوعة في كــتاب مع تغــيــير جــزئي في العــنوان(صــورة الفرنسي في الرواية المغاربية)، بحــيث بلــغ عدد الروايات الّتي خصّتها هذه الــدراسة بالتّحليل نحو أربعة وعشرين رواية(24) مغاربية باللّغــتين الفرنسية والعربية.

اعتمد عبد المجيد حنون في دراسته هذه على الإحــصاء بالإضــافة إلى التــّحليل في ترجمة الصّفات المادية والمعنوية إلى أرقام. كما أنه فصل في دراسته هذه بين الشخصيات الواردة في المتون المكتوبة باللــغة العربية، والشخصيات الواردة في المتون

(1)- جمال مباركي: الغرب في الرواية العربية، دكتوراه، مخطوط ، جامعة باتنة ،2008-2009، ص433.
(2)- المرجع نفسه، ص435.

المكتوبة باللغة الفرنسية، ليعقد مقارنة بينهما بعد ذلك.

وتوصل في الأخير إلى أنّ الصّورة الّتي رسمها الروائيون المغاربة للفرنسي صورة معتدلة بحيث رســموه " بمحاسنه، ومساوئه، وأنكروا عليه مالم يرق لهم وأشادوا بما أعجبهم في شخصيته، وبذلك اتسموا بــشيء من الصدق الفني، والواقعي في رسم صورة الفرنسي وكان حريا بهم أن يرســموا له صورة سوداء نتيجة للطريقة الّتي أثر بها فيهم..."[1].ويقصد بذلك الاحتلال الفرنسي الّذي كان احتلالا مشتركا بين الأقــطار العربية الثلاث: (الجزائر، المغرب، تونس).

بالإضــافة إلى تبــاين الرؤى، اختلفت أيضا الأساليب الّتي اعتمــدها أولئك الرواة في بــناء صورتهم عن الفرنسي، والّتي تراوحت ما " بين الســرد التّــقريري والســرد الشاعري في الرواية المكتوبة باللغة الفرنــسية. أما الرواية المكــتوبة باللّــغة العربــية فقــد طغى عليها السرد التّقــريري المباشر ذي النــبرة الخــطابية والحــوار المباشر... "[2].

أما فيما يتعلــق بطيعة الشخصيات، فإنّ عبد المجيد حنون يرى " أنّــها كانت أكثر عمقا في الروايــة المغربية ذات اللسان الفرنسي منها في الرواية ذات اللسان العربي مع بعض الاســتثناءات ، ويعلّل ذلك بغــنى ثقــافة الأوليــن نتيجة تأثــرهم بالأدب الغربي على عكس الفئة الثانية "[3]. بالإضافة إلى ذلك أشار عبد المجيد حنون في نهاية دراسته إلى بعض الخطوات الّتي يمكن توظيفها في دراســة الصورة الأدبية المقارنة

([1])- عبد المجيد حنون : صورة الفرنسي في الرواية المغربية، (د، ط)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1988، ص 469.
([2])- المرجع نفسه، ص466 .
([3])- ينظر المرجع نفسه، ص 467.

والّتي تعــذّر عليه إيتاؤها في بحثه.

لا تبتعد رسالة الدكتور عبد القادر توزان(الجزائر في أدب ألبــير كامو)عن الرسالة السابق ذكرها، في اعتبارها من بين الدارسات السّباقة في تناول هذا الفرع من الدراســة الأدبية المقارنة، وفيها تتبّع الباحث صورة الجزائر في روايتي:(الغريب والــطاعون) لألبير كامو. واستطاع بعد سلسة من الــمقارنات والمــقاربات إلى أن يثبت أنّ أدب كامو وفلسفته" لا يكادان ينفصلان عن بعضهما، لهما علاقتهما المباشرة بالطّبيعة الجزائرية، والواقع العبثي الّذي كان يعيشه ويحياه الجزائريون في ظل الاستعمار"[1].

وقد اعتــمد كامو في تصويره للجزائر–حســب الباحث – " على الوصف الدقــيق لمدنها وســكانها"[2]. أما نظــرته إلى المــجتمع الجزائري فقد" كانــت نظــرة فرنــسية محظة شــوّه به التّاريخ الجزائري المــسلم بعاداته وتقاليده العربية المــسلمة الأصــيلة"[3]، على الرغم من أنــه عاش بين شــعبها ردحا من الزمــن وتظاهر بالدفــاع عنها كما ذكرنا سابقا.

عنــيت الباحثة هوراية مغربي في رسالتها الموسومة بــ(صورة العربي بيــن فرنتس كافكا وألبــير كامي) باستخلاص السمات العــامة للشخصيات العــربية الواردة في روايتي: فرانســيس كافــكا:(بنات أوى وعرب، الصفحة القديمة) ورواية (الغريب) لألبير كامو.

وخلصت في النّهاية، إلى أنّ الشخصيات العــربية في عملي كافكا تميزت بالتقاعس

([1])- عبد القادر توزان : الجزائر في أدب ألبير كامو، ماجستير، مخطوط ، مجلس كلية الآداب، بغداد، 1980، ص286.
([2])- المرجع نفسه، ص287 .
([3])- المرجع نفسه، ص 287.

وقلة العقل، والنّجاسة، والعنــف كما أنّه لم " يخصها بنعت أو وصف لملامحها إلا ما كان من الصّفات والعادات الّتي تكون مصدرا لنــقد هؤلاء العرب، وليس لتميــيزهم بل قد يقــرنها بالحــيوانات (بنــات آوى وعــرب) حتّــى يطرح السؤال حــوّل إمكــانية اعتبار العرب حيوانات"[1].

أما الشخــصيات العربــية الواردة في عــمل ألبير كامو فــقد تمــيزت: بالجـــبن، والقذارة، والبشاعة، وبتواجدها في السجن.وحضورها في الروايــة يوحي" بعدم وجود جنس عربي، فالمدينة الأوربية ترفض الوجود العربي بل ولا تعترف بوجوده لذلك خلت المدينة إلا من بعض الأفراد. مما يقول ضمنيا أنهم أي العرب ليسوا أهل مدينة ومدنية، وهم للبداوة والانزواء أقرب بل هم لا اجتماعيون"[2]. كما عانى العــرب في هذه الرواية– حسب الباحثة –" نوعا من المسخ والتّشويه الّذي يجعل الإقصاء إمكانية كما يجعل الوصّف والتّشويه متعمّدا لا بريئا"[3].

اشترك كل من كافكا وألبــير كامي في بناء صورة مــشوهة للعربي تبــقى موضــع تأمل، وانــتقاد لأنّها تحمل بــين ثــناياها ذلك الحــقد الدفــين الذّي غذته رواسب دينــية وأخرى فكرية.

تطــرق الباحث ميسوم عبد القادر في رسالته : (رؤية الآخر في الخطاب الروائي لأحلام مستغانمي) إلى الآخــر الأجنــبي بمعناه الفضفاض : العدو، الصديق، الجــنس الآخر،الآخر المحتل.

([1])-هوارية مغربي : صورة العربي بين فرانتس كافكا وألبير كامي، ماجستير، مخطوط، ، جامعة وهران، 2003-2004، ص220.
([2])- المرجع نفسه، ص220.
([3])- المرجع نفسه، ص220.

لم يخرج الآخر الأجنبي-على حد قول الباحث -عن" تلك الثنائية المعهودة شرق/غرب الّتي يلفها الاختزال والجنس.....فقد كشفت مستغانمي وجدان الضمير الغربي إزاءنا واستهدفته عن عمد، وترصدته لتذكّر الفرنسيين بآثامهم بسبب الاستعمار واحتـــلال أراضي الغير وســـلب هوايات الشعوب"[1]، وذلك من خلال الفتـــاة فرنـــسوا في (ذاكرة الجسد) الّتي أصبحت كاترين في رواية (عابر سرير).

أما الباحثة سعدي مليكة فقد تناولت في رسالتها: (تجليات الآخر في رواية الصبار وعباد الشمس لسحر خليفة) نظرة الفلسطيني إلى الآخر اليهودي،والغير اليهودي، بحيث استعانت بالإضافة إلى المدونـــتين الأساسيتين بـــ روايـــة (موسم الهجـــرة إلى الشمال) لطيب صالح لوح، ورواية (الوقائع الغريبة في اختفاء سعيد أبى النحس المتشائل) لإميل حبيبي لتوضيح الصورة المقصودة بالدراسة.

ارتـــكز البـــناء الســـردي لروايـــتي سحر خليفة -كما جاء في خـــاتمة البـــحث- على" تمظهر الأخر الصّـــهيوني ووعي الأنا الفلســـطيني له وعلاقته به كما أنّ أسلوب التعـــامل مع موضوع الآخر كغرب يختلف عن الآخر الصهـــيوني"[2]، فـــالأول بتـــعلق بأجنبي بعيد، والثّاني يتعلق بأجنـــبي يحـــتل أرض الأنا (فلسطين)، ويمـــارس جـــرائم وانتهاكات تمتـــعض لها النّفس البشرية.

تطرقت الـــباحثة ياقوت بلـــحر إلى الآخـــر بمعناه الفـــضفاض والـــواسع أيـــضا في رسالتها المعـــنونة بـــ(تمظهر الآخر في رواية سيـــدة المقـــام لواسيـــني الأعرج).

([1])- عبد القادر ميسوم: رؤية الآخر في الخطاب الروائي لأحلام مستغانمي، ماجستير، مخطوط ، جامعة وهران، 2004-2005 ، ص132.

([2])-مليكة سعدي : تجليات الآخر في رويتي الصبار وعباد الشمس لسحر خليفة، ماجستير، مخطوط،، جامعة وهران ، 2005، ص145.

وتوصلت إلى واسيني الأعرج أعطى" لهذا الأجنبي إيجابية محظة..إذ جعله يتعايش مع الأزمة، ويتماها مع البلد محبا ومتذمرا من أعدائها"[1]، وعلى الرّغم من هذا الموقف الإيجابي" يبقى أجنبي حتى أخمص قدميه"[2]ربما لاختلاف انتمائه الجغرافي والديني والعقائدي، الّذي يصعب التّغاضي عنّه وتقبله*.

نستنتج مما سبق، أن لدراسة الصورة الأدبية المقارنة كينونة ملحوظة في الدراسات الأدبية الجزائرية، سواء أتعلق الأمر بالدراسات الأدبية النّقدية أو بالدراسات الأكاديمية.

تميّزت الدراسات الأدبية النقدية بنزوعها إلى التّرجمة في بعض الأحيان لرحلات أو قصص، أو مذكرات أجنبية، أو أنّها تأتي عناوين فرعية في دراسات أخرى قد لا ينتبه إليها القارئ أو الباحث، كما أنّ نصيب التّحليل، والمناقشة والتّعليل فيها ضئيل.ولكنّها في الوقت نفسه تساهم في إظهار مادة دسّمة لكي يُشتَغل عليها في هذا الفرع من الدراسة الأدبية.وقد غلب على هذا الاتجاه البحث عن صورة الأنا في أدب الآخر.

في حين تتوفر الدراسات الأكاديمية على قدر كبير من التّخصص والدّقة في التّطرق لجل ثنايا الموضوع المدروس، والوقوف على تقاسيم الصورة الأدبية وقد جاءت هذه الدراسات على –حد قول أحلام صغور– " مصاحبة لانبثاق الوعي

(1)- ياقوت بلحر: تمظهر الآخر في رواية سيدة المقام، لواسيني الأعرج، ماجستير، مخطوط ، جامعة وهران، 2005، ص 111.
(2)-المرجع نفسه، ص111.
(*)ومن بين الرسائل التي تندرج في هذا السياق أيضا نجد رسالة : سمية شنوف: تمظهر الآخر في روايات غادة السمان ،ماجستير ،مخطوط جامعة وهران،2005. ورسالة: الأخضر الزاوي بن بلقاسم :صورة المدينة الجزائرية في الرواية العربية الجزائرية بعد الاستقلال وعند ألبير كامو ماجستير،مخطوط، جامعة القاهرة1979. ورسالة :بن ميلود عثمان: صورة أولاد نايل في الأدب الفرنسي من 1830-1930،ماجستير ،مخطوط جامعة وهران ،2001 .

القومي، والإحساس بحاجة ملحة إلى تقديم الآخر، وتقديم الأنا بمساعدة مكونات المقارنة، في فضاء جغــرافي واسع، وحيز زمني مترام من أجل تصحيح الواقــع وإنصاف الحقائق "[1]، وقد اتجه هذا النوع من الدّراسة إلى دراسة الأجنبي (الآخر) في المتون الأدبية العربية على عكس الاتجاه الأول.

المبحث الثالث: الحضور الأجنبي في الخطاب القصصي والروائي الجزائري

1 – تمثل العرب للغرب في الرواية العربية :

حدّد الدكتور نجم عبد الله كاظم مراحل تمــثل العرب للغرب في الرواية العربية بثلاث مراحل مهــمَة "ســبقت المرحلة الأولى الحــرب العالــمية الأولى وقد تنــاولت أعمال هذه الفترة وصفا لبعض جــوانب الغرب، مع ذكر أرائهم مثلما فعل رفاعة الطهــطاوي في (تلخيص الإبريز في تلخيص باريس).أما المرحلة الثانية فقد أعقبت الحرب العالمية الثانية، وكانت مواكبة لمرحلة نشوء الرواية العربية وتطورها، ومن بين أعمال هذه المرحلة نجد رواية (عصفور من الشرق) لتوفيق الحكيم.فيما امتدت المرحلة الثالثة من نكسة حزيران إلى حرب الخليج وفيها تم استيعاب الشرق للغرب، مثّلَت هذه المرحلة رواية الطيب صالح لوح (موسم الهجرة إلى الشمال)، ورواية (قنديل أم هشام) ليحيى حقي.... "[2].

وإذا أردنا أن نموضع تمثل الرواية الجــزائرية للغرب على هذا المسار فإنّــه

(1)- أحلام صغور : واقع الدارسات المقارنة في المغرب العربي، مرجع سابق، ص183.
(2)- ينظر نجم عبد الله كاظم: الرواية العربية المعاصرة والآخر، دراسات أدبية مقارنة، ط1، عالم الكتاب الحديث، الأردن، 1427-2007 ص 71،72،73.

لا يسعفنا سوى موضعتها في المرحلة الثانية من حيث الزمن، أما من حيث المواضيع المعالجة فإنّ ذلك يحتاج إلى دراسة متأملة ومتأنية لا أستطيع الإلمام بها في هذا المقـــام وكذلك هو الأمر بالنسبة إلى القصّة الجزائرية.

2- سبل تمثل العرب للغرب واتجاهاته:

هناك عدة عوامل ترفد تصور العرب للغرب منها :" الاحتلال، وأشكال الاستعـــمار والعلاقات المختلفة بين العرب والغرب التجارية منها، والدبلوماسية، والبعثات الدراسية والعلمية، والسياحة، والسفر، ووسائل الاتصال، والثقافة، والإعلام"[1].

وتعتبر هذه الأخيرة -أي وسائل الإعلام -من أهمّ العوامل المساهمة في رفد الصورة بشكل عام" بسبب انتشارها الواسع، وامتدادها الأفقي والرأسي وقدرتها البّالـــغة على الاستقطاب والإبهار واستيلائها الطاغي على أوقات الناس، ومنافستها الشديدة للمؤسسات الاجتماعية الأخرى في مجال التأثير الجماهيري"[2].خاصة بعدما احتكر الأجنبي في الوقت الحالي السمعي البصري، وبنا لنفسه ترسانة من الأعمال ترســـم صورته وفق ما يـــنشد، في مقابل صـــورة منتقاة للآخر تدعم رؤاه وطموحاته.

اعتمد هنري باجو في تحديده لاتجاهات النظر إلى للآخر على أساس طبيعة شعور الناظر نحو المنـــظور إليه، فتمخّض له بالاعتمـــاد على هذا الأساس ثلاث اتجاهات أطلق على الاتجاه الأول مصطلح الهوس(la Manie) وقصد به وصف ثقافة الأنا بالتخلف الذي ينتج عنه ازدراء لنفسها، في مقابل نظرة انبهار وتفضيل لثقافة الآخر.

([1]) - ينظر نجم عبد الله كاظم: الرواية العربية المعاصرة والآخر، مرجع سابق، ص 67،68 .

([2])-عبد القادر طاش: صورة الإسلام في الإعلام الغربي، ط2، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، 1414-1993، ص28.

وأطلق على الاتجاه الثاني مصطلح الرهاب (la Phobie) وفيه يتم احتقار ثقافة الآخر الأجنبي والاعتزاز بثقافة الأنا، أما الاتجاه الثالث فقد أطلق عليه مصطلح الإعجاب (la philie)وينم هذا الأخير عن نظرة ايجابية لثقافة الآخر الّتي تعتبر مكملة لثقافة الأنا"[1].

أما عبد المجيد حنون فقد اتخذ من مسألة التّطور والتّخلف معيارا لتحديد اتجاهات النّظر إلى الآخر، وقد عنى "بالاتجاه الأفقي رؤية دولة متطورة إلى دولة تماثلها في التّطور، أو قريبة منها مثل رؤية فرنسا لأمريكا، أما الاتجاه الرأسي فهو رؤية دولة متطورة إلى دولة متخلفة مثل رؤية فرنسا للجزائر، في حين قصد بالاتجاه العكسي رؤية دولة متخلّفة إلى دولة متطورة مثل رؤية الجزائر لفرنسا"[2].

وبناء على ما سبق، تُحدد وجهات النّظر إلى الآخر بمدى تطوره وما يخلّفه ذلك من مشاعر الإحساس بالدونية أو الانبهار،أو الإعجاب، بالإضافة إلى طبيعة العلاقة الّتي جمعت أو تجمع هذين البلدين ، والّتي تفرز بطبيعة الحال الشعور بالحبّ أو الرضا، أو الرّفض، أو الكره.

3-الشخصيات الأجنبية في القصّة والرواية الجزائرية:

عرف الأجنبي حضورا ملحوظا في القصة والرواية الجزائرية منذ محاولاتها الجنينية الأولى*، والّتي صاحبت فترة الاحتلال الفرنسي. فقد كان الأديب مثل عامّة الشعب يرى بأم عينه هذا المحتل الأجنبي وهو يتبجح على أرضه، بعد أن سلبه كلّ ما يملك وأصبح أجيرا في أرضه، فكان لزاما عليه أن يعبّر عن هذه الحالة.

([1])- ينظر دانييل هنري باجو: الأدب المقارن العام ، مرجع سابق ، ص107،108.
([2])- ينظر عبد المجيد حنون: صورة الفرنسي في الرواية المغربية، مرجع سابق، ص 70.

أوحت بعض العناوين بالحضور المباشر لهذا الأجنبي مثل المحاولة القصصية لسعيد الزاهري (فرنسوا والرشيد)،وقصة (مونيك) للأحمد رضا حوحو، وقصّة (الغريب) ضمن المجموعة القصصية الأشعة السّبعة لعبد الحميد بن هدوقة، وقصّة(مأوى جان دولان) لعمر بن قينة...الخ. فيما اكتفت الأعمال الأدبية الأخرى بتوظيف شخصيات أجنبية إلى جانب شخصيات جزائرية تتحرك في عوالم جزائرية أو غربية.

قد يكون الأجنبي خائن للصّداقة حتى ولو شاركته كلّ ما تملك بما في ذلك منزلك مثلما فعلت مونيك الفرنسية مع دنيا التونسية ، ففي البداية " عاشت العائلتان عيشة سعيدة منسجمة طوال أحد عشر شهرا، ومرت مرورا كريما طافحا بالمسرات والذكريات العذّبة والسهرات الأدبية الممتعة الّتي كانت تضم بين ضفتيها الشرق والغرب ممثلين في أبى القاسم الشابي وأراغون، وغيرهما من الشعراء والكتاب"[1].وبعدها قررت مونيك تفجير منزل صديقتها تنفيذا لوصية زوجها، فتسببت بموتها وإصابة دنيا بجروح بليغة. وقد طرحت هذه النّهاية مغبة الثّقة المفرطة في الأجنبي، والّتي سوف ينجم عنها خيبة أمل تعصف بكل قيم الصّداقة المتعارف عليها.

كما قد يكون الأجنبي مبعثا للشّك وسوء الظّن حتّى ولو كان خلاف ذلك، وهذا ما عكسته علاقة حميده بكاترين بشكل يوحي بهشاشة العلاقة الّتي تربط الرجل الجزائري بالمرأة الأجنبية(الفرنسية) لأنّها تحمل بين طياتها بذور الاختلاف، صحيح أنّ حميده أشفق في البداية على كاترين، لكن بعد فترة تحوّل حبه المشفق"إلى حبّ آخر فيه بعث

(*)- أقصد بالمحاولات الجنينية الأعمال الأدبية الأولى التي كانت تفتقر إلى بعض السمات الأساسية الخاصة بكل جنس أدبي ، فمثلا سبق ظهور القصة الجزائرية المكتوبة باللغة العربية شكلان قصصيان مهدا لها هما المقال القصصي والصورة القصصية، ينظر عبد الله الركيبي ، تطور النثر الجزائري الحديث (1830-1974)، (د، ط)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983 ،ص163.

([1])- عبد الحميد بن هدوقة : الصداقة ،الأشعة السبعة، (د، ط)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر، 1981، ص64.

لماضيه....وقرّر أن يتزوج بها انتقاما لشبابه الّذي لم يغر الفرنسيات فيرضين بالتزوج به عندما كان عاملا بسيطا في فرنسا"[1].هذا الأساس الهش الّذي انبنت عليه هذه العلاقة دفع بحميده إلى تأويل غياب كاترين عن البيت بالهجران والخيانة دون احتمالات أخرى في الوقت الّذي كانت فيها هذه الأخيرة ملقاة تحت ركام الأثاث المبعثر بالبيت.

قد يكون الأجنبي أيضا مصدر للهو، مثلما كان الأمر مع هذا البطل الجزائري الّذي وجـد متعة في الانـتقال من كاترين الألمانية، إلى ستيفان الايطـالية، إلى ميران الفرنسية كيف لا و" في باريس تصير القتامة ألقا، والدمامة بريقا، القط يصير أسدا والجرادة تصير غزالة"[2]. هو لم يكن هكذا، بل هن من دفعنه ليصبح حقيرا فقرر أن يدوسهن" ثأرا للماضي "[3] ماضي صدقه معهن، أو ربما الماضي الّذي كانت فيه جحافل جـيوش بلادهن تغزو أرض الأنا.

إنّ الأجنبـي عاطفي، وحسّاس، ومتفـهم لا يتوان عن قول الحقيـقة الّتي يسعى قومه للتّستر عليها. فهاهي جانيت ترسـل لصديقتـها أرليت رسالة تخبرها بحقيقة ما جـرى لها عندما أسرت عن طريق الخطأ من طـرف الثوار الجزائريين، الّذين تعـهدوا بإيصالها سالمة إلى أهلـها، ورافقـها في طريق العودة الملازم علي الّذي أعجبت به جانيت أيما إعجاب، وأحبته، ولكنه حبّ مستحيل لأنّ " أنهـارا من الدمـاء"[4] تفصل بينهما، فقومها هم من يغتصبون أرض الأنا، وينكلون بأهلها أشد تنكيل.

(1)- عبد الحميد بن هدوقة: منتصف النهار، الأشعة السبعة، (د، ط)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص57.
(2)- عمر بن قينة : مأوى جان دولان ،(د، ط) ، دار الأمة للنشر، 2004 ، ص 35.
(3)- المصدر نفسه، ص35 .
(4)- عثمان سعدي: إجازة بين الثوار، تحت الجسر المعلق، (د، ط)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980 ، ص137.

الأجنبي لا يتورع عن قتل شريكه إذا كان يعارض نزعته في الاعتداء، فجان قــتل برنر صديق طفولته وزميله في العمل عندما حاول منعه من قتل "النّساء والعجائز انتقاما لمقتل أحد الضباط خلال معركة جرت بأحد الجبال المجاورة"[1]، كما أنّه كان يستغل كلّ فرصـــة تتاح له من أجل تجــريح ذكــراه وإهــانته.وقد تسمح لنا هذه الصورة بتمرير نتيجة أخرى مفادها عدم خلو الشخصية الأجنبية من الحّس الإنساني المرهف.

المعلمة اليهودية حادّة الطباع تمقت العرب"عيناها كانــتا ســوداوين، تختفيان وراء نظارة سميكة كان هناك بعض الزغب فوق شفتيها"[2]. لم تستسغ هذه المعلمة عزوف التّلاميذ الجزائريين عن تعلم اللّغة الفرنسية في أول يوم دراسي من السّنة الجديدة وحاولت معرفة سبب ذلك بسؤالها أحد التّلاميذ،وما كاد هذا الأخير ينهي إجابتــه" حــتّى كانت صفعة قوية تنهال على خده"[3]، لأنّه وجه أصابع الاتهام للسياسة القمــعية لفرنــسا الّتي تمثل ولي نعمة المعلمة اليهودية.

إنّ المرأة الأجنبية لعوب سافرة" ينكــشف سرها لكل عين ويميل إلى نــيل ودها كــلّ بغيض.. لا ماء فيها ولا دستور..تحلب القلب من أول نظرة ...وتسقــط من القلب والفكر عند أول نظرة"[4]. كما قد تكون" مثل الملاك، مستورة ومحفوظة مثل الكنز جميلة ورائعة مثل الآلهات...حنونة ومتواضعة مثل الأنــبياء فهي أروع من كل العبارات تبعث الراحة في النفس، وتخلق في القلب ولو كان قلب صبي الحب للحياة "[5]، وهمــا

(1)- عثمان سعدي : المرفوضون ،(د، ط)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص67.
(2)- مرزاق بقطاش : طيور في الظهيرة، (د، ط)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1981، ص67 .
(3)- المصدر نفسه، ص67.
(4)- محمد عرعار : ما لا تذروه الرياح ،(د، ط)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1980 ، ص109.
(5)-المصدر نفسه، ص109.

صورتان لامرأتــين تحملان نفس الاسم، احتواهما عمــل أدبي واحد.

قد تكون العجوز الغــير الفرنسية حنونة على الشعب الجزائري تــرثي لــحاله وتقدّم له يد المساعدة لتنــتشله من براثن الفقر والفاقة، مثلما فعــلت العــجوز الروسية مع حسن، بالإضافة إلى ذلك كانت مارفا تستنكر أعمال الهدم الّتي كانت تقوم بها فرنسا للمعالم الأثرية الموجودة بالجزائر، وترى أنه لو"استمر الهدم بهذه الصورة فلسوف تختفي جزائر الشرق ....إنهم يهدمون الجمال ليقدموا مكانه دورا جامدة رتيبة مألوفة..ليس فيها ما يستنير الانتباه ويغري"[1].وهي إشارة واضحة إلى الجهود الفرنسية الساعية لطمس الثقافة الجزائرية عن طريق إزالة كلّ ماله صله بالهويّة الوطنية والدّينية.

الأجنبي مستعمر قاسي، ووحشي يستعمل أبــشع طرق التّعذيب لافتــكاك الحقــيقة من المعتقل فبعد أن أحكموا وثاقه" ... ثبتوه إلى خشبة طويلة بطول قامته، جعلته عاجزا عن القــيام بأية حركة، ثم حملوه من وسطه وألقــوه داخل حوض الماء .... ، كان جسمه في وضع زاوية قائمة، وكانت الخشبة الطويلة الّتي أثبت إليها تصدم ذقــنه وتعطل حركته.بدا السجين يتخبط في محاولة لإخراج رأسه من الماء ولكنه لم يتمكن"[2]. وغيرها من أساليب التّعذيب الأخرى الّتي يندى لها الجبين، وتقف أمامها النفس البشرية مذهولة لقسوتها، وقدرتها البــالغة على تحطيم المعتقل معنويا وجسديا.

(1)- أبو العيد دودو: الأميرة وماسح الأحذية، دار الثلاثة، ط 2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979، ص94 .
(2) – وهبي جروة علاوة : باب الريح ، (د، ط)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1984، ص84.

المبحث الرابع :مرجعيات الكتابة عند الطاهر وطار:

1-المعايشة:

ولد الطاهر وطار في الواحد والثلاثين (31) من عام ألــف وتسعمائة وستة وثلاثين (1936) بمداوروش، ولاية سوق أهراس، وبإجراء عملية بسيطة بين تاريــخ ميــلاده وتاريخ استقلال الجزائر سنة ألف وتسع مائة واثنان وستين (1962). يتضح لنا جليا أنه عايش فترة الاحتلال الفرنسي للجزائر طفلا، ومراهقا، وشابا (26سنة)، وأكيد أن ذاكرته تختزن على أقل تقدير بعض الصور عنه.

من بين هذه الصــور، حديثه عن إيصاله والده لمجموعة من الجنود الفرنسيين بســيارته فكافأته" السلطات الفرنسية بأن عينته خوجة"[1]. كما رأى الطــاهر وطار الطفل قبل الحرب العالمية الأولى الأمريكيين بالقرب من بيته وهم"...يتجولون بسيارتهم الجيب المغطاة بباش كاكي أبيض مشــكلة أرتالا طويلة منتظمة، تشــبه تماما أرتال النمل الطويلة "[2].ما يثبت رؤيته للأجنبي الفرنسي والأمريكي رأي عين.

بالإضافة إلى معايشة الطاهر وطار للأجنبي على أرض الأنا(الوطن) سمحت له رحلاته، وأسفاره العديدة إلى عدة بلدان أجنبية غربية، بالاحتكاك المباشر مع شخصيات حقيقية، نتج عنه معرفة لبعض أنماط حياة، وسلوك، وقيم هذا الأجنبي.ومن بين البــلدان الأجنبية الّتي قصدها الطاهر وطار نذكر: فرنسا، ألمانيا، بلجيكا، هولندا، سويسرة بريطانيا، إيطاليا، بلغاريا، الاتحاد السوفيتي سابقا بمعظم جمهورياته،كوبا، الهند، أنغولا.

([1])- الطاهر وطار: أراه- الحزب وحيد الخلية -دار الحاج موحند أونيس،(د، ط)، دار الحكمة، الجزائر، 2006 ، ص70.

([2])- المصدر نفسه، ص 148.

2- السماع والمشاهدة:

وهي الأحداث الّتي لها صلة بالأجنبي، ولم يجابهه فيها الطاهر وطار مجابهة عينية أي سمع عنه، أو قرأ عنه، كالاحتلال الإسرائيلي لفلسطين،أو شاهده عن طريق وسائل الاعلام كالاحتلال الأمريكي للعراق. ومعروف عن الطاهر وطار معالجته للمواضيع السياسية إذ نلفاه يردد"أنا كاتب سياسي في كل أعمالي.."[1]، ولم يقتصر موقفه على الكلام فقط بل تعدّاه إلى الفعل حين رفض في مرة من المرات دعوة للسفير الأمريكي "احتجاجا على سياسة أمريكا في الأقطار العربية في فلسطين والعراق وأفغانستان.."[2].

كان للطاهر وطار جدة عمرت زمنا طويلا* سردت على مسامعه بعض القصص عن التواجد الأجنبي التركي بالجزائر، الّذي يرتبط بفترة الحكم العثماني الّذي امتد من سنة ألف وخمسمائة وثمانية عشر (1518) إلى سنة ألف وثمان مائة وثلاثين (1830). من بين هذه الصور حديثها عن" الكسرة الّتي يخطفها الأتراك الهاربون من الطاجين، والأجنة الّتي تطرد من أرحام أمهاتها "[3].وهو ما ساهم في تكوين فكرة مسبقة عن الأجنبي التركي.

3-القراءة والترجمة:

لم أعثر على أي اعتراف صريح للطاهر وطار يشير فيه إلى الكتب التي استقى منها معلوماته عن الأجنبي بصفة عامّة، وهذا ما يعترف به هو في حد ذاته بقوله: " وما

([1])- الخير شوار: حوار جديد عن رواية قديمة مع الطاهر وطار، هكذا تكلم الطاهر وطار، ج، ت، ا،علي ملاحي، المقام النقدي الرابع، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع, الجزائر، 2011/1432، ص 238 .

([2])- زهية منصر: طريق الشاوي بين عينيه ، هكذا تكلم الطاهر وطار، المرجع نفسه ،ص 176 .

(*)- تدعى نانة برنية، وقد عمرت قرنا واثنتي عشرة سنة ، ينظر الطاهر وطار : أراه ، مصدر سابق ، ص 92.

([3])- الطاهر وطار:أراه، مصدر سابق، ص98.

لم أفعله متعمدا هو ذكر المراجع الّتي استعملتها وعدت إليها أثناء الكتابة أو تفسيرات بعض الفقرات أو الشواهد.."[1]، ولكنك إذا تمعنت أكثر في مؤلفاته تستطيع أن تستنبط بعض المصادر الّتي ربما لها يد في رفد تصوره للأجنبي.

من بينها، مصادر ذات طابع تاريخي يوحي بها حديثه عن أصّل بعض القبائل العربية والبربرية فمرة يشير "إلى كتاب لأبن خلدون، ومرة يعقب على معلومات لابن عذارى، ويؤيد في مرات أخرى معلومات للإدريسي"[2]، دون أن يحدّد الكتب المقصودة بذلك، ولعله يقصد:

- كتاب (العبر وديوان المبتدأ والخبر في معرفة أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر) لابن خلدون.

- (البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب) للإدريسي.

-(نزهة المشتاق في اختراق الأفاق) لابن عذارى.

للكتب الدينية أيضا نصيب في بناء تصور عن الآخر الأجنبي، وهو ما توفر للطاهر وطار من خلال تعلّيمه الابتدائي والثانوي بمدرسة مدرواش التّابعة لجمعية العلماء المسلمين، وكذا التحاقه بجامع الزيتونة بتونس، بحيث يتيح التكوين الديني-حسب اعتقادي لصاحبه بعض المعلومات عن الديانات السماوية الأخرى وأصحابها، كالمسيحية واليهودية، من خلال التّطرق إلى تفاسير السور القرآنية، والتدبر في السير النبوية وقصص الصحابة والتّابعين.

(1)- م.ع.أوزغلة : أخدم الجيل الجديد.وهدفي خدمة الجزائر حضاريا، هكذا تكلم الطاهر وطار، المجلد الرابع، مرجع سابق، ص37.
(2)- ينظر الطاهر وطار:أراه، مصدر سابق، ص 131، 132.

يعرّف الطاهر وطار في إحـــدى حـــوارته " برهما" على أنّـــه "خـــالق الكون عند الهندوس حسب "كتاب مانو ماستري" إذ يقولون أنّه عنـــدما أراد أن يخـــلق العالم تحول إلى رجل وإلى امرأة في نفس الوقت وباض بيضة في لمعان الشمس في الماء"[1] ما يدعم فكرة إطلاعه على بعض الكتب الدينية الأجنبية.

تضمن الخطاب السردي عند الطاهر وطار جملة من الأسماء الأجنبية لشخصيات سياسية عالمية ذات توجه شيوعي كحديثه "عن فكرة لجيميس ويليام"[2] في مذكراته وإيراده لـــكـــل من " كارل ماكـــس ولينـــيـــن "[3] في إحـــدى أعماله الروائية، "وتعقيبه عن ذلك في حوار له"[4]، والأمثلة عديدة ومتكرّرة سوف نتطرق إليها في موضـــع آخر.

تعـــددت تلميحات الطاهر وطار لبعض الكتب الأدبية الأجنبية في خطابته السردية أو حوارته، إما من خلال ذكر عناوينها، أو أصحابها، أو إبداء أراء نقدية فيها كاعترافه بتأثره وبنائه لنفسه من خلال" الملاحم الإغريقية ومن خلال دراسة نظريات الأدب"[5].كما أشار في مذكراته إلى" ترجمة ثروت عكاشة عن الأساطير الإغريقية"[6].

يعتبر الطاهر وطار "روية (الأم) لمكسيم غوركـــي، ورواية (لمن تدق الأجراس) لإرنست همنجواي من بين أهم الأعمال الروائية [7]. كما اعترف في حوار آخر أنه اتبع "أسلوب همنغواي في الرواية، وهو كما هو معروف يمتاز بالتّقـــشف في اللّغة واختيار

([1])- ابن الزيبان : أحالوني على التقاعد بسبب الزنجية والضابط :هكذا تكلم الطاهر وطار، المجلد الرابع، مرجع سابق ، ص51.
([2])- ينظر الطاهر وطار: أراه، مصدر سابق، ص 35.
([3])- ينظر الطاهر وطار : الشمعة والدهاليز، (د، ط)، موفم للنشر والتوزيع ،الجزائر، 2004 ، ص142.
([4])- عبد العزيز غرمول : مدار الزمن القادم: هكذا تكلم الطاهر وطار، المجلد الرابع، مرجع سابق، ص 121.
([5])- محمد شعير: هذا أن ببساطة: هكذا تكلم الطاهر وطار، المرجع نفسه، ص310.
([6])- الطاهر وطار:أراه، مصدر سابق، ص84.
([7])- ميلود بن عمار، زهية .م : ساعتان في ضيافة صاحب البرييه، هكذا تكلم الطاهر وطار، المجلد الرابع، مرجع سابق، ص172.

المفردة المعبّرة بذاتها، والّتي لا يسهل استبدالها بغيرها"[1].

كما أعجب الطاهر وطار بنصوص أجنبية وتقنياتها في الكتابة كـ" نص العظيم على الحضيض لمكسيم جوركينز، ودقة الوصف ومتابعة السرد وجزئيات الأحداث عند همنجواي، وتقنية السرد عند جون بول سارتر الّتي يعتمد فيها على عنصري البناء الفلسفي والتّحليل النفساني"[2].

بالإضافة إلى القراءة تلعب التّرجمة أيضا دور مهما في توجيه الصورة التي يبنيها كاتب ما لبلد أجنبي . ذلك أن تواتر التّرجمة إلى لغة معينة تفرض على الأديب أن يرسم صورة ايجابية عن الشعب المترجم إلى لغته–في اعتقادي– حتى يحافظ على اتصاله بجمهوره الأجنبي، ويلقى ترحيبا ورواجا في ذلك الوسط.

من بين اللغات الّتي ترجمت إليها أعمال الطاهر وطار نجد:الفرنسية، الانجليزية الروسية، الألمانية، البلغارية ،اليونانية، البرتغالية، الفيتنامية، العبرية،الأوكرانية"[3].

كما تم التّعرض إلى أعماله بالنّقد والتّحليل من طرف أقلام أجنبية كدارسة الباحثة الإنجليزية "دبي كوكس"[4]، ودراسة "روبرت لاند "[5]. كما دُرّست أعماله أعماله

–على حد قوله –" في مختلف المدارس الحزبية اليسارية، إلى جانب رواية الأم لغوركي ورواية العقب الحديدة لجاك لندن"[1]، أي أنه تعدى مجرد استقبال التأثير الأجنبي الأجنبي

([1])- م.ع.أوزغلة : أخدم الجيل الجديد ، هكذا تكلم الطاهر وطار، المجلد الرابع، مرجع سابق، ص38.
([2]) – ينظر عياش يحياوي : ما كنت لأكون كاتبا لولا الثورة التحريرية، المرجع نفسه ،ص99.
([3])- علي ملاحي: هكذا تكلم الطاهر وطار، المرجع نفسه، ص18.
([4])- ينظر دبي كوكس: روايات الطاهر وطار بين خطاب السلطة والنقد الاجتماعي،ت بوعلي كحال، مجلة التبيين ،العدد16،سنة 2000، ص63.
([5])- ينظر عبد العزيز بوباكير: الأدب الجزائري في مرآة استشراقية، (د، ط)، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2002، ص103.

إلى التأثير في الأجنبي في حدّ ذاته.

نستنتج مما سبق، أنّ الصورائية تعنـــى بدراسة الصورة الأدبية الّتي تـــعكس نظرة الآخـــر في أدب الأنا، أو العكس، أو الاثنين معا، ولقد كان لـــهذا النـــّوع من الدراســـة الأدبية باع معتبر ضمن الدراسات النّقدية الأدبية الجزائرية، مثّلته على وجه الخصوص عناوين فرعية ضمن دراسات عامة، أو دراسات خاصـــة اتخذت من موضوع الصورة الأدبـــية المقارنة موضوعا أساسيا لها.

إنّ صـــورة الجزائر الّتي احتوتها آداب بعـــض الأمم الأخرى، والّتي تم الكشـــف عنها بفضل جهود بعض الباحثين الجزائريين توفر أرضية خصبة لدراسة الصورة الأدبية المقارنة على نطـــاق واسع. يدعم هذه الأرضـــية من جهة أخرى تضمّن الأدب الجزائري على حضور معتبر لشخصيات أجنبية تشكل فسيفساء متناغمة تعكس الجـــانب الخيّر في الإنسان الأجنبي ، كما تفضح جانب الشر الكامن فيه .

تواشجت عـــدة عوامل ذاتية، وموضوعية في رفد تصور الطاهر وطار للأجـــنبي منها ما كان نتاج معايشة عينية، ومنها ما اتصل بالســـماع، والمشـــاهدة، والقراءة والتّرجمة. وفي الفصل الموالي سوف نقف عند ما أفرزته هذه العوامل من حضور لشخصيات أجنبية في خطاباته السردية.

([1])- الطاهر وطار:أراه، مصدر سابق، ص53.

الفصـــــــــل الثـــــــــاني :

صورة الشـــخصيات الأجـــنبية الذكـــورية

المبحث الأول:الشخصيات العسكرية

المبحث الثاني:الشخصيات السياسية

المبحث الثالث:الشخصيات المدنية

الفصل الثاني : صـــــــــورة الشـــــخصيات الأجنبية الذكورية

المبحث الأول:الشخصـــيات العسكرية:

1-القبطان:

أ- في قصة محو العار:

أول قبطان نصادفه في هذه القصّة، وفي الخطاب السردي عند الطاهر وطار هو قبطان مجهول الاسم، كثير الثناء على بلخير بطل هذه القصة الّذي تجند في صفوف العسكرية هروبا من الأوضاع المزرية الّتي كان يعيشها .

استدعى هذا القبــطان المغيب الصّفات بلخير إلى مكتــبه ليحاوره حول المتمردين الّذين ليسوا في نظــره ســوى " عصابات من المجرمين الهاربين من العــدالة، تحصلوا على أسلــحة بدائية مثل بنــادق الصّيد، والخناجر وراحوا يذبحون وينهــبون المدنيــين المساكين الّذين يطلــبون من السلــطات النّظامية بإلحاح أن تحفظ حــياتهم وأرزاقهم"[1].

يتحدث هذا الضابط من مركز قوة، مغرور، ومتغطرس يستغرب كيــف أنّ أولئك المتمردين ينــوون" إلــقاء فرنسا وجيوش فرنــسا في البحر"[2]، وهــو كلام لا يخــرج عن حديث المستعمِر الّذي يشــمل" القوّة والتّــوسع والاضطهاد"[3]إذا ما تعلّق الأمــر بالمستعمَر.

أخبر هذا القبطان بلخــير بنــبأ ترقيته إلى رتبة سرجان فهو " أوّل مســلم يبلغ هذه

([1])- الطاهر وطار: محو العار، دخان من قلبي، (د، ط)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص137.
([2])- المصدر نفسه ، ص 137 .
([3])- سعيد علوش : الرواية والإيديولوجية في المغرب العربي ، ط1 ، دار الكلمة للنشر، بيروت،1981، ص59.

الرتبة قبل أن يغــطي على الأقل أربع ســنوات في الجيش الفرنسي.."[4]، وهي إشارة واضحة إلى التّمييز العنصري الّذي كانت تمارسه السلطات الفرنسية بين الجــنود الجزائريين والجنود الفرنسيين.

عرض الطــاهر وطار هذه الشخصية عن طريق الحــوار، على مساحة ضــيقة من الرواية دون أن يهبها أي صفة من الصّفات الجسمية، أو حتىّ اسم ماعدا اسم المنطقة الّتي كانت تعمل بها، وهي منطقة (سور الغزلان).

أهم صفّة معنوية يتصف بها هذا القبطان بالإضافة إلى الغرور،هو التّظاهر باللطف في معاملته لبلخير، ففي الوقت الّذي كان يثني فيه عليه، كان يراقب في الوقت نفسه تبدل أساريره من وقع كلامه"وقد شعر بدوره بجذل وسرور لا يقلان عما شعر به بلخير..."[5].

إن المستعمِر يجنح إلى إيهام المستعمَر دوما بعدوله عن سياسته الخشنة فترى سلوك هؤلاء يتلطف–على حد قول فرانس فانون – "ويصطنع شيئا من الروح الإنسانية..وما ينفكون يضاعفون التأدب والتأهب إلى أن يشعر حقا أن ثمة تبدلا حدث".[6]وذلك استكمالا لمخططهم الرامي إلى جعل المستعمَر لا يشعر بإنسانيته خارج الحدود الّتي يضعها له المستعمِر.

ثاني شخصية للقبطان في هذه القصّة هي الكومندان ستيلان الموجود بفرنسا، والّتي خاطبت الجــنود الجزائريين الّذين بدأت تنازعهم الروح الوطنية بعد سماعهم لأخــبار بعض العمليات الثورية الّتي كانت تجري على أرض الوطن.

([4])- الطاهر وطار: محو العار، مصدر سابق ، ص137،138.
([5])-المصدر نفسه ، ص138.
([6])- فرانز فانون : معذبو الأرض، ت الدكتور سامي الدروبي ،مراجعة الأستاذ عبد القادر بوزيدة ، ط1، منشورات أنيب ، 2004، ص196.

صرح ستيلان للجنود الجزائريين عن معرفته لحقيقة المشاعر الّتي تعتريهم والأفكار الّتي تدور بخلدهم، فـــهم ليسوا سوى " ثوار في قلب المراكز العسكرية الفرنسية."[7]. كما طلب منهم في لهجة يعتريها بعض اللّين احترام التزامهم نحو فرنسا قائلا:"احترموا اللباس الّذي ترتدونه، وحين تنزعونه وتستبدلونه بأي لباس تشـــاؤون افـــعلوا وقولوا ما يحلوا لكم... ما يخـــطر لكم، ما ترونه لائـــقا"[8].

كان خطاب هذا الكومندان خطابا صادرا عن قائدا محنك، رأى في محاولة إقنـــاع وكسب عطف الجـــنود أنجع سبيل لثنـــيهم عما كانوا يفكرون به ، وينووون فعله، ويحمل هذا الخطاب في الوقت ذاته إدعاء فرنسا منح الحرية للشعب الجزائري الّذي ظلت تحمل شعاره، وتردّده في المحافل الدولية، ولكن منطق القوة الّذي كانت تمارسه على أرض الواقع (الجزائر) يقول عكس ذلك تماما.

ثالث شخصية للقبطان في هذه القصّة، هي شخصية الكولونيل الكورسيكي الذي استقبل بلخير في مكتبه بعد أن فحصه " بعينيه الضيقتين"[9]، وأمره بالجلوس بجـــواره وأخبره بسبب نقله إلى هذا المكان، وذلك بعد أن وصل إلى مسامع السلـــطات الفرنسية خبر نيته في الهروب بمعية بعض الجنود من السرية الّتي كان يعمل بها ، لذلك جاء أمر نقله ردعا له ولجعله عبرة للآخرين، كما أكد له في الوقت ذاته عن استحالة الاستـــغناء عنه، وشكره " باسم فرنسا.. "[10] على خدمته للجيش الفرنسي.

([7])- الطاهر وطار: محو العار، مصدر سابق ، ص150.
([8])- المصدر نفسه، ص151.
([9])- المصدر نفسه، ص165.
([10])- المصدر نفسه، ص166.

معنويا لا تختلف هذه الشخصية عن سابقيها في إدعاء اللّطف، ومعاملة المجند الجزائري معاملة حسنة، أما ما نعرفه عن صفاتها الجسمية فهو عيناها الضيقتان فقط وقد قدمت هذه الشخصية عن طريق الحوار البسيط.

آخر شخصية للقبطان في هذه القصّة، هي شخصية القبطان دي فيلان قائد السرية السادسة المتواجدة على خط شال .وقد رحب هذا القبطان كذلك ببلخير وأعرب له عن رغبته في ضمّه إلى فصيلة المسلمين الّتي ينوي تشكيلها بقيادة السولطنان بيرتي ولما وصل إلى مسامعه خبر يفيد بتفكير بعض الجنود الجزائريين في الهرب من السرية صرح قائلا: أنّه لا يريد " الأساطير العربية في السرية.."[11]، وغض الطرف عن الموضوع.

إن دي فيلان بكلامه هذا يومئ إلى اطلاعه على أقل تقدير على بعض الأساطير العربية الّتي يكتنفها الخيال كغيرها من الأساطير الأخرى، ورده بهذا الشكل المفحم بالاستهتار وعدم المبالاة، لهو إشارة واضحة إلى أنّ المستعمِر يجعل حتّى " أحلام المستعمَر في الحرية مستحيلة"[12]، لذا فهي تنازع الأسطورة في إمكانية حدوثها. هذا أهمّ ما يطبع صفاتها المعنوية. أما عن صفاتها الجسدية فلم يرد لها أي ذكر، ونتعرف على هذه الشخصية عن الطريق الحوار البسيط أيضا.

ب- في رواية اللاز:

كان سانتوز صديقا لزيدان ومنخرطا ضمن الحزب الشيوعي بمعية بعض الأجانب

([11])-الطاهر وطار: محو العار، مصدر سابق، ص171.
([12])- فرانز فانون، معذبو الأرض، مرجع سابق، ص90.

الآخرين. إسباني الجنسية غادر "وطنه منذ سنوات طويلـــة، بعد أن لبث أشهرا عـــدة، يروّع مواقع السفاحين بمـــدافع باخرته الّتي ابتلعتها أعماق البحر الأبيض المتوسط إثر معركة مع الطـــائرات الألمـــانية استمرت نصف يوم"[13]. لا سمات جسمية خُص بها هذا القبطان، وقد عرضت لنا شخصـــيته عن طريق السرد وبعـــض الحوار.

اتسم سانتـــوز معنويا بالشجاعة والتّمـــسك بمبادئه الّتي فضل الموت على أن يحيد عنها، شخصية مثقـــفة ظلت تسترجع قصـــة همنجواي (لمن تقرع الأجـــراس)، محبّة للجزائريين بدلالة صداقتها لزيدان، وقد امتد ذكر هذه الشخصية إلى رواية أخرى هي (رواية العشق والموت في الزمن الحراشي) الّتي تعتبر الجزء الثاني لرواية اللاز لكن حضورها كان حضورا مقتضبا لم يتعد نطاق التّلميح.

ج- في رواية العشق والموت في الزمن الحراشي:

حضر هذا القبطان الاجتماع الّذي جـــمع الشباح المكي* مع أهالي توقـــرت. وكان حضوره باهتا، بحيث لم يخصّه الكاتب لا بصفات جسمية أو معنوية، حتى أنه لم يشارك في متن الرواية إلا بجملتين اثنتين وردتا في سياق حواره مع الشباح المكي، عندما سأله هذا الأخير عن رأيه في الكلام الّذي قيل في الاجتماع فـــقال: " أهذا ما ستقوله في باقي الاجتماعات؟"[14] فـــرد الشباح المكي:" نعـــم ويشرفني أن تكون من جمهوري. أنت وترجمانك "[15].فرد القبطان قائلا: " ذاك موضوع آخر"[16]. وسبب الاعتراض الضمني لهذا

([13])- الطاهر وطار: اللاز، (د، ط)، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2004 ، ص 175.

(*) هو مناضل شيوعي ثوري.

([14])- الطاهر وطار : العشق والموت في الزمن الحراشي، (د، ط)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص 182.

([15])- المصدر نفسه، ص182.

([16])- المصدر نفسه، ص 182.

القبطان هو اتهام الشـــباح المكي لفرنسا بتقصيرها في سدّ حاجيات سكان تلك المنطقة.

والجدول التّالي يلخص أهمّ الصّفات الجسدية، والنّفسية الّتي طبعت هاته الشخصيات:

الشخصية	المتن الّذي وردت فيه	الصّفات الجسمية	الصّفات المعنوية	طبيعتها	جنسيتها
القبطان الأول	محو العار	لا يوجد	مغرور، يدعي اللطف	ثانوية	فرنسية
الكومندان ستيلان	محو العار	لا يوجد	يعامل المجند باللين واللطف	ثانوية	فرنسية
الكولونيل الكورسيكي	محو العار	عينان ضيقتان	يعامل المجند معاملة حسنة	ثانوية	فرنسية
القبطان دي فيلان	محو العار	لا يوجد	مثقف، مغرور	ثانوية	فرنسية
القبطان سانتوز	اللاز	لا يوجد	محب للجزائريين. متمسك بمبادئه	ثانوية	إسبانية
قبطان مجهول الاسم	العشق والموت في الزمن الحراشي	لا يوجد	لا يوجد	ثانوية	فرنسية

تشترك الشخصيات الّتي ظهرت تحت رتبة القبطان في انتفاء الصّفات الجسدية عنها، عدا الكولونيل الكورسيكي صاحب العينين الضيقتين.كما انفردت قصّة محو العار وحدها باحتوائها أربع شخصيات دون ذكر لتفاصيل تتعلّق ببناها الجسمية، ولعلّ الهدف من ذلك، هو نفس ما ذهب إليه فولكنر في روايته(الصخب والعنف) حينما أعطى" الاسم

الشـــخصي نفسه لشخصين مختلفين، ويفعل ذلك مرتين ... ليجبر الــقارئ على تعرّف الشخصيات من الداخل"[17].

وإذ اعتمدنا هذا الأساس، وأمعنا النّظر في دواخل هذه الشخصيات نلفاها تمثل صورة واحدة يطبعها الادعاء والتظاهر من أجل تحقيق غايتها الّتي هي غاية المستعمِر في حد ذاته. وتتماشى مع هذا المنحى شخصية القبطان الواردة في رواية العشق والموت في الزمــن الحــراشي.غير أن القبــطان سانتوز في رواية اللاز وإن كان يشـــترك مع الشخصيات السابقة في مسألة غياب الصّفات الجسمية، إلا أن الراوي رسمه رسما إيجابيا، إذ جعله محبّا للجزائريين وصديق لهم.

وقد طغى في تقديم هذه الشخصيات الحوار البسيط مع بعض السرد الخفيف. وبتتبع صيرورة هذه الشخصيات زمانيا ألاحظ أنّها في البداية كانت تشغل حضورا معتبرا مافتئ أن خفّ بعض الشيء في الأعمال الموالية، لكن صورتها بقيت ثابتة لم تتغير بالنسبة للقبطان الفرنسي، أو القبطان الّذي يعمل مع فرنسا.وهي صورة إيجابية إذا ما تعلّق الأمر بقبطان غير موالي للاحتلال.

2-الضابط:

أ- في رواية اللاز:

كان هذا الضــابط صديقا للاز، هذا ما يفــهم في بــداية إطــلالة هذه الشــخصية على ركــح هذه الرواية، إذ نلــفاه يبوح له بحــبه بلهــجة متوددة قائلا: " إني أحــبك لأشياء عديــدة.أنت لا تسكر مهما شربت، وتحسن لعب الحجر والورق، وتتــقن الشــتم

(17)- جان إيفا تاديه: الرواية في القرن العشرين ، ت محمد خير البقاعي، (د، ط)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د،ت)، ص53.

بالفرنـــسية والعربية معا.. "[18]. ثم يصرح له بعد ذلك بمرضه: "إنني مريض كما أفهمتك قبلا..لست مخنثا.. لقد أوجب الطبيب..إنه شيء ضروري لحياتي..إنه علاج لا غير.."[19].

وعلى الرّغم من أن هذا الضابط كان على علم بقيـــام اللاز بتـــهريب الجـــنود من سريته إلا أنه أبدا من اللين والتفـــهم ما يثير الشك والريبة في حقيقة هذه العـــلاقة الّتي تنجلي بعد ذلك على لسانه:" تعرفت عليه في اليوم الثـــاني من حلولي بهذه القرية اللعينة..لعبت معه الورق وسقيته طيلة أربع ساعات وسكرت قبله..أغلقت عليـــه الباب وأخرجت الغدارة وأمرته بنزع ثيابه ..كان مشدوها لا يدري لماذا ..عندما تعرى أجبرته على احتساء قارورة كاملة وسبقته إلى الفراش عاريا.. كان يهـــوي علي بالضرب كلما فرغ من مهمته حتى تعوّد "[20]. لتستحيل علاقة الصداقة الظاهرة في البـــداية إلى علاقة قائمة على الاستغلال الجنسي.

فكر الضابط الشاذ بالاستغناء عن اللاز،وانتداب شخص آخر يحل محله إلا أنّه عدل عن هذه الفكرة لأنّه في نظره " ..يحسن القيام بدوره، ويشرب كثيرا ولا تعتريه ذرة خجل.."[21].وقد كانت نهاية هذا الضـــابط على يد بعطوش* الّذي استعاض به مكان اللاز بعد فرار هذا الأخير.

قدم لنا الطاهر وطار هذه الشخصية عن طريق السرد الممزوج بالوصف، والحوار بنوعيه الخارجي والداخلي عرضا مجزأ، بادئا ببعض صفاتها المعنوية فالصّفات الجسمية

([18])- الطاهر وطار : اللاز، مصدر سابق ، ص61.
([19])- المصدر نفسه، ص61.
([20])- المصدر نفسه، ص 67.
([21])- المصدر نفسه، ص68.
(*)- بعطوش هو أحد الخائنين الذين يعملون في صفوف الاحتلال الفرنسي.

أي أنّنا نتعرف على هذه الشخصية تدريجيا، وهو ما يتماشى وأسلوب الطاهر وطار المتعارف عليه، إذ أنّه " لا يقدم شخصيات جاهزة تتحدّد ملامحها منذ البداية وإنما تنمو شخصياته نمو مطردا بما لا يتنافى حركة الواقع والتاريخ معا".[22] مما يجعلها أكثر عمقا وإقناعا. وتسموا عن كونها شخصية ورقية فقط.

تتلخص صفات الضـــابط الجسمية في كونه" في حدود الأربعين.... متوسط القـــامة أبيـــض البشرة... نحيف الجسم...على عيـــنيه الزرقاوين نظـــارات جـــميلة في إطارها الذهبي... ملامحه نسوية... في عنقه صـــليب ذهبي يتدلى من سلـــسلة رقيقة. ..أنامـــله قصيرة"[23]. بالإضافة إلى" شفتيه الرقيقتين الحمراوين"[24]، وكذا " الأسنان البيضاء الّتي كانت تطل من فمه"[25].

حافظ الطاهر وطار في انتقائه للصّفات الجسمية الخاصة بهذا الضابط على الصّفات الجسدية الّتي يتمتع بها الرجل الأوربي (زرقة العيون، البشرة البيضاء، الشعر الأصفر الشفاه الرقيـــقة، الهيئة الجميلة) ليعكس من خلالها ربما الجـــمال الظاهر الّذي يخفي من ورائه شخصية مهزوزة عاطفيا، مريضة نفسيا، ذلك أن الصورة الّتي ترسمها الذات للآخر–كما ذهب إليه سعيد بن سعيد علوي –" هي مزيج غريب متجانس من العـــواطف والأحكام، فقد تكون في الوقت ذاته تحمل مشاعر الاستـــبشاع والاستهجان والاستغراب من جهة، وتطفح بمشاعر الاستحسان من جهة أخرى"[26].

([22])- عامر مخلوف : تجارب قصيرة وقضايا كبيرة، مقالات نقدية، (د، ط)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص86.
([23])-الطاهر وطار: اللاز، مصدر سابق، ص210 .
([24])- المصدر نفسه، ص67.
([25])- المصدر نفسه، ص62.
([26])- سعيد بن سعيد العلوي: أوربا في مرآة الرحلة، صورة الآخر في أدب الرحلة المغربية المعاصرة، ط1، منشورات كلية آداب بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1415-1995، ص 11.

إنّ أهمّ صفة معنوية تطبع سلوك الضابط الشاذ هو كونه شخصية مخنثة تعي وضعها وعجزها، وهذا ما يظهر بوضوح من خلال حوارها الداخلي (مونولوج) الّذي تثبته المقبوسات التّالية:

-"وشعر بضحالته"[27].

-" إنه فلاق يستغل مرضي واستسلامي له كالعاهرة البئيسة"[28].

-"من اغتيال ضابط أرعن مثلي"[29].

إنّه شعور متبطن بالضعة والدونية لا يستطيع هذا الضابط أن يجهر به فـــ " ما هو سري أو مخجل هو دائما متبطن"[30]، كما أن اعتماد الحوار الباطني بالنسبة للشخصية – كما ذهب إليه الصادق بن الناعس قسومة – هو" .. ضرب من الحوار الصامت تـــتوجع به لذاتها توجع الأبكم أو تتعرى به أمام نفســـها شاكية أو حالمة أو ســـارحة في ضروب الحـــوار والأخـــيلة.. "[31].لذا كان هذا الضابط يتحسّر على ضعفه، وما اســـتتبعه ذلك من إذعان واستسلام لشخصية اللاز.

كما أن ضعف هذه الشخصية جعلها-على حد قول بشير بويجرة- شخصية" سريعة الغضب والانفـــعال، كما أبعد عنها ظاهرة الوقار المفتعل".[32] والّذي يسقط بمجرد أن يع القارئ قيام هذا الضابط بتفضيل مصلحته الشخصية على حساب مسؤوليته المهنية، بعدما تكتم عن حقيقة ما كان يفعله اللاز بجنود سريته.

([27])- الطاهر وطار: اللاز : مصدر سابق، ص 61.
([28])- المصدر نفسه ، ص68.
([29])- المصدر نفسه ، ص69.
([30])- إيغور كون :البحث عن الذات ،دراسة في الشخصية ووعي الذات ،ت الدكتور غسان نصر، (د، ط)، منشورات دار معد للنشر والتوزيع دمشق، 1992، ص 153.
([31])-الصادق بن الناعس قسومة : ملاحظات في علاقة الوصف بالحوار الباطني عند الطاهر وطار، هكذا تكلم الطاهر وطار، ج، ت، ا،علي ملاحي، المقام النقدي الثالث، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع, الجزائر، 2011/1432، ص47.
([32])-محمد بشير بويجرة : الشخصية في الرواية الجزائرية 1970-1973، (د، ط)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1986، ص185.

أخذ شذوذ هذا الضابط منعطفا آخر بعد فرار اللاز وقتله لأحد الجنود ، حيث سعى إلى الانتقام من كلّ من له صلة به، فقتل أمه وطلب من السرجان بعـــطوش الاعتداء على خالته حيزية أم قدور (صديق اللاز). وذلك بعد أن قتل بقرتها. صحيح أنّ بعطوش تردد في البداية إلاّ أنّه استجاب بعد ذلك لأمر الضابط الّذي راقه الأمر لدرجة أنّه كان يقهقه فرحا، وكأن سعادة الذات–كما ذهب إليه غريغوار منصور ومحمد صادق الحســـني– "لا يمكن تحققها إلا حينما تتماهى مع تعاسة الآخر، وتتوحد معها في علاقة وجودية"[33]. وهو ما يترجـــم تصرف الضابط الشاذ الســـاعي للإذلال النفسي لغريـــمه عن طريق انتهاك جسد أم صـــديقه.

لم يكتف هذا الضابط بما فعله، بل جعل من هذه الحادثة موضوع تسلية، سرد أحـــداثها على مـــسامع الجنود والمعمرين الساهرين في خـــمارة موريس، وهو يردد في قرارة نفسه" أن مضاجعة المحرّمات ألذّ شيء على الإطلاق.."[34].

إن شعور هذا الضابط بالنّقص والدونية والحقارة، هو ربما السبب الرئيس وراء تصرفه هذا، ذلك أن " قلق المغتصب وتعطّشه لتبرير الذات يدفعه إلى إطراء الذات عاليا وغرز الضحية في أدنى ما يستطيع"[35] حتى يعزز مكانته أمام نفسه، فهو إن كان شاذا فإنّ الاعتداء على المحرمات أكثر ضعة للنّفس البشرية من أي تصرف آخر، ولا تستسيغه جميع ثقافات العالم.

وعلى الرغم، من أن بعطـــوش حظي ببعض التّقـــييم الايجابي من قبل الضابط

([33])- غريغوار منصور لمرشو ، محمد صادق ،الحسني: نحن والآخر، ط1، دار الفكر دمشق ،رجب 1422أيلول (سبتمبر) 2001 م ، ص24

([34])- الطاهر وطار:اللاز، مصدر سابق، ص152.

([35])- ألبير ميمي : صورة المستعمر، ت ميشال سطوف مراجعة وإشراف سمير سطوف، (د، ط)،المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر 2007 ، ص57 .

الضابط الشاذ، نظرا للمساعدات الجليلة الّتي قدمها له، إلا أنّ هذا التّقييم ظل مرتبط "بنقص نفساني أو إثيني"[36].وهو ما يبرز بصورة جلية في موقف الضابط منه عندما همّ بوضع سترته على جثة الضابط المقتول حيث هبّ صارخا في وجهه : " لا تمسسه أيها القذر. أبعد سترتك النتنة... كلكم فلاقه. كلكم أعداء. لا تمسسه.."[37].

خاطب هذا الضابط بعطوش بصيغة الجمع،على الرغم من أنه شخص واحد فالمستعمر لا يوصف "أبدا بصيغة متمايزة كما ليس من حقه سوى الذوبان في الكم المجهول"[38]. وهذا ما دأب عليه الضابط الشاذ منطلقا من " صورة مشوهة ترسبت في ذهنية العدو عن شخصية الجزائري فوصفت بكل النعوت قصد النيل منها وإخضاعها إلى منزلة السيد بالمسود والحاكم بالمحكوم "[39]، ولأن المستعمِر إنسان استعراضي –كما ذهب إليه فرانس فانون– فإن" ...اهتمامه بسلامته يحمّله على أن يذكر المستعمَر جهارا بأنه هو السيد"[40]، وعليه أن يحترم ويتقيد بالمسافة الموجودة بينهما وأن لا يفكر البتة في تجاوزها، وإن فعل ذلك فسوف يدفع حياته ثمن تجاوزه هذا.

كما يمكن أن يتسع نطاق موقف المستعمِر من المستعمَر ليشمل كل ما يحيط به "سواء تعلّق الأمر ببلاده البشعة أو الساخنة جدا، أو الغريبة البرودة، الكريهة الرائحة ذات المناخ الفاسد، والجغرافيا الميؤوس منها، إلى درجة الحكم عليه بالاحتقار، والفقر والتبعية للأبد "[41]، وهذا ما تؤكده المقبوسات التّالية:

([36])-ألبير ميمي : صورة المستعمر، مرجع سابق، ص 88 .
([37])- الطاهر وطار: اللاز، مصدر سابق ، ص104 .
([38])- ألبير ميمي : صورة المستعمر، مرجع سابق،.ص89
([39])- الحاج محجوبي عرابيي: دراسات في القصة الجزائرية المعاصرة ، ط1، منشورات إبداع ، 1993، ص54.
([40])- فرانز فانون : معذبو الأرض، مرجع سابق، ص46.
([41])- ألبير ميمي : صورة المستعمر، مرجع سابق ، ص71 .

-تعرفت عليه في اليوم الثاني من حلولي بهذه القرية اللعينة"[42].

-"ويوم يتقرر رحيلي من هذه القرية البغيضة "[43].

إنّ الصفات المرفولوجية الّتي وهبها الطـــاهر وطار لشخصية الضابط الشاذ هي أقرب إلى الصّفات الأنثوية منها إلى الصفات الذكورية، وهذا ما يدل عليه المقبوس التالّي:"استقرت عيناه على سرير ليس هـــناك سوى جثـــة ممدة بيضاء، ناصعة البياض بضة، طرية. وتنهد "[44]، أي أنـــه أنزله منزلة الأنثى في السرير، وهو ما يتمشى مع ما ذهبت إليه بعض الأعمال الروائية العربيـــة الّتي عالجت العلاقة بين الغرب والشرق فيما يعرف بالـــرواية الحضارية أو الرواية الأنثروبولوجية، على شاكلة رواية توفـــيق الحكيم (عصفور من الشرق) في علاقة محسن بمارية دبـــورا، ورواية الطيب صالح (موســـم الهجرة إلى الشمال) في علاقة بطله مصطفى سعيد مع ليليان ومارغيت وجانين مونتري وغيرهن.

بحيث أجمعت هذه الروايات -كما توصل إليه جورج طرابيشي – إلى" أن الصراع الأزلي -الأبدي بين الشـــرق والغـــرب هو عينه الصراع الأزلي- الأبدي بين الرجولة والأنوثة، وكذلك بين المـــثالية والمادية"[45]. وإن كانـــت تلك الروايات قد تنـــاولت هـــذا الصـــراع في علاقة طبيعية (بين رجل وامرأة) فإن الطاهر وطار في عمـــله هذا، شذّ عن هذا الاتجاه (رجل ورجل). ربما ليجسد المستعمِر ككل في شخـــصية هذا الضابط

([42])- الطاهر وطار: اللاز، مصدر سابق، ص67.
([43])- المصدر نفسه ، ص68.
([44])- المصدر نفسه، ص211.
([45])- جورج طرابيشي : شرق وغرب ، رجولة و أنوثة ، دراسة في أزمة الجنس والحضارة في الرواية العربية، ط4، دار الطليعة ،بيروت 1998، ص28،29.

وما الّذي يمنع ذلك مادام لم يرد لهذه الشخصية اسم محدد يخصّها.

وهو ما ذهب إليه صلاح فضل في تفسيره لهذه العلاقة الّتي تمـــثل من وجهة نظره إدانة " للحضارة الغربية في مرحلتها الاستعمارية بسقوطها في تناقضاتها مريعة وافتقاد هويتها الإنسانية وعدّها (حضارة مخنثة) تزعم تمسكها بالإنسانية ذات النعومة المفرطة وتنسب لنفسها احتـــكار دعاوي المحبة والسلام، والعمل على تحضير الشعوب المتخلفة وترتكب بحق تلك الشـــعوب أبشع أشكال الإبادة الجماعية الممنهجة لتظل آخر المطاف حضـــارة الغايـــة الّتي تبرر الوسيلة"[46]. فيما يعرف بالانـــتداب، والحماية الّتـــي ما هي في الحقيقة سوى حجج واهية تذرعت بها لبسط نفوذها على الأراضي العربية.

على خلاف ما ذهب إليه صلاح فضل، فإن هذه العـــلاقة لا تعدو في نظر ليـــنة عوض سوى"محاولة تعويضية للإحساس بالدونية الّتي رافقت العرب أمام الغرب وجعلتهم دائما في حاجتهم، إما خاضعين للنموذج الحضاري الّذي يمثلونه، فهنا قلبت المعايير: النقص يلازم الآخر، وهو في حاجة دائمة للنموذج العربي "[47]. أي أنّ الطاهر وطار وظف هذه العلاقة الجنسية كـــ" استعارة تعويضية مع الغرب ، بافتراض أنّ هذا الأخير هو الطرف السلبي"[48]، ولأن هذه الصورة قائمة على الافتراض كما تزعم لينـــة عوض" فلا الآخر في مرآة الـــذات ضمن هذا الإطـــار هو الآخر حـــقيقة، ولا الذات في مرآة الذات ، هي الذات الحقيقية "[49].

لكنني أرى خلاف ما ذهبت إليه الدكـــتورة لينة عوض، فالطاهر وطـــار في رسمه

([46])- صلاح فضل : سرد الآخر، الأنا والآخر عبر اللغة السردية، ط1، المركز الثقافي العربي ،2003، ص111 .
([47])- لينة عوض : تجربة الطاهر وطار الروائية بين الأيديولوجيا وجماليات الرواية، (د، ط) ، منشورات أمانة عمان الكبرى ،2004، ص 197.
([48])- المرجع نفسه، ص196.
([49])- المرجع نفسه، ص 198.

لهذه الشخصية لم يناف تماما ما كان عليه المستعمِر في حقيقته الّتي احتوتها الكتب التاريخية، وأثبــتتها شهادات حية للأشخاص عايشوا الثورة الجزائرية وما تعرضوا له من استغلال وانتهاك- لذا في رأيي-أنّ ما ذهب إليه الدكتور صلاح فضل هو الأقرب إلى الصواب، خاصة أنّه لا يكيل اتهاما للحضارة الغربية ككلّ، وإنما يخصّ نزعتها الاستعمارية فقط.

ب- في رواية الشمعة والدهاليز:

كان بول يجوب إحدى المناطق القروية مع عساكره عندما لفتت انتباهه شابة بدوية جميلة، فقرر الحصول عليها، وما إنّ لمحته العارم حتّى فهمت مراده وأدركت أنها واقعة لا محالة، لذا عليها الاختيار بين الانتحار،أو خوض هذه المغامرة الغير محمودة العواقب و كان هذا اختيارها.

استطاعت العارم أن تستدرج بول بعيدا عن رفاقه حتّى وصلت به إلى شجرة جلسا تحتها، موهمة إياه بالتجاوب معه و"لم يدري كيف لوت على زنديه بحزامها الصوفي وراحت توثقه، حصل ذلك في لحظات قلائل وكما لو أنه في حلم، تجري فيه الأحداث بلا زمان.حاول أن يخلص ذراعيه، ويستعيد المبادرة، إلا أنّه لم يفلح..كانت قد قفزت وتناولت الرشاش، وطعــمته بخرطوشة، وأمرته قدامي عند مختار يا ولد الزانــية"[50].

قدمت هذه الشخصية عن طريق السرد والوصف والحوار، كما منحت صفات جسمية، وأخرى معنوية فهو "شاب في مقتبل العمر.... على كتفه شارات رتبة عسكرية وبندقية رشاشة. ويبدو أنه قائــد الدورية، ذلك أن المجموعة الّتي تصطــحبه، لم تجرؤ

([50])- الطاهر وطار : الشمعة والدهاليز، مصدر سابق، ص39.

على منافسته.."[51].وهو تشبيه أقرب إلى الصّقة الحيوانية منه إلى الإنسان، فكأن هذه المجموعة العسكرية مجموعة من الحيوانات الّتي تعيش في جماعات كالأيل مثلا، أين يفرض قائد الجماعة سلطته وسؤدده على بقية الذكور الآخرين. بالإضافة إلى رتبة بول العسكرية وشبابه كان له أيضا"شعر أصفر وعينان زرقاوان"[52].

إن أول ما يقبلنا من صفات بول المعنوية، هي صفة الاعتداء الّتي تعتبر صفة لصيقة بالمستعمِر فالرجل الأبيض –كما يذهب إليه ألبير ميمي– " يعــتقد ويتصرف على أساس أن جميع نساء المستعمَر مباحات له "[53]، لذا كان بول يجري وراء غريزته في الاعتداء، وهو" يقهقه جذلا"[54] لدرجة أنّه لم يع ابتعاده عن شلته، إلا بعد أن وقع أسيرا بين يدي العارم، الّذي كان بمثابة عقاب يتوافق وأفق انتظار القارئ كجزاء لهذه الشخصية المعتدية ، لكنه انطباع سرعان ما يزول عندما يفصح الطاهر وطار عما كان يجول بفكرها.

كان بول يظن في البدء، أن من وراء انصياع العارم له هدف آخر، ربما " أنّها ستطلب منه نقود، أو أنّها سترحل معه هاجرة، إلى غير رجعة دوارها وأهلها"[55]، وعندما تذكر دمعتيها اللتين ترقرقتا وسقطتا على صدره شعر"بالشفقة نحوها"[56] .

ثم راح بعد ذلك ينــاجي نفسه قائلا:" لست وحشا مع ذلك. أنا عسكري فرنــسي في جيش يحارب ليل نهار، لكنني مع ذلك، ولد باريس، وولد السوربون. مهما رمتني

([51])- الطاهر وطار : الشمعة والدهاليز، مصدر سابق، ص35.
([52])- ينظر المصدر نفسه، ص38.
([53])- جورج طرابيشي : شرق وغرب، رجولة و أنوثة، مرجع سابق، ص10.
([54])- الطاهر وطار : الشمعة و الدهليز، مصدر سابق، ص38 .
([55])- المصدر نفسه، ص41.
([56])- المصدر نفسه ، ص41.

وإياها الأقدار في هذا الدهليز المظلم، فهناك بقايا ضمير، صقلتها خمسة قرون من رقيق الشعر. حين كانت تعبث بشعري لم تكن لا عربية ولا مسلمة، ولا أجنبية عني..جئت أقاتل أهلها..لا تعرف لغتي. ولا أعرف لغتـــها،من حـــقها أن تقـــتلني، أن تأسرني أن تفـــعل بـــي ما تـــشاء بعد ذلك، فقد عـــشنا في لحـــظات قصـــار كل ما في بشـــريتنا من غرائز الحب والبغض وإني لفخور بذلك "[57].

يبدو بول انـــطلاقا من هذا المقبوس رقيـــق المـــشاعر رومانســـي وحـــساس، إذ في لحظة تماهى ذلك الخط الفاصل بين المستعمِر والمستعمَر ليحل محله شعور إنساني نبيل مغرق في الرومانسية, مما يجـــعله فوق احتمال هذه الشـــخصية نوعا ما، فليس من السهل أن يتحول الإنسان في لمح البصر من معتدي أثيم إلى مغرم ولهان –إن صح التعبير– دون مسوغات موضوعية تبرّر ذلك.

وما ضخم من حمولة هذا التّصوير أيضا، هو نظرته للعـــارم الّتي كانـــت ســـبب اعتقاله بحيث لم يعتر هذه النـــظرة " أية عـــداوة أو كراهـــية، ولا حتـــّى شـــعور بالحقد .."[58] بل إنّه لم يرفع ناظريه عنها طيلة مسيرة الطريق، مبـــديا في الوقت ذاته استسلاما تاما لمصيره و"...كأنما كان ينتظره منذ دهر طويل"[59].ربما لأنّ المستعمِر يصل إلى مرحلة ما يعي فيها " .. حقيقته كمغتصب في أعين أبناء المستدمرات كما في نظره بالذات"[60]، لذا فهو بين خيار أن يَقْتُل أو يُقْتَل، وإن كان الثّاني هو ما يُؤرقه.

([57])-الطاهر وطار: الشمعة والدهليز، مصدر سابق، ص41.
([58]) المصدر نفسه، ص42.
([59])- المصدر نفسه، ص42.
([60])- ألبير ميمي: صورة المستعمر، مرجع سابق، ص13 .

والجدول التّالي يلخص أهمّ الصّفات الجسدية، والنّفسية الّتي حظيت بها هاتين الشخصيتين:

الشخصية	المتن الّذي وردت فيه	الصّفات الجسمية	الصّفات المعنوية	طبيعتها	جنسيتها
الضابط الشاذ	اللاز	متوسط القامة، أبيض البشرة ، نحيف الجسم عينـــان زرقـــاوان ملامح نسوية ، أسنان بيـــضاء ، شفـــتان رقيقتان حمراوان.	شاذ ، معتدي مستهتر بكل المبادئ والقيم استغلالي	ثانوية	فرنسية
بول	الشمعة والدهاليز	شاب، عينان زرقاوان شعر أصفر.	لطيف رومانسي عاطفي	ثانوية	فرنسية

تتفق شخصية الضابط في رواية اللاز مع شخصية الضابط في رواية الشمعة والدّهاليز في كون كليـــهما مثقـــف ثقـــافة أدبـــية فالأول" كان طالـــبا بكـــلية الآداب"[61] والثّاني " ولد السوربون"[62] ويميل إلى الشعر أيضا.

كان الـــضابط في رواية اللاز شخصية شاذة عاجزة ظالمة تكاد تجمع كلّ صـــفات المستعمر قاطـــبة فيه، وربما لذلك " حاول الطاهر وطار أن يتفـــنن في إيصال شـــذوذه

([61])- الطاهر وطار: اللاز، مصدر سابق، ص72.
([62])- الطاهر وطار :الشمعة والدهاليز، مصدر سابق، ص41.

إلى القارئ حتّى يولد في أعماقه نفــورا وكراهية قــوية نحو الفرنسيين الاستعمارين "[63] كما أنّ القارئ لا يشعر نحوه بالشفــقة للمصير الّذي لاقاه على يد بعطوش. وعلى الرّغم من استغلال هذا الضابط للاز إلا أنّ هذه العلاقة جعلت من هذه الشخصية الشقية المتمردة شخصية صالحة تنخرط في صفوف جبهة التحرير الوطني .

على عكس ذلك تماما، نجد أن بول شخصية حساسة مرهفة الحسّ مثالية إلى حدّ بعيد تمثل لب طيب ملفوف في قشرة عسكرية، وتصويره الايجابي يوحي بأن" رفض الآخر في صورته الاستعمارية لا يعني رفضه في صورته الإنسانية والحضارية"[64]، وهو تصوير قلما نجده في أعمال أخرى تــناولت حقبة الاحتلال. كما يدل في الوقت ذاته على تحسن صورة الضابط في مخيال الطاهر وطار.

نلفى في نفس الروايــة التّي ضمت هذه الشخصية (أي بول) إشارة إلى التــقارب الإنساني يتــضح مدلوله في العبارة الّتي وردت على لسان الشــاعر الشيوعي* يقول: "ترى بم سيحاكموننني، ومن أكــون ؟ دوناتوس ؟ خالد بن الوليد بعد إخماد فتــنة الردة؟ طارق بن زياد بعد فتح الأندلس ؟ موسى بن نصير ؟ جان درك ؟ نابليون بونــابرت ؟؟ أو موسولينني ؟ أبوليوس في طرابلس متهما بجماله؟ أبا ذر الغفاري متهما بالســير وحده ؟ غاليــلي متهمــا برؤية الأرض مكــورة"[65]. جمع الطــاهر وطــار في البوتقة في البوتقة نفسها مشاعر التّردد، والحيرة، والألم ، والندم، والاتهام الباطل، لشخصيات

([63])- أحمد شريبط: دراسات و مقالات في الأدب الجزائري، (د، ط) ،المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر،2003 ، ص155.
([64])- لينة عوض : تجربة الطاهر وطار الروائية ، بين الأيديولوجيا وجماليات الرواية، مرجع سابق، ص204.
(*)- هو بطل رواية الشمعة والدهاليز.
([65])-الطاهر وطار:الشمعة والدهاليز، مصدر سابق، ص 195.

أجنبية مع شخصيات عربية، كَوْن وقعها واحد على النفس البشرية، مهما تعدّدت أصولها واختلفت انتماءاتها.

3-الجندي:

أ- في قصة محو العار:

كان السلطينان بيرتي يعمل بسرية السادسة مع القبطان دي فيلان، وقد استطاع بلخير بكل سهولة أن يكسب ثقته ويستغلها فيما يخدم مخططه في الهروب من السرية مع بعض الجنود الجزائريين.

قبل إجراء العملية العسكرية بفترة قصيرة، تحدث بيرتي مع بلخير عن العملية المزمع القيام بها في هذا المكان للإيقاع بالفلاقة-على حد قوله- كما أعرب له في الوقت نفسه أنّهما" أولا وقبل كل شيء صديقان"[66]. وهو تلميح إلى أنّ الجندي الفرنسي لا يأنف من مصادقة الجندي الجزائري مادام أنّه رجح كفة المستعمِر، وباع قضيته مقابل راتب شهري وزيّ عسكري. لم يرد لهذه الشخصية أي وصّف جسدي كما بقي مصيرها مجهولا في هذه القصة.

أشرف الكابران مير على العملية العسكرية الّتي كانت ستنفذ على خط شال وقد تمكن رفقاء بلخير من قتله بكل سهولة" فسقط طريح الأرض تنزف منه الدماء"[67] دون مقاومة تذكر.

أما الملازم مالافال فقد قدم" من المريج "[68] للمساعدة في عملية عسكرية إلا أنّه

([66]) - الطاهر وطار: محو العار، مصدر سابق ، ص177.
([67])- المصدر نفسه، ص183.
([68])- ينظر المصدر نفسه ، ص 180.

من طرف بلخير ورفقائه.

ب- في قصة من يوميات فدائي:

تتعلق الشخصية الأولى للجندي في هذه القصة بحارس مجهول الاسم لمركز عسكري فرنسي استطاع البطل الجزائري أن يستغفله، ويدخل إليه بكل سهولة فيما اكتفى هو بالنظر إليه" في بلاهة"[69]كما حيّاه "بلا مبالاة"[70].

حافظ المخزن هو الشخصية الثانية الواردة في هذه القصة، وقد استقبل البطل الجزائري ورحب به بحرارة كما لو كان يعرفه" من ألاف السنين"[71].

بعد أن لبّى طلبه ومدّه بالسلاح، وهمّ بالمغادرة خاطبه قائلا:"هكذا تتصرف بكل بساطة"[72]، فشعر البطل الجزائري بخوف سرعان ما تبدّد عندما أكمل حافظ المخزن كلامه:" منذ استشهد رفيقك الدلال، انقطع عني الخيط، ولم أدر كيف أربط الاتصال هذه البذلة للضابط الّذي أرسلته لكم ،إنك جميل بها، إنّي فرنسي تقدمي، سحبت من المعمل لأجند للتقتيل، هيا أوثقني بهذا الحبل وكمم فمي وغادر المركز بسرعة"عانقه البطل الجزائري وشعر كأنه يعانق" كلّ البشرية"[73]،وقد قدمت هذه الشخصية عن طريق الحوار دون ذكر لصفاتها الجسدية.

ج- في رواية اللاز:

اقتاد الملازم ستيفان اللاز إلى قاعة التعذيب وأشرف على تعذيبه بنفسه، بحيث

([69])- الطاهر وطار: من يوميات فدائي، الطعنات ، ط3، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر،1981 ، ص 43.
([70])- المصدر نفسه، ص 43.
([71])- المصدر نفسه، ص44.
([72])- المصدر نفسه، ص44.
([73])- ينظر المصدر نفسه، ص44.

كانت هذه العملية تسير وفق مراحل ثلاث تبدأ "بإيثاق المعتقل على طاولة خشبية مثبت على سطحها مسامير حادة، ثم يشرع بعد ذلك في جلّده ، تليها بعد ذلك عملية الغطس في الماء مع استعمال الكهرباء، وأخيرا مرحلة اقتلاع الأظافر"[74]، لمن تسول له نفسه عدم الاعتراف، فقد كان الآخر بالجزائر-على حد قول سعيد علوش-" أكثر ثقة بنفسه وأكثر سلطوية إذ قوى احتلال قرن وربع من شوكته وتجريب أسلحة، وإعطاء مشاهد يبقى الأنا أمامها منبهرا"[75].

استغرب ستيفان من لطف الضابط الشاذ مع اللاز حتى" في أسوء الظروف"[76] ولكنه رغم ذلك تقيّد بأوامره،من بينها إحضار الشراب له بعد أن سكر قبله، وشرع يردد في أغنية هذا مقطعها :" دن دن.. فرنسا أجمل من إيزيس..دن دن الحرب أقذر من التيفيس دن دن... سأشرب معك أيضا يا اللاز. دن دن رغم أنني مستعد لجلدك في كل وقت ..دن دن لأنك فلاق تعيس"[77].

يبدو ستيفان من خلال هذه الأغنية متذمرا من هذه الحرب، متحامل على اللاز لأنّه يمثل طرفها الآخر، بالإضافة إلى ذلك يتصف ستيفان بالقسوة لدرجة أنه كان يستلذ التعذيب دون أن يرف له جفن. وقد لقيت هذه الشخصية مصرعها على يد مجموعة من الفدائيين جاؤا لتحرير اللاز"دون ضجيج أو صراخ"[78]. واعتمد الطاهر وطار في عرضها على السرد والحوار مهملا صفاتها الجسدية.

([74])- ينظر الطاهر وطا ر: اللاز، مصدر سابق ، ص64.
([75])- سعيد علوش : الرواية والأيديولوجية في المغرب العربي ، مرجع سابق ، ص 43.
([76])- الطاهر وطار : اللاز، مصدر سابق، ص74.
([77])- المصدر نفسه، ص 80.
([78])- المصدر نفسه، ص80.

الجندي الثاني هو حارس سرية الضابط الشاذ الّذي أعار اللاز ورفقاؤه وهم ينوون الخروج من المركز" نصف التفاتة، ثم ولىّ يتابع حركة الحشرات المتداخلة حول أنبوبة النّور المتدلية فوق رأسه"[79]،ولكن اللاز أثار ارتيابه بسبب البذلة الواسعة الّتي كان يرتديها فطلب منه التوقف إلا أنّ الفدائيين الّذين كانوا بصحبته أردوه قتيلا.

كان بول(الجندي الثالث) يرابض بإحدى مراكز المراقبة حين فاجأه اللاز ورفقاؤه وما إن لمس حقيقتهم حتى" اعتراه نوع من الخوف، واضطرب قلبه وأقشعر بدنه ووهنت أوصاله وتراخت عضلاته وأحس بأنفاسه تختنق وقرر أن يتمثل ..غير أنه فاجأته خاطرة، إنّه ميت لا محالة وما أروع أن تقتل فلاقا قبل أن تموت ... "[80], وهي إشارة تعظيميه وسم بها الطاهر وطار المجاهدين الجزائريين، بعد أن جعل أمر قتلهم أمنية صعبة يحلم بتحقيقها الجندي الفرنسي.

بدا بول بعد ذلك"كالذئب المحاصر يتصرف بغريزة عجيبة وأفسح له محاصراه المجال بالاطمئنان الّذي كانا يبديانه واعتدادهما بوضعهما، ليقتل قبل أن يموت"[81] لكنه قُتِل في الأخير"وهذى من أعماق قلبه: قتلت فلاقا قبل أن أموت "[82]. يتصف بول معنويا بالجبن، والتّهور، والاندفاع.وقد عرضت شخصيته عن طريق الوصف والسرد دون ذكر لصفاتها الجسدية.

د- الجنود عامة:

يتسم الجنود الفرنسيون بالقسوة والاعتداء، وهذا ما أفصح عنه الطاهر وطار

([79])- الطاهر وطار: اللاز، مصدر سابق، ص64.
([80])- المصدر نفسه، ص 113.
([81])- المصدر نفسه، ص113.
([82])-المصدر نفسه ، ص 114.

في خطابه السردي، وعبّر عنه من خـــلال عدة صور ومشاهد، كمشهد الجنديين اللـــذين كانا" يجران اللاز من ذراعيه، وثمانية يستحثونه السير، باللكـــمات والضرب بمؤخرات البـــنادق..."[83]، وكـــذا الإشـــارة إلى ما ارتكـــبه الفرنسيون غداة احتلالهم للجزائر بحيث " ... قتلوا كل قادر على حمل السلاح وحبلوا النساء"[84].

ولم يســـلم من بطشهم و جبروتهم حتى الحيوان مثل ذلك الحمار الّذي"... كان واقفا يحاول فهم ما يجري حوله، مرت طائرة منخفضة فوقه...رشـــته بحبل من الرصاص ...حبل أحمر....ظل المسكين واقفا لحظات، ولما حاول أن يتقدم انـــشطر إلى اثنين"[85].

تتلخص الصّـــفات الجسدية للجنود الأمريكيين بكونهم " حليقوا الرؤوس، يملأ الوشم الملون زنودهم، وأكتافهم وصدورهم"[86].معنويا هم متذمرون من الحرب الّتي أقحموا فيها فتراهم يستغلون كل فرصة تتاح لهم للفرار منها مثل ما قام به ضابط" برتـــبة نقيب خرج هو وفرقته، في اتجاه الحدود التركية "[87].

ينصاع الجنود الأمريكيون للأوامر العليا انصياعا تاما حتى ولو كان "بالانبطاح على بطونهم والتزام الصمت في جميع الأحوال ومهما كان الأمر وأن لا يتناولوا طعاما أو شرابا حتى يتبين الأمر"[88]، وهم بهذا التّصوير الساخر يبدون في منتهى الخضوع والخـــنوع لسلـــطتهم من جـــهة، وفي منتهى الذعر والخـــوف من مجـــريات الحرب من جهة أخرى .

([83])- الطاهر وطار : اللاز، مصدر سابق، ص13.
([84])- الطاهر وطار:الزلزال، (د، ط) ، موفم للنشر، الجزائر، 2007 ، ص 142.
([85])- الطاهر وطار :اللاز، مصدر سابق، ص36.
([86])- الطاهر وطار: الولي الصالح يرفع يديه بالدعاء، (د، ط)، موفم للنشر، الجزائر،2007 ، ص17.
([87])- المصدر نفسه، ص57.
([88])- المصدر نفسه، ص43.

يتسم الجنود الأمريكيون بالإضافة إلى ما سبق، بسرقة أشياء" ... ثمينة مثل الحلي والتحف.. "[89]، وهو تلميح ضمني إلى ما أشيع عن قيام جنود الاحتلال الأميركي بنهب البيوت العراقية أثناء الاحتلال تحت غطاء التفتيش.

والجدول التّالي يلخص أهمّ الصّفات الجّسدية و النّفسية الّتي ميّزت هذه الشخصيات:

الشخصية	المتن الّذي وردت فيه	الصّفات الجسمية	الصّفات المعنوية	طبيعتها	جنسيتها
بيرتي	محو العار	لا يوجد	يعامل المجند بلطف	ثانوية	فرنسية
مير	محو العار	لا يوجد	لا يوجد	ثانوية	فرنسية
مالافال	محو العار	لا يوجد	لا يوجد	ثانوية	فرنسية
الجندي الحارس	من يوميات فدائي	لا يوجد	أبله،غير مبالي	ثانوية	فرنسية
حافظ المخزن	من يوميات فدائي	لا يوجد	محب للجزائريين غير راض على الاحتلال	ثانوية	فرنسية
ستيفان	اللاز	لا يوجد	سكير، قاس	ثانوية	فرنسية
الحارس	اللاز	لا يوجد	أبله	ثانوية	فرنسية
بول	اللاز	لا يوجد	جبان متهور	ثانوية	فرنسية
الجنود	الولي	حليقوا	التذمر	ثانوية	أمريكية

([89])- الطاهر وطار: الولي الصالح يرفع يديه بالدعاء، مصدر سابق، ص56.

الأمريكيون	الصالح يرفع يديه بالدعاء	الرؤوس.يشمون زنودهم وأكتافهم وصدروهم	الجبن الانصياع النهب السرقة		

تتلخص الصّفات المعنوية للجنود بـــ: التظاهر باللطف، البلاهة، عدم المبالاة السكر، القسوة، التّعدي على الشرف، السرقة، النّهب، التذمر ، تسقط صريعة بكل سهولة عندما تكون بمجابهة شخصيات الأنا الجزائري، كما قد يساعد بعضها الثوار الجزائريين.

وقد سقطت صفاتها الجسدية من اهتمام الطاهر وطار وركز على تصرفاتها بالدرجة الأولى لأنّ " الروائي يريد إقناع القارئ بما حدث له ولقومه نتيجة ظلم الجنـــد ليصل إلى تنفير القارئ من الجندي الفرنسي...."[90]، كما أنّ الاحتكاك الّذي كان بين الجنود الفرنسيين والجزائريين على-حد قول عبد المجيد حنون -هو" احتكاك المجابهة لا المعايشة".[91] لذا من البـــديهي أن لا يُرى من العدو سوى أفعاله المشينة بحق أبناء المستعمَر،غير أنّ هذا الحكم لم يكن حكما مطلقا شمل كلّ الشخصيات، بل نلفى لشخصية حافظ المخزن التقدّمي حضورا ايجابي، من خلال موقفها النـــبيل من القضية الجزائرية.

4- الدركي ومدير السجن:

أ - في قصة محو العار:

رافق هذا الدركي بلخير عشية تجنده في العسكرية، وعامله بكل لطف ليشد أزره ويدعم قراره في الالتحاق بالجيش الفرنسي ضد أبناء وطنه، وهذا ما يؤكده المقبوس

([90])- عبد المجيد حنون: صورة الفرنسي في الرواية المغربية، مرجع سابق، ص133.
([91])- المرجع نفسه، ص133.

التّالي: "لقد لاحظت لهم في ملفك أنك فرنسي لحما ودما وذكرت أنك ربيت في عائلة فرنسية ..إنّي أعلق عليك أمالا عريضة وأعتقد أنك ستكون عند حسن ظننا بك"[92].وقد تم عرض هذه الشخصية عن طريق الحوار.

ب- في رواية العشق والموت في الزمن الحراشي:

هو دركي برتبة ضابط، استجوب شباح المكي وأبدى تعاطفا معه، موقف يعكس كيف أنّ" الفرنسيين الّذين يتواجدون على مؤسسات الحكم ومصالحه في الجزائر يعكسون بوجه أو بآخر التّناقضات الّتي يتخبط فيها المجتمع الفرنسي"[93]، بين مؤيد للاستعمار ومعارض له. عرضت هذه الشخصية أيضا عن طريق الحوار مثل سابِقتها.

أبدت شخصية مدير السجن الّتي تضمنتها هذه الرواية إعجابا كبيرا ببطولات الشباح المكي الّتي ذاع صيتها، لذا أوصت بمعاملته معاملة حسنة، كما أنّها كلفت نفسها عناء تنبيهه لنقل قضيته إلى محكمة الجزائر، حتى يتســنى له الحصول على حكم عادل، لأنّها " بعــيدة عن نفوذ بن قانة*"[94]. وقد خلــت هذه الشخصية أيضا من أي وصــف جسدي.

والجدول التّالي يلخص أهمّ ما اتسمت به هذه الشخصيات:

الشخصية	المتن الّذي وردت فيه	الصّفات الجسمية	الصّفات المعنوية	طبيعتها	جنسيتها
الدركي الأول	محو العار	لا يوجد	يعامل المجند بلطف	ثانوية	فرنسية
الدركي الثاني	العشق والمــوت	لا يوجد	متعاطف	ثانوية	فرنسية

([92])- الطاهر وطار : محو العار، مصدر سابق، ص133.
([93])- الطاهر وطار : العشق والموت في الزمن الحراشي ، مصدر سابق، ص126.
([94])- المصدر نفسه، ص127.
(*) هو أحد عملاء الحاكم فابي.

	في الزمن الحراشي		لطيف المعاملة		
مدير السجن	العشق والمـــوت في الزمن الحراشي	لا يوجد	غير ظالم يطبق القانون متعاطف	ثانوية	فرنسية

كلتا الشخصيتان اللـــتان ظهرتا تحت صـــفة الدركي خصت المجنـــد أو الســـجين الجزائري بمعاملة حسنة، إلا أن النية القابعة وراء ذلك كانت مختلفة، فالأولى كانت تنشد الوصول إلى تعبئة نفسية مقصودة للمجند الجزائري حتّى يخدم الاحتلال على أكمل وجه أما الثانية فإنه لم يرد في تصويرها أي إشارات، أو تلميحات تفضـــح نيتها المبيـــتة ما يجعل إمكانية حسن الظّن بها أمر وارد.

استطاعت شخصية مدير السجن الوحيدة الّتي وردت في الخطاب السردي عند الطاهر وطار،من أن تظفر برسم ايجابي، جمعت فيه بين التقيـــّد بمسؤوليتها من جهة وتوافـــرها على الحسّ الإنساني من جهة أخرى.

لقد صـــور الطاهر وطار الشخصيات العسكرية للمحتل بمخـــتلف رتبه وأســـلاكه من القبطان إلي الضـــابط إلى الجـــندي المقاتل، والحارس، والدركي، وعامل الســـجن في علاقـــتها بالمستعمَر، علاقة اتســـمت بالصدام والعنف في مجـــملها لأنّ الشخصيات العسكرية في بلاد المستعمَر هي"الّتي تنـــطق بلسان المستعمِر ونظام الاضطهاد"[95]، وهي الوجه الملموس للعدو الّذي يشكل الطرف النقـــيض لشخصية الأنا.

([95])- فرانز فانون : معذبو الأرض، مرجع سابق، ص 28.

يحمل كل من المستعمَر والمستعمِر شعور متبادل بالكره والحقد الّذي يفضي إلى رغبة ملحة في إفناء الآخر باعتبار أن الحرب" تفرض مسبقا وجود عدو فاعل يسعى بوعي تام إلى هدف هدام وهي تنطوي على فعل إرادي متبادل بين أطرافها".[96] لذا لا تكاد تخرج العلاقة الّتي تجمعهما عن العداء المستنفر لكل الوسائل، والطرق لحيلولة دون انتصار الطرف الآخر.

حملت الشخصيات الأجنبية العسكرية الواردة في الخطاب السردي عند الطاهر وطار في أغلبها صفات المحتل، من القسوة، والاعتداء والتّعصب، والعنف والشذوذ، والمكر بحيث تم التّركيز في جلها على الصّفات السلبية دون الصفات الايجابية" لأنّه في إطار تصوير الصدام المسلح بين الأهالي والمستعمر (بالكسر) ينزع الروائيون نزعة سيكولوجية للكشف عن مركبات النقص عند المستعمرين (بالكسر)"[97]جراء التأثير السلبي المتبادل بينهما، لذا نلفاهم يركزون على" تصرفات وأفعال هذه الشخصيات أكثر من الاهتمام ببناها الجسمية وخصائصها المرفولوجية"[98]. وهي على هذا النّحو-كما يحدّدها الدكتور داود سلوم- شخصيات ذات" سمة واحدة وهي شخصية بسيطة FIATCHA CTEN أي لا تعكس إلا صفة واحدة هي: القسوة وما تجرّه من الأذى واستغلال ومعانات الشعوب المحتلة"[99].

وبما أن هذه الصورة تصرف النظر عن باقي جوانب الشخصية الأخرى فهي

([96])- غاستون بوتول : ظاهرة الحرب، ت رمسيس يونان ، ط1، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2007، ص34.
([97])- محمود أمين العالم: يمنى العيد، نبيل سليمان، الرواية العربية بين الواقع والأيديولوجية، ط1 ، دار الحوار للنشر والتوزيع، سورية، 1981 ص 249.
([98])- داود سلوم : الشخصية العربية في روايات أمريكا اللاتينية، ط1، دار الجيل ، بيروت، 1995، ص14.
([99])- المرجع نفسه، ص 14.

في الحقيقة صورة ناقصة" لا تعكس شيئا عن تصرف المحتل الاجتماعي وحياته العربية لأنه شخصية عسكرية تعيش في معسكر ولا يخـــتلط بالــنّاس ولا يتــعامل معهم إلا في أضيق الحدود "[100].ولكن هذا التغاضي لا يزعزع من مصدقية هذه الصورة كَوْن بعض الرواة عــمدوا إلى تــصوير الجانب الظــاهر فقط من هذه الشخصية، وسكتوا عما لم يشاهدوه.

من جــهة أخــرى، اجتهد البعض الآخر في كشف النقــاب عن الوجه الإنــساني للآخر الأجنــبي، كما هو الحــال عند الطاهر وطار في تصويره لشــخصية الضابط بول، وحارس المخزن التقدمي، وشخصية الدركي، ومدير السجن، وربما يعود سبب تصويرها على هذا النّحو الإيجابي هو بغية تحريه الواقعية الفنية، فــ" الشخصية كما يريدها الفن، وخاصة الفن الروائي لا يمكن أن تكون ذات وجه واحد، فلا يمكن أن تكون مطلقة السلبية ولا مطلقة الايجابية،ولا تكون شريرة ولا خيرة بشكل مطلق، أما السبب الثاني فهو ما فرضته تجارب الكتاب الحقيقية مع غربيين عرفوهم وعايشوهم"[101].مما ساهم في بناء صور أكثر واقعية، عن طريق الحفاظ على صفات معنوية، وجسدية لشخصيات لها وجود حقيقي.

لقد تفادى الطاهر وطار بتصويره الايجابي للشخصيات السابقة الذكر المطب الّذي وقع فيه بعض الأدباء حينما صوروا " العدو على أنّه البلاء الأعظم والطاعون المقيت

([100])- داود سلوم : الشخصية العربية في روايات أمريكا اللاتينية ، مرجع سابق، ص14.
([101])- نجم عبد الله كاظم: الرواية العربية والآخر، مرجع سابق، ص99.

والشيطان الرجيم، ويفقد بشـــره كل صفة إنسانية"[102].متناسين في الوقت ذاته أنه مهما تعاظم الشر في النّفس الإنسانية لا بد أن يكون للخير مكان, ولو قيد ذرة.

يمكن تفسير إيجابية صورة حافظ المخزن الفرنسي التّقدمي الّذي ساعد البطل الجزائري في اغتيال أحد الخونة ومدّه بالأسلحة وفق احتمالين، يستند الاحتمال الأول على حقيقة تاريخية أدلى بها جون بول سارتر، حـــين صرح بأنّ هناك من الفرنسيين "مَن رفض المشاركة في الحرب ومنهم من ساعد الثوار الجزائريين"[103].مما يعني أنه ليس بالضرورة أن يكون كل فرنسي مجند في جيش الاحتـــلال راض عن سياسة بلاده بل تبقى هناك مسائل خلافية تدفع هذا الأخير إلى التّمرد عليه.

أما الاحتمال الثّاني فيدعمه الوسم الايجابي للقبطان الإسباني سانـــتوز ذو التّـــوجه الشيوعي والّذي يحيل إلى أنّ مرد الصورة الايجـــابية لهاتين الشخصيتين هو انتماؤهما الإيديولوجي(الشيوعي) الّذي يتواءم وانتماء الطاهر وطار الأيديولوجي، فهذه الأخـــيرة –كما ذهب إليه حميد لحمداني– " ...تقتحم النص باعتـــبارها مكوناته الأوليـــة، لأنّه لا يمكن بناء نص روائي إلا من خلال هذه المادة الأولية"[104]، وهو ما يؤكده الدكتور عبد الله شطـــاح حيـــنما اعـــتراف" بصعوبة مقاربة أعمـــال الطاهر وطار بعيـــدا عن الخطاب الإيديولوجي تصريحا أو تلميحا.."[105].

بدت الشخصـــيات الأجنبية العسكـــرية في الخطـــاب السردي عند الطـــاهر وطار

([102])- جمال شحيد : صورة الآخر في الرواية العربية، الآداب الأجنبية، العدد 102،101، سنة2000 ، ص382.

([103])- مناد طالب: الفكر السياسي عند سارتر وعلاقته بالثورة الجزائرية، دراسة تحليلية، (د، ط)، دار الخطاب، 2007، ص 191 .

([104])- حميد لحمداني: النقد الروائي والإيديولوجي من سوسيولوجيا الرواية إلى سوسيولوجيا النص الروائي (د، ط)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب ،(د، ت)، ص 26.

([105])- عبد الله شطاح : إيديولوجيا التقاطبات المكانية في رواية الشمعة والدهاليز للطاهر وطار، هكذا تكلم الطاهر وطار،ت،ج ،علي ملاحي المقام النقدي الأول، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع, الجزائر، 2011/1432، ص 484.

شخصيات منهزمة، وجبانة في أغلبها أمام الشخصيات الجزائرية بعدما أصبحت هذه الأخيرة محورا تدور في فلكه تلك الشخصيات.ولهذا الموقف ما يقابله عند الكتاب الفرنسيين الّذين احتوت أعمالهم صورا عن الجزائري أو العربي، بحيث كانت نرجسية كل كاتب تدفعه إلى أن يركز اهتمامه على الشخصيات الّتي تمثل انتماءه مثلما هو الأمر عند فولتير في قصة (زاديج) ، وألبير كامو في رواية(الغريب).

وبدافع النرجسية أيضا وجدت صورة العربي المشوهة مكانا معتبرا في المقررات الدراسية الفرنسية، حتى يتربى جيل بأكمله على تبني تلك الصورة النّمطية، وهذا ما توصلت إليه الدكتورة مارلين نصر بعد مسح شامل للكتب المدرسية الفرنسية فقد"وضع العرب دائما في مستوى أدنى ومراكزهم أضعف(متسولون فقراء) سواء كانوا في علاقة مع الفرنسيين، أو كانوا بمفردهم.أما الفرنسيون فهم متفوقون في أغلب الحالات ويشتغلون مراكز قيادية"[106].

وإن لم يتبوأ الجزائري أو العربي في الخطاب السردي عند الطاهر وطار منصبا قياديا أعلى من منصب الشخصيات العسكرية الأجنبية، فإن الطاهر وطار جعلها أعلى مرتبة منهم أخلاقيا، حين حملهم رسالة نبيلة وشريفة تتمثل في الدفاع عن الوطن والذود عنه.

لقد عايش الطاهر وطار الثورة الجزائرية، وكان من بين المشاركين فيها، الأمر الّذي يجعلني أجزم بصدق الصورة الّتي رسمها للمستعمِر كون" الصور المبنية على

([106])- مارلين نصر: صورة العرب والإسلام في الكتب المدرسية الفرنسية، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، 1995، ص331.

المعايشة اليومية، والتجربة والممارسة أشمل وأوضح وأقرب إلى الواقع"[107] لأنها جاءت وليدة احتكاك حقيقي وفعلي .

أما تصويره للاستعمار الأوروبي الّذي كان ولا يزال يحتل أرض الأنا فهو يصب في بوتقة الهوية القومية الّتي لا يمكن أن تتم بمعزل " ... عن الآخر، ذلك أن تعريفها لنفسها لا يتم في جميع الأحوال إلا بالنظر إلى طبيعة علاقتها بالآخر"[108]هذا الآخر الّذي اتسعت له الرواية دون فنون النثر الأخرى وغدت أكثر الأجناس الأدبية " .. وعيا وإدراكا لأهداف الغرب الحقيقية"[109].سواء أتعلق الأمر بالغرب الممثل للاستعمار القديم أو الغرب الممثل للاستعمار الحديث، وذلك طبعا بعد أن" واكبت الحروب العربية وتعاملت معها تعاملا شائكا مواكبا للواقع العربي، وعبرت بطرق وأساليب متفاوتة ما بين العناية بالمعنى والمبنى حتى أصبحت من أكثر الإصدارات عناية بتيمة الحرب"[110].

إنّ الأوضاع المزرية الّتي يمر بها الوطن العربي دفعت بالمبدع إلى أنّ يجعل من نفسه "شاهدا ومؤرخا لرصد الحركة الاجتماعية التاريخية بمجملها، وكذا الشهادة على ذاته المفردة، ولكن من خلال تشابكها بالجماعة أو باشتباكها معها "[111].

ففي الوقت الحالي تآزر التواجد الملموس للأجنبي من خلال قواته المسلحة على أرض الأنا، مع تواجد معنوي له من خلال قيمه وأفكاره، الّتي اتخذت من العولمة

([107])- عبد المجيد حنون : صورة الفرنسي في الرواية المغربية ،مرجع سابق ، ص 18.
([108])- حميد لحمداني : الرواية المغاربية بين الأنا والآخر والبحث عن الهوية القومية في الأدب العربي المعاصر،(د، ط)، إشراف عز الدين إسماعيل، معهد البحوث والدارسات العربية، 1999، ص294
([109]) - مصطفى عبد الغني: قضايا الرواية العربية، ط1، الدار المصرية اللبنانية، رمضان يناير، 1999، ص49.
([110]) – عيسى برهميات: الحرب في الرواية العربية ، دكتوراه، مخطوط، ، جامعة وهران ، 2002-2003، ص 140.
([111])-أبو نضال نضال : التحولات في الرواية العربية، ط1 ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ، 2006، ص13.

بساط سحري تنتقل من خلاله وتهدد قيم وهويات الأمم الضعيفة كنوع آخر من الاحتلال، لذا فالرواية التاريخية لإنساني عصرنا" -كما ذهب إليه جورج لوكاتش-" مرتبطة ارتباطا وثيقا بمشاكل الحاضر الكبيرة والملحة"[112]، والّتي لم يجد الروائي العربي مناصا آخر، للتعبير عنها إلا في قالب روائي.

المبحث الثاني:الشخصيات السياسية:

1-الحاكم:

أ- في رواية العشق والموت في الزمن الحراشي:

يطل علينا الحاكم فابي"غاصبا في حالة جنون...يمشي ويجيء في القاعة"[113] بعد

أن وصل إلى مسامعه خبر وجود الشباح المكي المناضل الشيوعي في منطقته وعلى الرغم من أن أحد القواد الّذين كانوا يعملون تحت إمرته تعهد بضمان تصرفات هذا الأخير، إلاّ أنّ ذلك لم يرحه وأبى إلا أن يقتحم بيته بعد أيام قلائل "مرفوقا بعدة دوائر مدججين بأسلحة حربية، ومعهم القائد والشامبيط وبعض الأعوان"[114].

فتش أتباع الحاكم فابي كل زاوية من البيت، في حين فضل هو التّقدم لزوجة الشباح المكي لتفتيشها "فنهرته وهربت لتحتضن أحد الأطفال"[115]مما أثار استياءه وانزعاجه و بعد أن ساعد أتباعه في التفتيش، واستولى على بعض ما وجده في الغرفة

([112])- جورج لوكا تش : الرواية التاريخية ، ت صالح جواد الكاظم، (د، ط) ، المجلس الأعلى للثقافة، 2000، ص494 .
([113])- الطاهر وطار: العشق والموت في الزمن الحراشي ، مصدر سابق ، ص 120.
([114])- المصدر نفسه، ص122.
([115])-المصدر نفسه ، ص122.

من وثائق، اقــتاد الشباح المكي إلى السجن، وتكــفل هو باستجوابه كمــا أنّه ضغط على بعض المعتقلين لشهادة ضده شريطة إطلاق سراحهم.

عرض الطاهر وطار هذه الشــخصية عن طريق الســرد التقريري دون أن يهبها أي صفة جسمية، بل تم التّركيز على صفاتها المعنوية عن طريق وصف حركاتها وأفعالها.

يتسم الحاكم فابي معــنويا بالجبن فلاعتقال شخص واحد اصطحب معه مجموعة من الجنود، والعساكر، والمساعدين، ظالم لأنه أفسد مؤونة الشباح المكي بعد أنّ " وضع القمح فوق الدقيق والعدس فوق الشعير والكل تحت قدميه"[116]، كما أنّ رعيته المولّى عليها

كانت في" مستوى واحد من الفقر والجوع"[117].شخصية ملفقة كاذبة مستعدة لفعل أي شيء من أجل الوصول إلى مبتغاها، معتدية على شرف الآخرين بدليل تقدمها لتفتيش زوجة الشباح مكي، وأكيد أنها كانت تعي تماما تبعات تصرفها هذا في بيئة شرقية، وما يخــلّفه من أثار ســلبية على نفسية المعــتَدى عليه، وما يلحــقه من إهانة. بالإضافة إلى ذلك كان الحاكم فابي سريع الغضب، وهو ما تدلّ عليه المقبوسات التّالية:

- في ذروة الانفعال "[118].
- "وهو يتميز غيضا"[119].

لا تختلف صفات الحاكم فابي عن الصّفات العامّة للحكام الّتي استخلصها عبد المجيد حنون بعد دراســته لمجموعة من الأعــمال الروائيــة المغربية، والّتي اتســمت عموما " بالغضب أو اصطناعه وشدة الانفعال، والتّعصب والحقد على الأهالي، واعتبارهم أقل

([116])- الطاهر وطار: العشق والموت في الزمن الحراشي ، مصدر سابق، ص123.
([117])-المصدر نفسه، ص 123.
([118])-المصدر نفسه، ص123 .
([119])-المصدر نفسه، ص 123.

مستوى من البشر ومحاولة الإبقاء عليهم .....باستعمال أعنف أساليب التسلط كبث الجواسيس والزج في السجون، والتّقديم للمحاكم العسكرية..."[120]. كما أن انتفاء الصفات الجســدية عن هذه الشخصية تدفع القارئ إلى التّــركيز على أفــعالها الّتي تريد أن تحد من حرية الفرد الجزائري بصفة عامّة، والشيوعي بصفة خاصة.

نلفي في نفس الرواية ذكر لحاكم ثاني برتبة كمندان، قصده الشباح المكي للاستعلام حول الرخصة الممنوحة له لإقامة تجمع بتقرت، وقد أعجب هذا الأخير بحنكة الشباح المكي ، ووصفه بأنّه " داهية. ثعلوب ابن ثعلوب "[121].

يشــترك هذا الحاكم مع الحاكم فابي في مسألة إهمال الرعية، الّتي كانت تعاني فقرا مدقع لدرجة أنهم كانوا " يسرقــون أكــفان الموتى من شدة الحــاجة."[122] ونتــعرف على هذه الشخصية عن طريق الحوار البسيط .

2- الرئيس:

أ- في رواية تجربة في العشق:

يظهر الرئيس الأمريكي في هذه الرواية وهو محتجز في مصعد "مستنجدا بكلّ العبارات الأمريكية الوضيعة "[123]، وقد قدمت هذه الشخصية عن طريق السرد في مساحة ضيقة من هذه الرواية.

ب- في رواية الولي الصالح يرفع يديه بالدعاء:

يمتد حضور شخصية الرئيس الأميركي (جورج بوش) إلى هذه الرواية أيضا، لكن

([120])- عبد المجيد حنون : صورة الفرنسي في الرواية المغربية، مرجع سابق، ص113.
([121])- الطاهر وطار: العشق والموت في الزمن الحراشي، مصدر سابق، ص183.
([122])- المصدر نفسه، ص182.
([123])- الطاهر وطار: تجربة في العشق، الأعمال الروائية، المجلد الثاني، وزارة الثقافة، 2010، ص45.

على مساحة أوسع من الأولى بحيث تظهر في البدء وهي تلقي خطابا من"على متن حاملات الطائرات أبراهام لنكولن"[124]، وهي صورة حقيقية تلقفها الطاهر وطار من الواقع ووظفها في متن هذه الرواية، ليعكس بها واقع احتلال الولايات المتحدة الأمريكية للعراق وتواطؤها في مساعدة إسرائيل الّتي تغتصب أرض الأنا فهذا الرئيس" المؤمن جورج بوش الابن "[125] يصدق كل ما تدعيــه إسرائيل من أسباب واهية تعلّل بها حفرياتها في بيــت المقدس، بنــية البحــث عن هيكل سيدنا سليمان، في الوقــت ذاتــه لا يتراء له العالم العربي إلا في صورة " الإرهاب الإسلامي وشخص بلادن بالذات"[126].

ولما كانت هذه الشخصية تمثل الناطق الرسمي للدولة الّتي تحتل أرض الأنا وتستبيح أهلها فإنّ الطاهر وطار في خطابه هذا يهوي بها من عليائها، في أسلوب تهكمي ساخر ليسمها بالجبن والخوف،ففي حين كانت الانفجارات تدوي في فضاء بلده كان هو"متخفيا"[127]، ولم يقــف الطــاهر وطار عند هذا الحــد بل جعــل مآل هذه الشخصــية

في خطابه السردي هو ووزير دفاعه الاعتقال، بعد أن" ألقي عليهما القبض في حاملة الطائرات أبراهام لنكولن"[128].نتــعرف على هذه الشخــصية عن طريق السرد بشــكل متــقطع على صفحات الرواية.

ج- في قصة محضر جلسة جامعة الدول الزعبطيطية الأخيرة :

يستغرب الطاهر وطار في أسلوب تهكــمي ساخر فوز الرئيــس الأمريكي، أوباما

([124])- الطاهر وطار: الولي الصالح يرفع يديه بالدعاء، مصدر سابق، ص30.
([125])-المصدر نفسه،ص42.
([126])- المصدر نفسه،ص42.
([127])- المصدر نفسه، ص45.
([128])- المصدر نفسه، ص73.

في الانتخابات الأمريكية وهو العبد الذي "لا يحمل وثيقة تحرير رقبته"[129]، بحيث لاقى هذا الفوز استحسانا من طرف الدول العربية، أفصحت عنه صحفهم بقولها: ".. أن فوزه مبارك على الزعابطيط"[130] بسبب أصوله الإفريقية المسلمة، ولكن الطاهر وطار يبطل هذا الاعتقاد ويشـــير إلى أن فوزه لم يكن له أن يكون لو كان هناك أدني شك في حيـــاده عن سياسة سابقيه، وسياسة أمريكا ككل. وقد قدمت هذه الشخصية عن طريق السرد.

3- رئيس الوزراء:

أ- في رواية العشق والموت في الزمن الحراشي :

وهي شخصية حقيقة أيضا، ويتعلق الأمر برئيس الحكومة الفرنسي دلاديه الّذي أصـــدر قرارا " بطـــرد العـــمال المضـــربين طردا نـــهائيا. كان ذلك سنـــة 1939 وفي بـــداية الحرب العـــالمية الثـــانية "[131] ، وقد ورد ذكـــر هذه الشـــخصية على لسان

الراوي دون ذكر لأي تفاصيل أخرى.

ب- في رواية الولي الصالح يرفع بالدعاء:

وجدت شخصية شارون الحقيقية أيضا مكان لها في الخطاب السردي عند الطاهر وطار، رسم لا يختلف عن حقيقتها في الواقع، لكنه لا يماثلها في المصير، فلقد أشيع خبر عن"هروب شارون والقـــيادة الإسرائيلية من بيت المقدس، وعدم صدور أي تصـــريح من شارون حتى الآن، وهو الّذي يحلو له التبجح "[132]، وبعد حلّ الدولة الإسرائيلية حسب أحداث هذه الرواية طالب البعض" .. بمحاكمة شارون والحكم بتسليمه لأبي عمار، فما

([129])- الطاهر وطار : محضر جلسة جامعة الدول الزعبطيطية الأخيرة، جريدة الخبر، الخميس 13 نوفمبر2008 ، ص 26.

([130])-المصدر نفسه، ص28.

([131])- الطاهر وطار: العشق والموت في الزمن الحراشي، مصدر سابق ، ص 120.

([132])- الطاهر وطار: الولي الصالح يرفع يديه بالدعاء، مصدر سابق، ص46.

كان من شارون إلا أن ضحك ملء شدقيه"[133].معنويا تمتاز هذه الشخصية بالتّبجح والاستهتار، وقد عرضت عن طريق السرد.

والجدول التّالي يلخص أهمّ الصّفات الجسدية، والمعنوية لهذه الشخصيات.

الشخصية	المتن الّذي وردت فيه	الصّفات الجسمية	الصّفات المعنوية	طبيعتها	جنسيتها
الحاكم فابي	العشق والمـــوت في الزمن الحراشي	لا يوجد	ظالم جبان،فظ حقود	ثانوية	فرنسية
حاكم توقرت	العشق والمـــوت في الزمن الحراشي	لا يوجد	ظالم لرعيته	ثانوية	فرنسية
جورج بوش	الولي الصالح يرفع يديه بالدعاء	لا يوجد	معتدي جبان	ثانوية	أمريكية
الرئيس أوباما	محضر جلسة جامعة الدول الزعبطيطية الأخيرة	زنجي	/	ثانوية	أمريكية
دلاديه	العشق والمـــوت في الزمن الحراشي	لا يوجد	ظالم	ثانوية	فرنسية
شارون	الولي الصالح يرفع يديه بالدعاء	لا يوجد	متبجح مستهتر	ثانوية	إسرائيلية

([133])- الطاهر وطار: الولي الصالح يرفع يديه بالدعاء، مصدر سابق، ص100.

وصل تعداد الشخصيات السياسية الواردة في الخطاب السردي عند الطاهر وطار إلى ستة شخـــصيات تراوح حضورها بين الحضور المعتبر والهامشي، وتنتمي كلها إلى دول استعمارية احتلت أو تحتل أرض الأنا.

فرنسا ←——الجزائر

أمريكا ←——العراق

إسرائيل ←——فلسطين

كما اتسمت بانتفاء الســمات الجسمية عنها، بالإضـــافة إلى كونها شخصيات ظالمة ومعتدية.

لقد توصل إدريس بودية في دراســته للرؤية والبنية عند الطـــاهر وطار إلى أن شخصياته ليست" كلها من صنع الخيال المطلق فهي شخصيات محتملة وممكنة الوجود"[134]. وهذا ما جسدته الشخصيات المرجعية الّتي تضمنتها أعماله الروائية.

إنه لمن الصعوبة بمكان أن نغفل عن التطابق الشبه التام لشخصية جورج بوش وشارون عن حقيقتها الكامنة في الواقع، والّتي تضعني في مأزق حقيقي في كيفية مقاربتها، فأفكارها ومواقفها في الرواية تكاد تكون عينها في الحقيقة، وأكاد أجزم أن موقف الطاهر وطار منها هو موقف أي إنسان عربي مهما كانت ثقافته، وبالتّالي يكون الحكم بصدق هذه الصورة أمر حتمي لا بد منه.

وإذا أمعنا النظر في مصير هذه الشخصيات نلفاه مصير مغرق " في الميثية، بحكم

([134])- إدريس بودية : الرؤية والبنية في روايات الطاهر وطار،(د، ط)، الجزائر عاصمة الثقافة العربية، 2007، ص296.

خلخلة الاصطدام الحاد بالغرب لرؤية العرب إلى الأشياء والكون والإنسان"[135]، بحيث كف الطاهر وطار بهذا المصير المتخيل بلاء هذه الشخصيات، وخلّص العالم العربي من كلّ شرورها.

المبحث الثالث:الشخصيات المدنية:

1-رجل التّعليم:

أ- في رواية الشمعة والدهاليز:

أوّل شخصية لرجل التّعلـــيم في هذه الرواية تتعلق بمدير فرنسي لمدرسة ابتـــدائية "بالغة النظافة"[136] كان يدرس بها الطفل الشاعر، وبها ظفر بمعاملة حســـنة جعلته يتساءل

مرارا عن سبب ذلك.

التقى الطفل الشاعر ذات مرة صدفة بمدير مدرسته، فقرر أن يغتنم هذه الفرصة ليجد جوابا لتساؤله، فرد المدير عليه بلطف:" عندما تكبر تفهم، العساكر أغبياء وإلا ما كانوا يواجهونكم بالسلاح، هذا شأنهم في كل مكان، لكن ديغول يدرك اتجاه ريح التّاريخ كما يقول رغم أنّه عسكري"[137].

لم يقتصر إعجاب المـــدير بديغول في إبانة وجـــهة نظره فحـــسب، وإنـــما تعـــدّاه ليفصح عن إيمانه الشديد بأفكاره، الّتي تمثل وجه آخر لاحتلال يستنزف العقول والفوائد ولا يترك وراءه أي أثر، على عكس الاحتلال القائم على القوة والفتك بالعتاد العسكري والّذي يستثير الخصم ويؤجج نار المقاومة لديه.

([135])- سعيد علوش: إشكالية التيارات والتأثيرات الأدبية في الوطن العربي، دراسة مقارنة، ط1، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، المغرب 1406،1986 ، ص145.

([136])- ينظر الطاهر وطار : الشمعة والدهاليز، مصدر سابق، ص52.

([137])- المصدر نفسه، ص52.

صارح المدير الأجنبي الطفل الشاعر بيقينه باستقلال الجزائر في يوم من الأيام قائلا:"يوم تستقلون ستكون أحد أعمدة الإدارة الجزائرية وستكون مدخل بلدكم نحو العصرنة ستتذكر دائما وأبدا أنّ فرنسا مهما قست عليك قد علمتك"[138]. ثم ناوله ورقة نقدية كمساعدة منه على مصاريف دراسته بالثانوية مرددا العبارة التالية:"معلمك هو أبوك الثاني، ربما يأتي يوم يكون فيه الأب الوحيد"[139].لم يع الطفل الشاعر المغزى من هذا الكلام إلا عندما كبر، فتحول حبه وإعجابه الشديدين بالمدير الفرنسي إلى كره ومقت ولعن لذكراه، وهذا ما يفصح عنه المقبوس التّالي:" القذر ولد القذرة، حملني، حمل جيلي فيروس الاستعمار"[140].

عرض الطاهر وطار هذه الشخصية بواسطة الحوار عن طريق تداعي أفكار الشاعر الشيوعي، دون ذكر أي صفات جسمية لها عدا النّظافة، أما عن صفاتها المعنوية فهي شخصية مثقفة فطنة لها وجهة نظر تخالف سياسة العساكر الّتي تحمل طابع التحدي والعنف وتستثير الحقد، وتدفع الطرف الآخر إلى التّصدي والمجابهة معاملته اللينة تكسب الألباب والعقول.وتستأثر بالإعجاب، بالإضافة إلى ذلك كان المدير الأجنبي" يحب العرب كثيرا"[141]. لذا لم يتعرض لأي أذى من طرفهم.

إن استعراض أراء المدير، ومن ورائه الشاعر الشيوعي، ومن وراء الاثنين الطاهر وطار يفضي إلى حقيقة أن فرنسا استطاعت أن تترك لها امتداد بعد رحليها العسكري من على أرض الأنا، ممثلا في النخبة الّتي درستها وصقلت فكرها صقلا

([138])- الطاهر وطار: الشمعة والدهاليز، مصدر سابق، ص52.
([139])- المصدر نفسه، ص 52.
([140])- المصدر نفسه، ص 53 .
([141])- المصدر نفسه، ص 53.

أوربيا أي أنّ فرنـــسا-كما ذهبت إليه الدكتـــورة لينة عوض-بقـــت "...عبر الجزائريين أنفسهم"[142]، وهو ما يثـــبته المقبوس التّالي: "هاهم الأعراب يدخلـــون المدن، متنكرين بلؤم وخبث، في تعـــرية الرأس وارتداء البوطـــويل وربطة العنق وحلْق الشـــوارب واللحى مخفيين حقيقتهم فراح كلّ شيء في العـــمق يتريف ويتريف،`بينما الجانب الآخر السّـــيد ومساعد السيّد يتغرب ويتغرب يتفرنس ويتفرنس"[143].

كما أصبحت نظرة هذه الفـــئة لفرنـــسا مبنية على كثير من الانبـــهار والاســـتلاب فهي"مثلهم الأعلى وكل هذا الكون ليس فيه سوى فرنـــسا، والجانب الايجابي فقـــط من فرنسا "[144].

وعلى حد قول ابن خلدون:المغلوب مولع بتقليد الغالب، فإن المغلوب يميل"في معظم الأحيان إلى تقليد الغالب الّذي يمتلك القوة السياسية والتّقدم، ويأخذ التقليد أبعادا كثيرة منها محاولة تغيـــير لون الوجه والشـــكل لأنّ هذه المحاولة تهدف إلى التّـــشبه بالأقوى لا من حيث الشكل وإنّما في الشعور والتّصرفات من أجل أن ينال المغلوب الدرجة الاجتماعية الّتي يحظى بها الغالب"[145]، ولكنه في الحقيقة لا ينالها مهما فعل، وإن استمر بتصوره الوهمي في الانتماء إلى الطرف الأخر، سوف يأتي عليه يوم يدرك حقيقة تشظي أناه، ويصعب عليه موضعتها في أحد الطرفين.

لم يقتصر حسّ الجزائريين بفرنسا على حس المستعمَر بالمستعمِر فقط، بل أنّ الفرد الجزائري وعى التطور العلمي والتكنولوجي لهذا الأخير، والّذي جعله يقف منه موقف

([142])- لينة عوض: تجربة الطاهر وطار الروائية ، بين الإيديولوجية وجماليات الرواية، مرجع سابق، ص 185.
([143])- الطاهر وطار: الشمعة والدهاليز، مصدر سابق، ص 114.
([144])- المصدر نفسه، ص54 .
([145])- فاطمة المزروعي : تمثيلات الآخر في أدب ما قبل الإسلام ، ط1، المجمع الثقافي، أبو ظبي للثقافة والتراث، 2007، ص273.

المنبهر" ففرنسا قوية جدا أقوى من أي شيء..مال الدنيا كله عند الفرنسيين..ماهو الداعي من إخراج الفرنسيين،لقد وجدهم أمامه منذ وجد كان يشعر بأنهم الأسياد بكل ما يتميزون به، فهم قوة نظافة وجمال..."[146].

إن للغرب الممثل في فرنسا القوة على تغيير معالم الطبيعة الجزائرية من حال إلى حال آخر مثلما فعل بقسنطينة فـ " عندما جاء خربها بالكهوف والأنفاق وخاطها بالجسور.تفنن بالاسمنت في باب القنطرة وسيدي المسيد وسيدي راشد ثم كأنّما لم يكفه ذلك لإظهار براعته، راح يفتل حبالا من الفولاذ ،ويبني بالحديد ويعلّق في الفضاء"ولهذه السياسة هدف كامن وراءها تفطنت له إحدى شخصيات هذه الرواية بقولها أن:" الغرب عندما سحقنا عسكريا، راح يبهرنا علميا وتكنولوجيا"[147]حتى نشعر بالبون الشاسع الّذي يفصل بيننا وبينه، ولا نفكر البتة في تحديه.

إنّ نظرة المستعمَر إلى قوة ومظهر هذا المستعمِر جعله ينحو به بعيدا عن صفات الإنسان العادي، وهذا ما أشار إليه الطاهر وطار على لسان أحد شخصياته عندما نزل بقريتهم ذات مرة وهُم أطفال فرنسي، تبعوه أينما ذهب حتى عندما قصد في المساء مكان خالي ليقضي حاجته به، وبعد أن غادر تسابق الأطفال إلى غائط الفرنسي و" ذاقه أحدهم وبصق فلم يصدقه البقية وذاقوه بدورهم"[148]، ثم تردف هذه الشخصية قائلة: "..الفرنسيون نخافهم ونحترمهم،نتفانى في تقديم الخدمات لهم، لماذا نحاربهم أو نخاصمهم"[149].

ولقد كان لتداعيات الزمن الطويل الّذي جثم فيه المستعمِر على أرض الجزائر

([146])- الطاهر وطار: اللاز، مصدر سابق، ص36 .
([147])- الطاهر وطار:الزلزال، مصدر سابق، ص139.
([148]) - ينظر الطاهر وطار : اللاز، مصدر سابق، ص36.
([149])- المصدر نفسه، ص36.

عاملا أساسيا في تشـــكيل صورة ثابتة نمطية عنه فـــكل "جماعة قومـــية تنمي عبر فـــترة من الزمن بعض القوالب الجامدة عن أعضاء القوميات الأخرى"[150]سواء تعلق الأمر بالخواص الجسمية، أو بالخواص النفسية، وتُشكل ما يعرف بالصورة الذهنية "الّتي تتألف من مكونات كبيرة من المعلومات والحقائق والمعارف والاتجاهات النّفسية والتّصورات والأنماط الجامدة، الّتي يتم اكتسابها عن طريق الخبرة المتراكمة لدى الفرد عبر سنوات حياته"[151]، لتنتقل من جـــيل إلى جيل آخر.وتصبح صورة جاهزة تُستدعى للحضور كلما تم التطرق ،أو الحديث عن أجنبي محدد.

ومن هذا المنطلق،أصبح الأجداد" يتطيرون من الأشقر والأشهب والأبيض الناصع"[152] لأنّهم يحملون صفات لغزاة داسوا ثرى هذا الوطن إذ أنّ"الرهباني أو الروماني في كل أساطيرنا أشقر أزرق العينين"[153].

كما يمكن أن يـــحاك حول هذا الأجنبي أمـــثال، أو أغاني تذمه أو تمجّده مثل المثل القائل " أزرق عينـــيه لا تحـــرث ولا تسرح عليه"[154]، وكلـــمات أغنـــية مجهولة ظهرت

بعد الحرب العالمية الثانية–على حد قول الطاهر وطار– تقول" ما نخذش العربي لباس القاعة ناخذ الجوني (الأمريكي) يمشي بالساعة، ما نخذش العربي رجلين الراطو ناخذ الجوني وكال القاطو"[155].

([150])- يس السيد : الشخصية العربية من صورة الذات ومفهوم الآخر، ط1، مكتبة مدبولي ، 1993، ص52 .
([151])- عبد الإله بلقزيز : الاحتلال الأمريكي للعراق ، صوره ومصائره، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية ، 2006، ص39.
([152])- الطاهر وطار : اللاز، مصدر سابق، ص142.
([153])- المصدر نفسه، ص 142.
([154])- المصدر نفسه ، ص142 .
([155])- المصدر نفسه، ص192.

يكفي أحيانا توفر هذه الملامح الجسدية في إنسان ما، حتى يؤدي إلى الجزم بأنّه أوربي، وكأن هذه الملامح حكر على جنس بشري دون آخر فإذا كانت الفتاة "جميلة ذات وجه مستدير وعينيين زرقاوين وشعر أصهب، صغيرة الأنف،ممتلئة الذقن حمراء الخدين "[156] فهي أجنبية حتى ولو كانت خلاف ذلك .

نستنتج مما سبق، أن نظرة الجـــزائري "للغرب الاستعماري نظرة مركبـــة، تقـــوم على الانبهار بالتفـــوق الحضاري والتقني من جهة، والكره والمقاومة من جهة أخرى"[157]

وقد ساهم في بناء هذه النظرة تجربة ميـــدانية.ناتـــجة عن وعي، ومعـــرفة سابقـــين لأجـــانب تداولوا على أرض الأنا.

الشخصية الثانية لرجل التـــعليم في هذه الرواية، هي شخصية القيم العام صـــديق الطفل الشـــاعر بـــالثانوية العربية المسيحية. وقد كان هذا الأخير يتسم ببنية جسمية مميزة فهو"ضخم الجثة إلى حد خارق للعادة طوله يتعدى المترين، بالإضافة إلى غلظة عظامه ينعـــته الجميع بما في ذلك المدير بالعملاق حتى أنـــه لا أحد يتـــذكر اسمه أو لـــقبه من أصـــل كورسيكي "[158].

يتسم القيم العام معنويا بالطيبة ومعاملة الطـــفل الشاعر معاملة حسنة، كما أنّه كان يبغض الفرنسيين وينزعج كثيرا إذ ما نسب إليهم" وفي كل مرة يصحح لا أنا كورسيكي ولست فرنسيا"[159].

حقّق الطـــفل الشـــاعر أمنية القيم العـــام في لقاء المـــجاهدين الّذين " كان يماريهم حينا، ويجاريهم حينا آخر لكنه في كل مرة كان يطـــلق ما يوحي بأنه كره هذه الحـــرب

([156])- الطاهر وطار : زوجة الشاعر : الشهداء يعودون هذا الأسبوع، (د، ط)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص121.
([157])- لينة عوض: تجربة الطاهر وطار الروائية ، بين الإيديولوجية وجماليات الرواية، مرجع سابق، ص182.
([158])- الطاهر وطار : الشمعة والدهاليز، مصدر سابق، ص59.
([159])- المصدر نفسه، ص59.

القذرة"[160]، لكنه في الوقت نفسه كان يستخدم مصطلحات فرنسا المنتقاة للتعبير عن ما كان يحدث بالجزائر كعدم استعمال عبـــارة الحرب، والاكتفاء " بأحداث الجزائر ما يوحـــي باعترافه بوجود شعب آخر في الجزائر، ليس فرنسيا بل جزائري"[161].

جلبت فرنسا عند اجتياحها للجزائر ترسانة من المثقفين الفرنسيين لدعم تواجدها العسكري بما في ذلك المعلم الّذي يعتبر" شخصية معروفة في المغـــرب العـــربي"[162] استطاعت بامتياز أن تستأثر بإعجاب التّلاميذ الجزائريين، الّذين كانوا بمثابة أرض خصبة لزرع القيم والثقافة الفرنـــسية، و بعض الأفكار الخاطئة كاعتبار لجـــزائر قطعة من فرنسا.

فضح القيم العام أهداف ســـياسة ديـــغول الجديدة في الجزائر الرامية إلى الحـــفاظ على مصالح فرنـــسا في المستقبل ، كون أن زمن الاستعمار بالقوة العســـكرية قد أصبح من الماضي وحلّ محله استعمار العقول الّذي تنضح نتائجه على المدى البعيد فـــ " حتى ولو انتهت المعارك المسلحة فإنّ المعارك السياسية تبقى جارية.... "[163].

رسمت شخصية القيّم العام رسما إيجابيا، بحيث كانت تساند الطفل الشاعر طيلة مسيرته الدراسية. ولا كأنّه حارسه الشخصي، كما كان له تأثير كبيرا في توجيه فكره توجيها شيوعيا.

([160])-الطاهر وطار : الشمعة والدهاليز، مصدر سابق, ص61 .
([161])- المصدر نفسه، ص 61.
([162])- عبد المجيد حنون: صورة الفرنسي في الرواية المغربية، مرجع سابق، ص170.
([163])- ينظر الطاهر وطار: الشمعة والدهاليز، مصدر سابق، ص62.

والجدول التّالي يلخص أهمّ الصّفات الجسدية، والمعنوية لهاتين الشخصيتين:

الشخصية	المتن الذي وردت فيه	الصّفات الجسمية	الصّفات المعنوية	طبيعتها	جنسيتها
المدير	الشمعة والدهاليز	نظيف	هادئ الأعصاب متزن يشعر بالمسؤولية	ثانوية	فرنسية
القيم العام	الشمعة والدهاليز	ضخم الجثة طوله مترين غليظ العظام	هادئ الأعصاب متزن لطيف	ثانوية	كورسيكية

استطاع الطاهر وطار من خلال هتان الشخصيتان أن يلقي الضوء على إشـــكالية عويصة ظلت لزمن طويل محل نقاش وجدل، ويتعلق الأمر بتأثير النخبة المفرنسة(الّتي تلقـــت تعليمها في المدارس الفرنسية) على سير الحيـــاة العامة الثـــقافية والاقتـــصادية والاجتماعية للجزائر بعد رحيل المســـتعمِر.هل كان قرار تسليمها مقاليد الســـلطة قرارا صائبا ؟ أم أنّه كان خطأ نجم عنه جيل مفرنس آخر حذا حذو الجيل السابق دون وجود مسوغات مقنعة، ما فتح مجال الغـــزو الثقافي الفرنـــسي الّذي أصبح يلقـــي بظـــــلاله الوارفة على مظاهر الحياة العامة في الجزائر (اللغة ، الملبس....).

تمّيز رجل التـــعليم في الرواية المغربية –كما ذهب إليه عبد المجيد حنون– بكونه " إنسان يتمتع بصفات معنوية حســـنة، فهو قوي الشخصية جاد في عمله، حيوي ونشيط

هادئ الأعصاب متزن في تصرفاته واسع الاطلاع والمعرفة منظم.... دوره في الرواية إثارة إعجاب البطل"[164]، وهذا ما ينطبق تماما على شخصـــيات التّعليم الواردة في الخطاب السردي عند الطاهر وطار.

2-رجل القضاء:

أ - في رواية العشق والموت في الزمن الحراشي:

هو قاضي بمحكمة باتنة عرضت عليه قضية الشباح المكي المناضل الشيوعي الّذي اعتقله الحاكم فابي، وبعد استنطاق المتهم، وسماع الشهود حكم عليه بـــ " عـــشرة أشهر سجنا وخمس سنوات نفيا "[165].

أما رئيس محكمة الجزائر فإنّه بمجرد إطلاعه على ملف هذا الأخير رأى أنّه " لا حاجة للمرافعة، لأن الشباح المكي الأوراسي بريء حسب رأي المحكمة "[166]. وقد قدمت هاتين الشخصيتين عن طريق السرد.

كما وردت إشـــارة خفيفة إلى المحامي، ويتعلق الأمر"بالســـيدين جوزي وديرلاد "[167] اللّذان تكفلا بالدفاع عن الشباح المكي.

والجدول التّالي يلخص أهمّ الصّفات الجسدية، والمعنوية لهذه الشخصيات:

الشخصية	المتن الّذي وردت فيه	الصّفات الجسمية	الصّفات المعنوية	طبيعتها	جنسيتها
القاضي	العشق والمـــوت في الزمن الحراشي	لا يوجد	غير عادل	ثانوية	/

([164])- عبد المجيد حنون : صورة الفرنسي في الرواية المغربية، مرجع سابق، ص 253.
([165])- الطاهر وطار : العشق والموت في الزمن الحراشي، مصدر سابق ، ص128.
([166])- المصدر نفسه، ص 128.
([167])-المصدر نفسه، ص128.

رئيس المحكمة	العشق والمـــوت في الزمن الحراشي	لا يوجد	عادل	ثانوية	/
المحامي جوزي	العشق والمـــوت في الزمن الحراشي	لا يوجد	/	ثانوية	/
المحامي ديرالد	العشق والمـــوت في الزمن الحراشي	لا يوجد	/	ثانوية	/

بدا حضور شخصيات القضـــاء في الخـــطاب السردي عند الطاهر وطار حضورا باهتا هامشيا، منها من كان يخضع لسلـــطة الاحـــتلال الفرنسي مثل قاض محكمة باتنة ومنها من كان يحكم بالعدل مثل رئـــيس محكمة الجـــزائر، ومنها من لم يتوان في تقديم المساعدة للشخصية الجزائرية مثل المحامي جوزي. كما لم يرد لها أي ذكـــر لجنسيتها.

3-المعمر:

أ - في رواية اللاز:

أول الشخصيات المعمرة حضورا في هذه الرواية هو المعمر المزارع الّذي تعمّد البـــقاء في الأخير، عندما أمر شيخ جبهة التحرير باعتقـــالهم وسجنهم بمغارة مظـــلمة بحيث " ألقى نظرة على الشـــمس الصاعدة نحو كـــبد السماء، قبـــــل أن يدلّي رجليه ويدخل.. "[168].

إن نظرة المعمر القلقة، والمترقبة إلي الشمس تعيد إلى ذهني نظرة الأجنبي للطبيعة الشرقية، الّتي تعتبر الشـــمس من إحدى أهمّ مكوناتـــها، فهي نفـــسها الشمس الّتي دفعت

([168])- الطاهر وطار: اللاز، مصدر سابق ، ص184.

بمرسو بطل رواية (الغريب) لألبير كامو لقتل العربي، كما هي نفسها الشمس الّتي دفعت بغي دي موباسان إلى عنونة رحلاته إلى الجزائر بـ(رحلة إلى بلاد الشمس). فلربما أراد الطاهر وطار أن يشير من خلال نظرة المعمر هذه إلى العلاقة الحميمية الّتي جمعت وتجمع الأجنبي بالشمس الشرقية ، الّتي يفتقد إليها في بلاده الشديدة البرودة.

أما المعمر الثاني فهو شخص" نحيف معروق الساهم يبدو كبير في السن، لديه خيوط زرقاء على جبهته ربما لأنه فحام"[169]، معنويا بدا غير آبه للموت ربما"لأنّه اعترض سبيله قبل اليوم وذاقه عدة مرات"[170].ولعلّ ذلك راجع إلى طبيعة عمله القاسية.

المعمر الثالث هو شاب كان"يمتص سيغارته بنهم عيناه تشير إلى أنّه عسكري خصره أيضا تدل على ذلك،أين تلقناها، في الجامعة أم الهند الصينية؟يداه خشنتان يقين أنّه شغيل، ولعله كان في سلاح المدفعية الموت يلوح من عينيه ومن حركات أصبعه "[171].

آخر شخصية معمرة وردت في هذه الرواية تتعلق بكهل يرجح زيدان أنّه رآه " في مؤتمر من المؤتمرات، أصلع لا شعر في رأسه ، أكيد أنه نقابي ستستريح بموته الاحتكارات الفرنسية.. "[172].

نتعرف على هذه الشخصيات على لسان زيدان الّذي تكفل باستقراء وتفرس ملامحها (نظرة خارجية)عن طريق الوصف،وحوار مقتضب جدا، لا يحدّد الشخصية المقصودة به، لأن الطاهر وطار كان يستعمل عبارة قال المعمر الأول، أو قال المعمر الثاني.

([169])- ينظر الطاهر وطار: اللاز، مصدر سابق، ص 206.
([170])- ينظر المصدر نفسه، ص 206.
([171])- المصدر نفسه، ص 206 .
([172])- المصدر نفسه، ص206.

بالإضافة إلى ما سبق، كانت هناك إشارة عرضية لشخصيات معمرة أخرى كـ "ريمون شيخ البلدية وجان جون وموريس صاحبا ضيعتين وخمارتين"[173].

ب- في رواية الزلزال :

هو معمر يهودي ثار ضده الفلاحون الّذين كانوا يعملون في أرضه لكن جدّ بولرواح هجم عليه و" ... شد وثاقه بالحبال، ومنع الخماسة من قتله، أخرج كل ما في منزله من أثاث، ربط الدارس في الخيول والأبقار، وراح يجره إلى خيمته"[174].

ولقد استنفرت هذه الحادثة اليهود الآخرين الّذين جاؤوا لمساعدة رفيقهم وعلى الرغم من أنهم أعلنوا عن مسامحتهم لجد بولرواح بعد أن حلت هذه المشكلة إلا أنّ هذا الأخير وجد مقتولا بعد سنين من الحادثة.

ج- في رواية الشمعة والدهاليز :

هو تلميذ في السنة النهائية بالثانوية العربية المسيحية ضايق ذات مرة الطفل الشاعر فهدّده بالقتل من طرف الفلاقة*، وبعد أن أشاع الخبر صار كل من يقابل الطفل الشاعر"في مكان خالي، يطلق ساقيه للريح وهو يلتفت يمينا وشمالا "[175].صحيح أن حضور هذه الشخصية كان حضورا مقتضبا إلا أنّنا نستطيع أن نستخلص بعض صفاتها المعنوية والمتمثلة في حقدها على التّلاميذ الجزائريين، بالإضافة إلى اتصافها بالجبن، وقد عرضت هذه الشخصية عن طريق السرد.

([173])-الطاهر وطار: اللاز، مصدر سابق ، ص210 .
([174])- الطاهر وطار:الزلزال ، مصدر سابق، ص145.
(*)- الفلاقة مصطلح استعمله الفرنسيون للدلالة على الجزائريين.
([175])- الطاهر وطار : الشمعة والدهاليز، مصدر سابق، ص 59.

أما ثاني معـــمر ورد في هذه الرواية، فهو يهودي" من رحبة الصـــوف بقسنطينة"[176]

كان صديقا للطفل الشاعر في الثانوية العربية المسيحية، كما أنّه اشترك معه في إعداد رقصة فلكورية لحفلة نهاية السنة والّتي عزف فيها"عزفا منفردا على الكـــمان، عزف في الأول القطعة المبرمجة، ثم ارتجل لحنا فولكلوريا لأغنية سجلها راؤول جورنو طهر يا مطهر صحة لا إديك لا تجرح وليدي لا نغضب عليك "[177]، وقد قدمـــت هذه الشخصية عن طريق الحوار، والسرد كما أنّه لم يرد لها أي وصف جسدي.

والجدول التالّي يلخص أهمّ صفاتها الجسدية والمعنوية:

الشخصية	المتن الّذي وردت فيه	الصّفات الجسدية	الصّفات المعنوية	طبيعتها	جنسيتها
المعمر الأول	اللاز	/	متضامن مع الجزائريين	ثانوية	فرنسية
المعمر الثاني	اللاز	نحيف ، معروق الساهم ، لديه عروق زرقاء في جبهته	متضامن مع الجزائريين	ثانوية	فرنسية
المعمر الثالث	اللاز	يداه خشنتان	متضامن مع الجزائريين	ثانوية	فرنسية
المعمر الرابع	اللاز	أصلع، كهل	متضامن مع	ثانوية	فرنسية

([176])-الطاهر وطار: الشمعة والدهاليز، مصدر سابق، ص 70.
([177])- المصدر نفسه ، ص70.

		الجزائريين			
المعمر اليهودي	الزلزال	ظالم	ثانوية	/	يهودية
المعمر الشاب	الشمعة والدهاليز	معتدي جبان	ثانوية	/	فرنسية
المعمر اليهودي الشاب	الشمعة والدهاليز	عازف كمان لطيف المعاملة	ثانوية	/	يهودية

تميّزت الشخصيات المعمرة الواردة في الخطاب السردي عند الطاهر وطار بامتلاكها للممتلكات. ترفه عن نفسها بالسهر في خمارات، كما أنّها تتقلد مناصب إدارية كرئاسة البلدية، وقد يحمل أبناؤهم المتمدرسين في مدارس مختلطة (فرنسية وجزائرية) نزعة عدوانية اتجاه أبناء الأهالي، لكن يكفي تهديدهم لجعلهم يفرون فزعا، فيما يتميز المعمر اليهودي الفتّي بحسن المعاملة واللطافة.

وقف المعمرون الفرنسيون ذوي التوجه الشيوعي إلى جانب شخصيات الأنا (الجزائري)، وساندوهم في قضية كفاحهم العادلة، لكنهم كانوا أقل ثباتا وعزيمة من شخصيات الأنا ،وهذا ما تثبته المقبوسات التالية:

-"كان لكلمات الشيخ الموجزة وقع الصاعقة في نفوس الأوربيين"[178].

-" تجمّد الأوربيين "[179].

كما حظيت هذه الشخصيات ببعض الوصف الجسدي، لكنه بعيد عن الصّفات

([178])- الطاهر وطار : اللاز، مصدر سابق، ص 178.
([179])- المصدر نفسه، ص196.

المألوفة للإنسان الأوربي(البشرة البيضاء، العيون الزرقاء.) بل اقتصر على ذكر صفات جسدية هي نتاج العمل الشـــاق الّذي كانوا يقومون به(الأيـــدي الخشنة، النّحافة العروق الزرقاء في الجبهة..).

4- الأجانب عامة :

أ- في قصة جارتنا الملكة :

هو "شاب أنيق جميل "[180]عرضت شخصيته عَرَضًا، وقد صحب هذا الأخير خطيبته الّتي كانت تعمل كنادلة في مطعم فندق للقاء أحد النزلاء.

ب- في رواية تجربة في العشق:

هو شاب جورجي الأصـــل " أصلع "[181] استضاف المستشار الشيوعي وصديقه رئيس

الفرقة المسرحية وحبـــيبته، في إحدى الحانات وهي مـــسألة "عادية بالنسبة للجورجيين الّذين يفنون أعمارهم في تأكيد كرمهم"[182]. سكر الآخرون بعد احتساء الكثير من الشراب فيما ظل " الجورجي الأصلع الأصيل ثابتا في موقعه مصمما على أن لا يخرج كوبيكا واحدا إلا من عنده"[183]. ونتعرف على هذه الشخصية عن طريق السرد.

ج - في رواية العشق والموت في الزمن الحراشي:

يتعلق الأمر بشخصية القس والخادم وقد وردت هتان الشخصيتان في قصة تضمنتها هذه الرواية، وتدور أحداثها حول خادم وقـــس يشك كلاهما في الآخـــر، "فالأول يشـــك

([180])- الطاهر وطار: جارتنا الملكة، يوم مشيت في جنازتي ومشى الناس، (د، ط)، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2007، ص14.
([181])- الطاهر وطار: تجربة في العشق، مصدر سابق، ص 628.
([182])-المصدر نفسه، ص628.
([183])- المصدر نفسه، ص628.

في أن الخادم هو الّذي يسرق الجزر من الحـــديقة، والثاني يشك في أن زوجته تخـــونه مع القس، وذات مرة عندما كان الخادم في جلسة اعتراف حاول القس أن يستـــغل هذه الفرصة ويســـأله عن ما إذا كان هو السارق، لكن الخادم الذكي استـــطاع أن يأخذ مكان القس بحجة عدم سماعه من مكانه، ليـــسأله بدوره عن خيانة زوجـــته "[184].عرضت هتان الشخصيتان عن طريق السرد التّقريري والحوار.

د- في رواية الولي الصالح يرفع يديه بالدعاء:

كان هذا الشاب الهندي خادما لامرأة خليجية, وعلى الأرجح كان تربطهما علاقة عاطفية، لكن بعد شيوع نفاذ النفط من المناطق العربية حسب أحداث هذه الرواية قرّر الرحيل لأنّ " العرب نفط.... وافد يعني نفط "[185]، ولم تثنه توسلات هذه المرأة، ولا إغراءاتها بزيادة راتبه، وإعطائه سكنا خاصـــا بالبقاء معها.وقد قدمت هذه الشـــخصية عن طريق الحوار.

العالم ضرططوخ هي شخصية غير واضحة المعالم الجسدية، تحمل في جعبتها الأفكار الّتي تتذرع بها إسرائيل في استيطانها لأرض فلسطين، ولتبرير الأعمال الغير المـــشروعة الّتي تقوم بها، بطـــريقة تهـــكمية تدعو إلى السخرية، ومن بين ما جاء على لسان هذه الشخصية في تعليل حالة السواد التّي عمّت العالم حسب أحداث الرواية هي أنها تمت بفعل "سحر ساحر"[186]، وقدمت هذه الشخصية عن طريق السرد.

لا نعرف عن الشخصية الثالثة الواردة في هذه الرواية ســـوى أنها ألمانية حاورها عبد الرحيم فقراء* حول الجدار الّذي كان يفـــصل بين الألمانيتين فأجابته:" بأنه لا يوجد

([184])- ينظر الطاهر وطار : العشق والموت في الزمن الحراشي ، مصدر سابق ،ص100.
([185])- الطاهر وطار: الولي الصالح يرفع يديه بالدعاء، مصدر سابق، ص 95.
([186]) – المصدر نفسه، ص40.
(*)-هو إحدى شخصيات هذه الرواية.

سوى ألمان وراء الجدار، وسيلتقون دون حزب"[187].

وفي سياق الحديث ذاته، ورد ذكر لبعض الصفات الّتي يمتاز بها الألماني، فمثلا أنّه " يخفي أشياء كثيــرة في صدره، وهو إذا كشف عن نواياه العميقة، فإنما بالأفعال وليس بالأقوال ... قد يسمعك الألماني يوما كاملا ، تشتم هتلر، ولكن في إشارة قصيرة ولماحة يفهمك أن الأخــطاء من خصائص البشر، وإن الأفلام الأمريكية خاصــة عن الألــمان مضحكة"[188].

يبدو الألماني من خلال هذا المقبوس رجل فعل لا قول، يعترف بأخطائه ولعل الطاهر وطار يقصد من وراء ذكر الأفلام الأمريكية عن الألمان الإشارة إلى ما تحويه هذه الأخــيرة في معالجتها للقضايا الإنسانية من تضخيم للــذات الأمريــكية بوضــعها في صورة المنقذ لشعوب المعمورة، متناسية في الوقت ذاته أنها أحد أهم أطراف هذا الاحتلال.

الشخصية الرابعة تتعلق بصحفي غربي، لم تذكــر جنسيته " كان خائفا وحذر جدا"[189] في كلامه عن أوضــاع الشرق الأوسط، ويعلّل الصحفي عبد الرحيم فقراء، ومن ورائه الطاهر وطار ذلك " بأن الصحفيين الغــربيين وكذا المثقفين عامّة لا يبــدون هذا القدر من الحذر والحــيطة إلا من مخافة أن يتهموا " بمعاداة السامية "[190]، التي كانت ولا زالت تلصق بكل من تسول له نفسه انتقاد السياسة الإسرائيلية.

([187])- الطاهر وطار: الولي الصالح يرفع يديه بالدعاء، مصدر سابق، ص 52 .
([188])- المصدر نفسه، ص52.
([189])- المصدر نفسه، ص50.
([190])- ينظر المصدر نفسه، ص50.

والجدول التّالي يلخص أهم الصّفات الجسدية والمعنوية الّتي حظيت بها هذه الشخصيات:

الشخصية	المتن الذي وردت فيه	الصّفات الجسدية	الصّفات المعنوية	طبيعتها	جنسيتها
الشاب	جارتنا الملكة	وسيم	لا يمانع أن تعمل خطيبته لوقت متأخر	ثانوية	أحد بلدان الاتحاد السوفياتي سابقا
الشاب الجورجي	تجربـــة في العشق	أصلع	كريم	ثانوية	جورجية
الشاب الهندي	الولي الصالح يرفع يديه بالدعاء	لا يوجد	غير وفي	ثانوية	هندية
القس	العشق والـــموت في الزمن الحراشي	لا يوجد	خائن لمهنته	ثانوية	/
الخادم	العشق والموت في الزمن الحراشي	لا يوجد	خائن لمهنته	ثانوية	/
الألماني	الولي الصالح يرفع يديه	لا يوجد	مؤمن، بارد الأعصاب راجح العقل	ثانوية	ألمانية

	بالدعاء				
العالم ضرططوخ	الولي الصالح يرفع يديه بالدعاء	لا يوجد	مدعي، وملفق	ثانوية	إسرائيلية
الصحفي الغربي	الولي الصالح يرفع يديه بالدعاء	لا يوجد	خائف ، حذر	ثانوية	/

تراوحت الصفات المعنوية للشخصيات الأجنبية المدنية الوارد في الخطاب السردي عند الطاهر وطار بين عدم المبالاة مثل الشاب الوسيم، والكرم مثل الشاب الجورجي تربطها بأرض الأنا مصالحها الخاصة مثل الشاب الهندي، تخون أقدس مهنة مثل القس أو تخون من تعمل لديه مثل الخادم، مؤمنة بوحدتها مثل الألماني. مدّعية وملفقة مثل العالم ضرططوخ، خائفة وحذرة في أقوالها مثل الصحفي الغربي.

جسدت الشخصيات الأجنبية الذكورية الواردة في الخطاب السردي عند الطاهر وطار حضور فكرة الغرب بظلاله الحقيقية والسرابية، بحيث احتكرت الشخصيات العسكرية نسبة هذا الحضور بنسبة 44.9% ، فيما احتلت الشخصيات المدنية نسبة 42.86 %. أما نسبة حضور الشخصيات السياسية فقد بلغ 12.24%.

كما أن حضورها لم يكن حكرا على جنسية دون أخرى بل تعددت انتماءاتها واختلفت لتشمل الفرنسي، والاسباني، والأميركي، والكورسيكي، واليهودي، والروسي والجورجي، والهندي، والألماني ،والإسرائيلي.

تميزت بـــعض هذه الشـــخصيات أيضا بمنحـــها أسماء معينة أضـــفت عليها نوع من الخصوصية، ذلك أن الاسم بالنسبة للشخصية "هو ميزتها الأولى و هو الّذي يعين الشخصية ويجعلها معروفة وفردية"[191]، في حين خوطبت الشخصيات الأخرى إما بصفة عملها(القبطان ، الدركي ، القاضي...)، أو حسب جنسيتها(الهندي، الجورجي الألماني ...) .

تباينت نظرة الطاهر وطار للشخصيات الأجنبية الذكورية الواردة في خطابه السردي حسب جنسيتها، فنظرته للفرنسي غير نظرته للإسباني، ونظرته لليهودي غير نظرته للإسرائيلي، وهي نظرة مبررة كون" لكل آخر تعريف خاص يوليه إليه من كان له به شأن"[192].كما امـــتد هذا الاخـــتلاف ليطال أصحاب الجنسية الواحدة، فاختلفت بذلك نظرته إلى الفرنسي المحتل، والفرنسي التّقدمي، والمعمر التّقدمي ربما لأنّه يؤول الأمر في رسم صورة الآخر، وفي تعيين دلالته ومعناه –كما ذهب إليه سعيد بن سعيد العلوي" إلى الثقافة الّتي تكون إليها انتماء الأنا أو الذات الّتي تتحدث عن الغير المخالف "[193].

ولعل إيجابية صورة الشخصيات الذكورية الشيـــوعية لا يستعصي عن ا لتّفسير

([191])- أحمد شعث : شعرية السرد في الرواية العربية المعاصرة، ط1، مكتبة القادسية للنشر والتوزيع، حزيران، 2008، ص148.

([192])- دلال ألبرازي : الآخر المفارقة الضرورية في الطاهر لبيب وآخرون، نقلا عن أحلام صغور، واقع دراسات الأدب المقارن في المغرب العربي، مرجع سابق، ص254.

([193])- سعيد بن سعيد العلوي: صورة أوربا في مرآة الرحلة المغربية، مرجع سابق، ص13.

إن تم استحـــضار الدافع الإيديولوجي الكامن وراء ذلك، والّذي لا يكاد يفـــارق الطاهر وطار إلا لماما بشهادة الكثير من الدارسين، لذا فإني أعتقد مثل مـــخلوف عامر أن أهم ما نفـــرد به الطاهر وطار " عند استحضاره تراث الحرب، هو انحيازه الواضح وبشكل متعاطف مع دور الشيوعيين في الحرب دون إثارة أسئلة نقدية عن طبيعة هذا الدور"[194] سواء أتعلق الأمر بالشيوعيين العرب، أو الأجانب وإن كانت الفئة الثانية هي ما يهمنا.

ذهب إبراهيم عباس إلى القول بأن رواية اللاز قد انبت "على التصادمية الأيديولوجية بين ثنائيات كبرى، الاستعمار الغاشم ضد الوطنيين المستعمرين، وثنائية صغرى داخلية ضمنية، البورجوازية الوطنية في مقابل التقدمية الشيوعية .."[195]، وهي نفسها الرواية الّتي ضمت شخصية القبطان الإسباني الشيوعي، والشخصيات الفرنسية المعمرة الشيوعية، ما يعني ربما أنه عـــندما انتـــقلت التّقدمية الشـــيوعية للثنـــائية الأولى هزمتـــها وفرضت رسمها رسما ايجابيا، وهو ما تمثله التّرسيمة التّالية:

الفرنسي ←عدو

الشيوعي ←صديق

فرنسي شيوعي ←صديق

وما يدعم هذا الاستنتاج هو الوسم الايجابي لحافظ المخزن التّقدمي أيضا.وقد هدف الطاهر وطار من خـــلال هذا الوســـم الايجابي أيضا– على حد قـــول مخلوف عامر –

([194])- عامر مخلوف: توظيف التراث في الرواية الجزائرية (بحث في الرواية المكتوبة بالعربية) ،ط1 ، منشورات دار الأديب ، 2005، ص171.

([195])- إبراهيم عباس : الرواية المغاربية الجدلية التاريخية والواقع المعيش، دراسة في بنية المضمون، (د، ط)، منشورات أنيب،2002 ، ص26.

إلى" تمجيد الثوار وإبراز تسامحهم ألا محدود ومثلهم الإنسانية"[196]، بتغاضيهم عن ماضي تلك الشخصيات، وما ألحقته من أذى في السابق، وبداية لفتح صفحة جديدة تؤطرها علاقة مبنية على التّعاون والتفاهم.

يؤول الاختلاف في بناء الشخصيات ذات الانتماء الواحد –كما يشير إليه نجم عبد الله كاظم –إلى ما يتحكم في الأديب من" نيّات مسبقة لأن تكون هذه الشخصيات بالأشكال الّتي يريدها أن تكون، وبما يتلاءم مع خلفياته الفكرية والسياسية ، لا مع واقعها أو مع ما وجدت عليها أصولها الّتي تفترض أن تكون لها"[197]، كأن يجعلها الأديب مثلا تقف ضد مصلحة بلدها، أو يجمع في شخصها جملة من الصفات السلبية حتّى يستطيع أن يقدم من خلالها انتقاد للطرف الّذي تمثله، وهذا–ما ذهب إليه ناصيف نصار– بقوله أن إنتاج صورة الآخر على المستوى الإيديولوجي" يميل ضمن جدلية الكشف والحجب وجدلية الانطباع والإسقاط، إلى الاختزال الثنائي المتمثل في التجميل والتّشويه وفي التّحسين والتّقبيح"[198]، أي أنه قائم على الانتقاء الحذر للأوصاف والأفكار.

لم يكتف الطاهر وطار بوصف شخصياته الأجنبية الذكورية وصفا خارجيا فقط بل جعلها أيضا تتحدث عن نفسها لأن " العالم الإيديولوجي للآخر العالم الأيديولوجي الغريب يتعذر تصويره الّتصوير المناسب مالم نمكنه من إسماع صوته وما لم نبين كلمته الخاصة، ذلك أن الكلمة المناسبة فعلا لتصوير العالم الأيديولوجي الغريب الخاص لا يمكن أن تكون إلا كلمته هو، حتى وإن لم تكن وحدها بل مشتركة مع كلمة المؤلف"[199]

([196])- عامر مخلوف : تجارب قصيرة و قضيا كبيرة،مرجع سابق، ص123.
([197]) - نجم عبد الله كاظم: الرواية العربية المعاصرة والآخر، مرجع سابق، ص69.
([198])- نصار ناصيف: الإيديولوجية على المحك، ط1، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1994، ص116.

وبذلــك لم يغلق الطــاهر وطار باب الحــوار مع هذه الشخــصيات على رأي واحــد بل جعل هذه الأخــيرة تعبر عن مشاعرها وميــولاتها، وتدافع عن أفــكارها ومواقــفها متكئ في تصويرها على السرد والوصف والحوار.

وردت صــورة هذه الشخصيات مــبتورة، أي أنها لم تشمل جميع مناحي حياتــها بل اقتصرت على جانب دون الجوانب الأخرى (إما العسكري أو ميدان العمل.....) على خلاف صورة الشرقي– عموما– الّتي ظهرت في بعض المدونات الغربية، والّتي تناولتها بنوع من التفصيل شمل"ظروف المعيشة.....وعقليتهم، ومظهرهم الجسدي وعواملهم النفسية، وعادتهم الاجــتماعية، وطريقة تعامــلهم وأخلاقهم العليا وطريقــتهم في الحديث ونساؤهم ومؤسساتهم السياسية،وتراكيب مجتمعهم وقواتهم المسلحة وزيجاتهم وحياتهم العاطفية"[200]، بشكل يجعل من هذه الصورة وثيقة إناسية عن الشرق وأهله .

اتخذ الطاهر وطار بمجابهة بعض الشخصيات الأجنبية الذكورية موقف إنتقاديا حادا،عن طريق كيل الاتهامات للحضارة الغربية في وجهها الاستعماري بتوظيف شخصيات خيالية، وأخرى مستعارة من الواقع، في مواضع متفرقة من أعماله الأدبية وهو بهذا لم يخرج عما ذهبت إليه الرواية المغربية الّتي عالجت ".. موضوع الصدام الحضاري، انطلاقا من رؤى متعددة الزوايا واستخدمت أساليب متنوعة وثرية في القص والعرض، يغــرف من عالم الذكريات في الغالب البئر العميقة والغزيرة العطاء، كما

([199])- ميخائيل باختين: الكلمة في الرواية، ت يوسف حلاق، (د، ط)، منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية، دمشق ، 1988، ص113.

([200])- منير الأصبحي : صورة العرب في الخروج وروايات أخرى، مجلة المعرفة، العدد 157، آذار مارس، 1975، ص70 .

اتخذت من أساليب الاسترجاع والتداعي والإسقاط وسائل للكشف والتعرية وإبداء وجهات النظر"[201].

إن توظيف الطاهر وطار لشخصيات أجنبية مستعارة من الواقع هو استحضار لهذا الأجنبي بهدف التّحرر من سيطرته، وما يثبت ذلك أن كل هذه الشخصيات تنتمي إلى دول استعمارية تحتل أرض الأنا (جورج بوش، شارون، أوباما، دلاديه) ولأنّ الطاهر وطار–حسب قسول فاطمة – عايش " الهموم التجريبية الّتي يعيشها الوطن العربي.... "[202]، فإنّ النّهاية التّي وضعها لهاته الشخصيات تصب في الرغبة الملحة

في التّغيير, ولو أن رسمه لها كان رسما مفتعلا، ومتكلف نوعا ما، لكن ما يبرره هو قوله في إهداء رواية الولي الصالح يرفع يده بالدعاء:" من رأى منا منكرا فليغيره بيده، وإن لم يستطع فبلسانه، وإن لم يستطع فبقلمه، وهذا أقوى الإيمان"[203].

إنّ النّزعة التّخيلية الّتي استند عليها الطاهر وطار في بناء شخصياته الأجنبية المرجعية لا تنقص من مصداقية الصورة الّتي رسمها لأنّ صدق الصورة –على حد قول عبد المجيد حنون–" لا تقاس بمدى مطابقتها للواقع وإنما تقاس بمدى صدقها الفني"[204]، كما أنّه حتّى ولو كان" الواقع المعيش هو الّذي يحدد طبيعة الموضوع وهو الّذي يوجه الكاتب نحو قضاياه المختلفة، إلا أن الرواية –كفضاء متخيل – لا تنقل الواقع

([201])- الطاهر روابنية: اتجاهات الرواية العربية في بلدان المغرب العربي، تونس، الجزائر، المغرب 1945-1975، ماجستير، مخطوط ، جامعة الجزائر، 1985-1986، ص225.

([202])-فاطمة قسول: اشتغال المتعلق به في النص السردي، الولي الطاهر يرفع يديه بالدعاء للطاهر وطار نموذجا، ماجستير، مخطوط، جامعة حسيبة بن بوعلي ،شلف، 2008-2009، ص118.

([203])-الطاهر وطار: الولي الصالح يرفع يديه بالدعاء، مصدر سابق، الإهداء.

([204])-ينظر عبد المجيد حنون: صورة الفرنسي في الرواية المغربية، مرجع سابق، ص81.

في صورته الحقيقة، وإنما تعمل دائما على تزييف الحـــقائق بصورة تقترب من الواقع"[205]

وهو ما عبر عنه ميشال بوتور بقوله أنّه لا " يمكن أن تكون هنالك واقـــعية حقـــيقية إلا إذ تركنا فيها حصة للخـــيال، وأدركنا أن الخيال هو قائـــم في الواقعي"[206].

إنّ العـــلاقة القائمة بين الواقع والمتخيل ليســـت علاقة تضاد كما تبدو في الظـــاهر فالـــنص –كما ذهب إليه حسن خمري– "بالرغم من خصوصـــيته الفردية– الذاتيـــة فهو في الغـــالب الأعم – إنتاج مجتمع معـــين، وولـــيد ظرف حضاري محـــدد، يتـــقاطع في أماكن عديدة مع هذا المحيط ويتفاعل معه"[207]، ومن هذا المنطلق نصل إلى ما ذهبت إليه آمنة بعلي "باعتبار أنّ الرواية عمل تخييلي يوهم بالواقع ولا يعكسه، وإن كان يتجاوزه"[208].

وسوف تستقيم معالم هذه الصـــورة أكثر في الفصل الموالي الّذي سوف يلقي الضوء على تواجد الأنثى الأجنبية في الخطاب السردي عند الطاهر وطار.

([205])- جعفر يايوش :الأدب الجزائري الحديث التجربة والمآل، (د، ط) .مطبعة وهران، 2006 ،ص72.
([206])- ميشال بوتور : بحوث في الرواية الجديدة ، ت فريد أنطو نيوس، ط3، منشورات عويدات، بيروت ،1982 ، ص154 .
([207])- حسن خمري : فضاء المتخيل، مقاربات في الرواية ،ط1 ، منشورات الاختلاف ،الجزائر، 2002، ص41.
([208]) - آمنة بعلي : المتخيل في الرواية الجزائرية من المتماثل إلى المختلف، (د، ط)، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2006 ص 53.

الفـــصـــــل الثـــــــــــالث:

صـــورة الشـــخـــــصيات الأجنـــبية الأنثـــوية:

المبحث الأول: اللقاء داخل الوطن

المبحث الثاني: اللقاء خارج الوطن

المبحث الثالث : خارج اللقاءين

الفصل الثالث: صورة الشخـــــــصيات الأجـــــنبية الأنثوية

المبحث الأول: اللقاء داخل الوطن:

1- العجوز:

أ- في قصة محو العار:

هي أول شخصية أجنبية أنثوية ترد في الخطاب السردي عند الطاهر وطار، وقد اعتـــنت هذه العـــجوز بتربـــية بلخير منذ أن كان طفل صغيرا بسبب عدم قدرتـــها على الإنجاب، ولما كبر اعتمدت عليه في تسيير شؤون نزلها، وكثيرا ما كانت تلجأ إليه " لتأمل معه بحثا عن الحل لمشاكلها، وبكل صراحة ليقدّم لها الحل ..."[1].

كانت هذه العجوز مولعة بعيني بلخير" العسليتين اللتين لم تخف إعجابها بجمالها منذ كان غرا غريرا.."[2]، وهو ربما إعجاب يتماشى ونظرة الرومانتكيين إلى الإنـــسان الشـــرقي" فالملامح الحزينة والعينان العربيتان هما كل ما يميز الشخصية الشرقية التاريخية"[3]عندهم.

كانت هذه العجوز العقيم كما كان يحلوا لبلخير أن ينعتها، شديدة الانتقاد له في كلّ كبيرة وصغيرة، ولا تمل من تعداد فـــضائلها الّتي منت بها عليه قائلة :" لقد أشرفت على تعليمك ثلاث سنوات كاملة.. ولو لم تكن تفر من المدرسة، ولو لم يتوف المرحوم زوجي، لواصلت تعليمك إلى النّهاية..ورغم اعتنائي بتربيتك تربية حسنة، فإنّني لا أخفي

---

(1)- الطاهر وطار: محو العار، مصدر سابق، ص122.[1]

([2])- المصدر نفسه، ص122.

([3])- داود سلوم: الشخصية العربية في روايات أمريكا اللاتينية، مرجع سابق ، ص131.

عنك أن مجهوداتي أعتــبرها ذهــبت أدراج الرياح.. "[4]. وبذلك أزالت هذه العجــوز عن عاتقها أي مسؤولية تجعلها تشعر بأنها قصّرت اتجاهه.

تنتمي هذه العجوز إلى فئة المعمرين الّذين كانوا ينعمون بالعيش الرغيد تحت كنف الاستعمار الفرنسي، ونظرتها لبلخير لا تختلف عن نظرتهم، فالمستعمِر " يبذل جميع الجهود اللازمة من أجل أن يحمل المستعمَر على الاعتراف بتخلف ثقافته الّتي استحالت إلى تصرفات غريزية، وعلى الاعتراف بأن أمته لا وجود لها، بل وعلى الاعتراف بأن تكوينه البيولوجي نفسه غير منظم وغير كامل"[5]، لذا تبووء كل محاولات تحضيره وتمــدينه بالفــشل الذريع.

إن الإنــسان الأوربي عمــوما-على حد قول الجابري-" عندما يتخذ طرفا ما(آخر) له يبنيه بناء جديدا، بل يصنعه صنعا ليضمنه جميع أنواع (السلب)و(النّــفي) الّتي تمكنه من تحــديد هويته هو إيجابا"[6].والمكان المناسب له حسب هذه العجوز هو العسكرية لكنّها اشترطت ذلك إما بوفاتها أو رحيلها إلى وطنها.

وفي غفلة منها التحق بلخير بالعسكرية، ولما وصل إلى مسامعها الخبر تأسفت لفقدان اليد الّتي كانت تعتمد عليها في تسيير شؤون ممتلكاتها لا لفقدانها ابنا ربته لمــدة سبعة عشر سنة بحيث " أن الشكر الحار الّذي أطراها بها الجندرمة حين بلغ إلى علمهم الخبر خفّف بعض الشيء من أسفها"[7].

([4]) - الطاهر وطار: محو العار، مصدر سابق ، ص122.

([5])- فرانز فانون : معذبو الأرض، مرجع سابق، ص 260.

)- محمد الجابري : مسالة الهوية والعروبة، العروبة والإسلام والغرب , ط3، مركز دراسات الوحدة العربية ، يناير 2006، ص 200[6].)

([7])- الطاهر وطار: محو العار، مصدر سابق، ص 131.

لم يأبــه بلــخير لدمــوع العــجوز الّتي " اتــخذت من تجــاعيد وجــهها مجرى لها "[8]،ولا لعتابها له بجحوده لفضلها، ونكرانه لجميلها فأبى بذلك إلا أن يطعنها" بهذا الخنــجر الحاد بعد عشرة، سبع عشرة سنة.. "[9]على حد زعمها، ولا أدري إن كان تعثــرها في تحديد ســنوات تربيته ســببه حزنها وأســفها عليه، أو يمكن أن يكون دليلا قاطعا على عدم اهتمامها به، وادعائها التفاني في تربيته لدرجة أن تلتبس عليها عدد السنوات الّتي قضاها بلخير في كنفها.

اتسمت هذه الشخصية معنويا بروح الاتكالية والاستغلال والقسوة، وكان كل همها منصب في ممتلكاتها، وفي اعتقادها أنّه لا ضير أن ينتظرها بلخير طويلا حتّى تنتهي من أشغالها"كسقي الأزهار والورود وتقديم الأكل لدجاج وتفقد الأرانب"[10] مادامت العبودية – على حد قول ألبير ميمي–".. مســجلة في طبيــعة المــستدمَر، والهيــمنة من جهتها في طبيعته هو"[11].

صوّر الطاهر وطار هذه العجوز عاجزة عن حلّ مشاكلها بنفسها دون الاستعانة ببلخير(شخــصية الأنا) والّتي "... كانــت بدورها تثق الثقة العمياء في ذكائه"[12]. أما عن صفاتها الجسدية فهي تتلخص في تجاعيد وجهها لا غير.وقد عرضت هذه الشخصية عن طريق الحوار، وقليل من السرد مع الوصف.

وعلى الرغم من أنّها الســبب الرئيس في التحاق بلخير بالعسكرية وتبــوئه مرتبة رفيعة مقارنة بأقرانه بســبب بعــض ما علمته من قيم فرنسية، إلا أن تأثيرها الايجابي

([8])- ينظر الطاهر وطار: محو العار، مصدر سابق، ص131.
([9])- ينظر المصدر نفسه ، ص131.
([10])- ينظر المصدر نفسه ، ص122.
([11])- ألبير ميمي : صورة المستعمر ، مصدر سابق ، ص 79.
([12])- الطاهر وطار: محو العار، مصدر سابق ، ص122.

في صيرورة هذه الشخصية هو وصولها في نهاية القصة إلى الوعي الوطني الّذي أوجب عليها التّخلص من هذا العار والالتحاق بصفوف الثوار.

ب – في قصة الرسالة :

كان حضور هذه الشخصية الإسبانية حضورا عابرا بحيث ذكرت عرضا عندما حضرت الشرطة لتبحث عن أحد الشبان، وقد أخبرتهم "أن الدار مهجورة منذ أمد طويل... وأضافت وهي تعود أدراجها يقيني أنّ أحد البوهيمين هو الّذي يلجأ إليها لينهي فيها ليلته"[13]، ونتعرف على هذه الشخصية عن طريق السرد.

2-الزوجة:

أ- في قصة رمانة:

هي زوجة خالد، فرنسية الأصل كانت تعمل بـ"الإدارة وتتقاضى دخلا كبير.."[14]، وقد كان زوجها يخونها مع رمانة بطلة هذه القصة.

معنويا، هي شخصية لطيفة ولكنها انهزامية تخلت عن زوجها وابنيها بكل سهولة بعدما علمت بخيانته، حتى أنّها لم تكلّف نفسها عناء إخباره عن رحيلها بنفسها بل اكتفت بترك رسالة له عند رمانة تقول فيها:"حبيبي لا أخفي عنك إني أحبك، وأحب مرادا وصفية وأمك ولكن لا يسعنّي إلا أن أغادرك... وداعا"[15].

تصرفت هذه الزوجة ببرودة تامة مع رمانة على الرغم من علمها بحقيقة العلاقة

([13])- الطاهر وطار: الرسالة ، الطعنات ، مصدر سابق، ص97.
([14])- الطاهر وطار: رمانة، (د، ط)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص 40.
([15])- المصدر نفسه، ص 59 .

الّتي تجمعها بزوجها، بل"أنها حيــتها بلطف وقبــلتها"[16]، وربما يكون سلوك هذه الزوجة الأجنبية نابع من ثقافتها الغربية الّتي تعكس تقبل وتفهم الزوجة الأجنبية لاختيار زوجها ولكن هذا المبرر لا يدرء عنها التّكلف بعدم الاهتمام، والاكتراث لدرجة أنها بدت شخصية جبانة، ومستسلمة إلى أقصى حد، وقد قدمت هذه الشخصية عن طريق السرد مع إغفال لصفاتها الجسدية.

ب- في رواية الزلزال:

اسمها سارة ، يهودية الأصل، تزوج بها بولرواح وهو يعرف مسبقا أنها عقيم مثله ولقد كان لها تأثــير ايجابي في ســير حياته باعــتراف منه، فقد "خدمته واهتــمت به على أكمل وجه"[17]، وعاملته معاملة حسنة كما"كانت غنية وكانت تنفق من مالها، الحق كانت زوجة مثالية "[18].

لم يعكر صفو هذه العلاقة سوى اختلافهما في ديانة الولد الّذي أرادا أن يتبنياه فهي أرادته يهوديا، وهو أراده مسلم، وحتى بعد أن قررا أن يتبنيا اثنين استمر الخلاف وهذا ما يبيّنه الحوار التّالي :

"مسلمة ويهودي

لا مسلم ويهودية

مسلم ويهودية

لا يمكن أن يكون معي في البيت يهودي

( )- ينظر الطاهر وطار: رمانة، مصدر سابق، ص58،59.

([17])- ينظر الطاهر وطار : الزلزال، مصدر سابق ، ص152.

([18])-المصدر نفسه، ص152.

أنت متعصب

أنت متعصبة

لا أنت صفعتها صفعتني وخرجت"[19].

يمكن أن نستخلص من المقبوس السابق دلالتين إحداهما ظاهرة والأخرى باطنة تكمن الدلالة الظاهرة في أنّ للزوجة الأجنبية الحق في مناقشة زوجها والتشبث برأيها والتمسك به، وإن عاملها الزوج بقسوة فهي لا تجد حرجا في معاملته بالمثـــل دون أي عوائق نفسية تمنعها من ذلك.

أما الدلالة الباطنة، فتكمن في تعصب سارة لديانتها اليهودية والّذي يقابله عند بولرواح رفض له وتمسك بدياناته هو، فانتقل الصراع بين الأشخاص إلى صراع بين الديانات يحمل دلالة رمزية تفضي إلى ما عرف عن اليهود من اعتداد بديانتهم والتّـــغني بها إلى درجة التّطرف، واعتبار أنفسهم شعب الله المختار.

استطاعت سارة أن تترك أثرا بالغا في نفس بولرواح الّذي بقى يتذكرها، ويتحسر على فراقها، ويلوم فيها عنادها وتعصبها.وقد قدمت هذه الشخصية عن طريق الحوار دون ذكر لصفاتها الجسدية.

في نفس الرواية الّتي احتوت هذه الشخصية، ورد ذكر للحياة العامة لليهود الّذيـــن كانوا من بين النسيج البشري للجزائر، بحيث تركزوا في عدة مناطق، من بيـــنها مدينة قسنطينة وكانوا " يتحكمون في توجيه سكانها وكافة سكان الشرق بالتبـــعية.يقررون عدد

(19)-الطاهر وطار :الزلزال ، مصدر سابق ، ص153.

الأسنان الذهبية الّتي تكون في فم الرجل، فيتمثل النّاس، يقررون كمية الذهب الّذي تحمله العروس معها فيــنفذ قرارهم.حتى نــوع القــماش الّذي يرتديه النــّاس في كل فــصل أو موسم يعيــن من طــرفهم، كانت تجــارة كل شيء تخضع لمصالحهم لكنهم مع ذلك ظلوا خاضعين للمصلحة العليا للاستعمار"[20].وهذا إن دلّ على شيء فإنّــه يدل على مدى سيطرت اليهود آنذاك على سير الحياة الاقتصادية بالجزائر.

يؤاخذ الطاهر وطار اليهود على تنكرهم للجزائريين وانضوائهم تحت الراية الاستعمارية الفرنسية، ويرى أنهم ليسوا بمستوى يهود العالم الآخرين فقد" خانهم الذكاء ففي حين حافظوا على شخصيتهم في فرنسا، سلموا فيها في الجزائر، وتقمصوا الشخصية الفرنــسية، الشخــصية الاستــعمارية المتعجرفة"[21]، وعند انتــهاء الحرب وجدوا أنفــسهم" يحزمون أمتعتهم، ويهربون، يرحلون هاربين خفافا وثقالا، آسفين مدحورين شأنهم شأن الفرنسيين"[22] .

عرّف الطــاهر وطار في خــطابه الروائي اليــهودية على أنّهــا" روح تكتسب من ممارسة التجارة، والاعتماد عليها كوسيلة وحيدة في الحياة، وأن كل الأشخاص وكل جماعة يمــكن أن يتهــودوا بفعل التجارة، بهذه الدرجة أو تلك، هذه النظرية قريبة جدا من الصحة فيهود الجزائر، خرجوا عن حلقة التجارة إلى ممارسة السلطة بالتوظيف وبالاستيلاء على الأرض، وممارسة بعض الصناعات. فانخدعوا بقصتهم اليهودية.. "[23].

([20]) – الطاهر وطار : الزلزال ، مصدر سابق ، ص 159.
([21])- المصدر نفسه ، ص159 .
([22])- المصدر نفسه، ص159 .
([23])- المصدر نفسه، ص 160.

وفي رواية أخــرى يشير الطاهر وطار إلى ما عرف عن اليهود من ممارسة للسحر و الدجل كــ"سر النفث في العــقد، وفك الطلاسم واستحضار الجّن والعفاريت"[24].

إنّ المعلومات الّتي ساقها الطاهر وطار في خطابه السردي عن يهود الجزائر واليهود بصّفة عامة هي معلومات صحيحة ومثبتة تاريخيا، فلقد كان لليهود وجود بالجزائر يمكن تقسيمه إلى أربعة مراحل مهمة –حسب الدكتور ناصر سعيدوني:

–المرحلة الأولى:

" تعود إلى الحــكم الروماني –الونــدالي – البيزنطي كان لليــهود علاقة جــيدة مع السكان الأصــليين ساهم في بنائها سياسة المستعمِر الموحدة لكليهما.

–المرحلة الثانية:

ارتبطت هذه المرحلة بالفتح العربي الإسلامي وفيه حظي اليهود بمعاملة حسنة تحت ظل المبادئ الإسلامية الداعية للمعاملة الحسنة لأهل الكتاب.

–المرحلة الثالثة:

وفيها هاجر اليهود إلى المغرب العربي بعد انهيار الأندلس الإسلامية.

–المرحلة الرابعة:

واكبت هذه المرحلة الاحتلال الفرنسي للجزائر الّذي لقي ترحيبا ومؤازرة من طرف يهود الجزائر"[25].

لقد استفاد يهود الجزائر في عهد الاحتلال بعدة امتــيازات سنتها فرنسا، وجســدتها

([24])- الطاهر وطار : قصيد في التذلل، الأعمال الروائية ، المجلد الثالث ، وزارة الثقافة،2010، ص563.

([25])-ينظر ناصر الدين سعيدوني:الجزائر منطلقات وآفاق، مقاربة للواقع الجزائري من خلال قضايا ومفاهيم تاريخية، ط1، دار الغرب الإسلامي، 2000، ص365،366،367.

عدة قوانـــين وإجراءات منها التّنظيمات الّتي أقرّها " لويس فيليب سنة 1848، والّتـــي أخضعت يهود الجزائر لنفس التنظيمات الّتي كانت تنظم حياة اليهود بفرنسا"[26].بعد ذلك بفترة ألغي" المجمع الديني لعموم يهود الجزائر، الّذي أصبح تحت إشراف وتوجيه المجمع الديني المركزي لعموم يهود فرنسا وهذا ما أقره مرسوم 16 سبتمبر 1867 "[27].

أما القرار الّذي كان بمثابة القشة الّتي قسمت ظهر البعير في علاقة اليهود بعامة الشعب الجزائري فهو قانون كريميو القاضي بمنح الجنسية الفرنسية لليهود، والّذي ساهم في خلق هوة كبيرة بين اليهود والجزائريين على المدى القريب والبّعيد "فهو قد قطعهم من جذورهم التاريخية وأبعدهم عن بقية أفراد الشعب الجزائري المسلم بدون مـــبرر وعمّق الشعور المعادي لهم بين الأهالي المضطهدين الّذين رأو في قرار التّجنيس الجماعي لليهود إهانة بالغة، وإجراء مجحفا في حقهم "[28].

بالإضافة إلى المكانة الاجتماعية لليهود في الجزائر، كانوا يسيطرون أيضا على"كافة ركائز الحياة الاقتصادية من زراعة، ورعي، وتربية الحيوانات، والصناعات أيضا.علاوة على التّجارة الّتي برعوا فيها وحققوا منها ثروات كبيرة.ومن أنواع التـــّجارة نجد تجـــارة الكـــتان واستـــيراده من مصـــر إلى المغرب...وعمل اليـــهود في تجارة الذهب"[29]، وهو الأمر عينه الّذي نلـــفى له ذكر مـــتفرق في الخطاب السردي عند الطاهر وطار.

([26])--ناصر الدين سعيدوني : يهود الجزائر وموقفهم من الحركة الصهيونية، مجلة الثقافة ، العدد 77، السنة الثالثة عشرة ، أكتوبر1983، ص109.

([27])- المرجع نفسه، ص109.

([28])-المرجع نفسه، ص 109.

([29])- عبد الرحمن بشير: اليهود في المغرب العرب (22-462 ه /642-1070 م) ، ط1، عين للدارسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ،2001 ص 155.

لقد ارتكز تساؤل الطـــاهر وطار بشأن يهود الجـــزائر حول نقـــطة واحدة مهمة وهي تنكر هذه الفـــئة للمجتمـــع الجزائري الّذي عاشت بين أفراده ردحا من الزمن دون مبرر معقـــول يصـــوّغ هذا المـــوقف.الأمر الّذي خـــلق حساسية في معاملـــتها ليس على أساس انتمائها بل على أساس موقفها.

3-الفتاة:

أ- في رواية الشمعة والدهاليز :

هي فتاة مجهولة الاسم استدعاها فكر المستشار الشيوعي عندما غاظه حال بعض الشباب الجزائريين المقلدين للغرب في مظهرهم، فشبههم بإحدى يهوديات رحبة الصوف بقسنطينة تكلّف نفسها الحديث " بفرنسية مقحمة على عربية سمجة، بصوت أخن. يتأملها المرء فيقول، ربما تتوهم بشكلها القبيح هذا أنّها أوربية شقراء، ولربما هي من سلالة الخدمات في بيوت المعمرين، أولئك الّذين كان الأطفال يتدربون بهن على ممارسة الجنس. كم هن مقززات، خاصة عندما يضعن على وجوهن أرطالا من المساحيق والمراهم،فتبيض وجوههن بينما رقابهن وصدورهن المفضوحة تفضح لونهن الحقيقي "[30].

يشير هذا المقبوس إلى تنصل اليهوديات من انتمائهم عن طريـــق التّشبه بالأوربـــيين تنصل يدعم حقيقة انضوائهم تحـــت راية المســـتعمر الفرنسي بعد احتلال الجزائر على الرغم من الحياة الكريمة الّتي كانت تنعم بها الفئة الكبرى منهم، كما يفضح الإساءة الّتي كان يتعرض لها الخـــدم في بـــيوت المعمرين، والّتي تعكس بوجه

([30]) - الطاهر وطار: الشمعة والدهاليز، مصدر سابق، ص 108،109.

أو بآخـــر نزعـــة الاعتداء الكامنة لديهم.

4-العاهرة:

أ- في رواية الولي الصالح يرفع يديه بالدعاء:

حاور هذه العاهرة الروسيـــة الصحفي عبد الرحـــيم فقراء وسألها عن سبب مغادرتها للعراق فردت:"نيات نفط ،نيـــات دولار نيات عرب ، نيات حـــبيبي"[31]،وقالت ذلك" بغنج ودلال ورقة"[32]، وأشارت في الوقت نفـــسه بحركة تحرج الصحفي عن ذكرها.

وجدت العاهرات الأجنبيات حسب الطاهر وطار من العراق مكان مناسبا للممارسة العهر، وجني أموال طائلة من جيوب أثريائها، لكن ما إن شاع خبر نفاذ النفط من الشرق الأوسط حتى حزمن أمتعتهن، وقررن المغادرة لأنّه لا ثراء للعرب على وجه العـــموم من دون نفط.

وفي نفس الرواية ورد وصف للروسيات والبلقانيان " الشقر الممتلئات المـــترواميات في الشوارع كالجواميس الضالة"[33]،وهن يمارسن البغـــاء وكأنهم" يصنعون أوروبا وهمية في أقصى الشرق"[34]، وقد ساوى الطاهر وطار من خلال مقبوسه هذا بين عمل العاهرات وأوريا لما سببته هذه الأخيرة من فساد وانحلال خلقي في كل بلاد يغشاها جنودها.

([31]) الطاهر وطار: الولي الصالح يرفع يديه بالدعاء، مصدر سابق، ص94.
([32])- المصدر نفسه، ص94.
([33])- المصدر نفسه، ص17.
([34])- المصدر نفسه، ص 17.

والجدول التّالي يلخص أهمّ الصّفات الجسدية، والمعنوية لهذه الشخصيات

الشخصية	المتن الّذي وردت فيه	الصّفات الجسدية	الصّفات المعنوية	طبيعتها	جنسيتها
العجوز	محو العار	تجاعيد	إتكالية ،قاسية محبة للطبيعة	ثانوية	فرنسية
العجوز	قصة الرسالة	لا يوجد	لا يوحد	ثانوية	إسبانية
الزوجة	رمانة	لا يوجد	لطيفة انهزامية	ثانوية	فرنسية
سارة	الزلزال	لا يوجد	متعصبة	ثانوية	يهودية
الفتاة	الشمعة والدهاليز	قبيحة	متنصلة من أصلها	ثانوية	يهودية
العاهرة	الولي الصالح رفع يديه بالدعاء	شقراء ممتلئة	منفلتة	ثانوية	روسية بلقانية

انطلاقا من الجدول، نلاحظ أن الأنثى الأجنبية عند الطاهر وطار ظهرت أول ما ظهرت عنده ممثلة في عجوز معمرة، ثم بعد ذلك في صورة الزوجة، فصورة الفتاة فالعاهرة.ولم يركز الطاهر وطار على صفاتها الجسدية وإنّما ركز على صفاتها المعنوية الّتي اختلفت من شخصـــية إلى أخرى، كما كانت كلها شخـــصيات ثانوية تدور في فلك

شخصية رئيسة جزائرية. أما انتماؤها فإنه يمت بصلة إلى وجود أجنبي كان له حضور حقيقي وفعلي على أرض الجزائر، ممثل في الاستعمار الفرنسي والإسباني والمستوطن اليهودي.

المبحث الثاني: لقاء خارج الوطن:

1-الحبيبة:

أ – في قصة جارتنا الملكة:

اسمها نتاشا وهي الأرجح روسية أو من الدول الّتي كانت سابقا تابعة للاتحاد السوفيتي بحيث نعتها البطل بأنها حفيدة من أحفاد لينين. كانت تعمل نادلة بالفندق الّذي كان ينزل به بطل هذه القصة، وما إن وقعت عيناه عليها حتى أعجب بها.

نتاشا هي فتاة" لا تتعدى الرابعة والعشرين على ما يبدو، مستقيمة القد، فلا هي بالطويلة ولا بالقصيرة، ولا بالضعيفة بل تميل إلى الرشـــاقة، بيضاء تميل إلى الحمرة وجهها مســـتدير، وأنـــفها يشـــبه أنف لبؤة، بينما فمها وذقنها يتمـــمان جمال هذا الوجه الرائع"[35].

أما عن صفاتها المعنوية فهي فتاة ذكية استطاعت أن تفهم من الوهلة الأولى إعجاب البطل لجزائري بها، لذا توسلت بسبل الأنثى كي توقد جذوة هذا الإعجاب بتصرفات الدلال الّتي كانت تصدر منها، حتى تشجع البطل على المضي في إطلاق العنان لمشاعره وهو ما يفهم من قوله:

([35])- الطاهر وطار: جارتنا الملكة ، مصدر سابق ، ص11 .

– " فهي حتى وإن كانت تخـــدم زبونا آخر في طـــرف القاعة الضخمة، ما تنفك ترسل نظرها نحوي، وبرق منير يتراقص على شفتها خاطفا ، بصري وروحي"[36].

–" تثنت .تثنت روحي معها"[37].

أثّرت نتاشا البطل الجزائري بمعاملة خاصة، فضاعفت له الكافيار دون بقيـــة الزبائن الآخرين" ..... دفعت طبقه بأناملها اللطيفة ،واستمرت في الابتسام..."[38]، ولتزيد من شدة إعجابه بها كلمته بلغته الّتي كانت تجيدها إلى جانب لغات أجنبية أخرى، وبـــعد أن لمست منه تجاوبا ضربت له موعد في غرفته" بعد أن تنهي ورديتها، على الساعة الثانية عشر"[39]، بعدما قرأت رقمها من على مفتاحه الّذي كان موضوع فوق طاولته.

استعد بطـــلنا لهذا اللقاء الحـــميمي بمن يحب واحترز للأمر جيدا، فجـــلس بعـــيد عن السرير حتى لا يداهمه النوم، ويضيع منه هذا اللقاء، وعندما حانت اللحظة الموعودة ورن جرس الباب هرع لفتـــحه ليتفاجأ بنتاشا رفقة شاب تبين له بعد ذلك أنه خطيبها. والتفتت إليه بعد ذلك قائلة: "هذا كافيار من النوع الّذي قدمته لك ، لا يوجـــد في السوق ماعدا متجر اللجنة المركزية..... الكيلو الواحد بستين روبل هذا بســـتين روبلا.هذا بستين بأقل قليلا"[40].

لم يكن البطل الجـــزائري في عيني نتاشا سوى زبـــونا ،أرادت أن تبيـــعه كافيارا وعلى ضوء هذه الحقيقة ينزاح الستار على صفة معنوية أخرى لنتاشا، وهي الإغواء لقضاء مآربها. وقد أثار هذا الموقف استياء وسخط البـــطل الجزائري الّذي انتابته حالة

([36])- الطاهر وطار : جارتنا الملكة ،مصدر سابق، ص12.
([37])- المصدر نفسه ، ص13.
([38])- المصدر نفسه ، ص 12.
([39])- المصدر نفسه ، ص12.
([40])- المصدر نفسه، ص 14 .

هستيرية لدرجة أنه أراد أن يرمي بنفسه من النافذة.

إنّ الصورة النّمطية الّتي كان يحملها هذا البطل الجزائري الشرقي عن المرأة الأوربية المتحررة، والمنجرفة وراء ميولاتها ورغباتها هي الّتي جعلته لا يؤول اهتمام نتاشا به سوى في اتجاه واحد، وخاصة أنه كان يسلّم في عقله الباطن أنّ "الحبّ في هذه الديار اختياري ونزيه خال من كل الضغوط غير الروحية ،فمن أحببت يبادلك الحب، إن التقت ملائكتكما كما يقال، و أن لم تلتق فلا إكراه في الحب".[41] كما أنّ الإنسان الأوربي بالمنظور العربي–كما ورد في رواية أخرى للطاهر وطار–قد " تجاوز هذه الإشكاليات فالرجل يعيش مع المرأة دهرا، وقد ينجبون ذرية دون زواج"[42].

بالإضافة إلى ذلك فإن الكبت الجنسي الّذي يعيشه الرجل الشرقي داخل مجتمعه –على حد قول أحمد سيف الدين– يدفعه إلى"البحث عن المرأة الأجنبية كمطلب أول ساعة وصوله إلى الغرب مختزلا شخصيتها في أنوثتها وجسدها"[43].

يضعنا الطاهر وطار في قصته هذه أمام صورتين راسختين في ذهن كلتا الشخصيتين، صورة الرجل الشرقي الضعيف أمام جمال ورشاقة الأنثى الأوربية في ذهن نتاشا، وصورة الأنثى الأوروبية المتحررة المنقادة لرغباتها والّذي يكفي نيل إعجابها لجعلها ملك لك، في ذهن البطل الشرقي الجزائري.

عرض الطاهر وطار هذه الشخصية عن طريق السرد والوصف الّذي تخلله بعض الحوار، موزعا أجزاء الصورة على مساحة واسعة من هذه القصة.

([41]) - الطاهر وطار : جارتنا الملكة ،مصدر سابق ، ص12.
([42])- الطاهر وطار : العشق والموت في الزمن الحراشي ، مصدر سابق، ص59.
([43])- أحمد سيف الدين: صورة المرأة الأوربية في روايات شكيب الجابري ، مجلة جامعة دمشق ، المجلد 18، العدد الأول، 2002، ص14.
(*)- هو إحدى شخصيات هذه الرواية وقد كان يعمل في أحد المواخير.

ب- **في رواية عرس بغل :**

هي حبيبة مجهولة الاسم ورد ذكرها على لسان خاتم هزية * في سياق تذكره للأيام الخـــوالي الّتي قـــضاها بألمـــانيا، ومن حديثه يفـــهم أنها كانت تعمل في ملهى ليـــلي أرادها هو أن تغادره إلا أنها أبت وأجابته بـــ: " أنها أكثر حرية"[44] به. وفي غمرة الجدال دفعها عن غير قصـــد فوقـــعت على الدرج وفارقـــت الحياة، ليحكم عليه في النّهـــاية بـــ " أكثر من عشرين سنة أشغال شاقة[45]". قدمت هذه الشخصية عن طريق السرد دون ذكر لصفاتها الجسمية، وظهورها الموجز لا يوفر لنا أرضية خصبة تسمح لنا باستخلاص صفاتها المعنوية، عدا أنها كانت تهوى حياة اللّهو في مكان عملها.

ج- في رواية تجربة في العشق:

كانت أولغا الروسية حبيبة رئيس الفرقة المسرحية صديق المستشار الشيوعي، هناك من الدارسين من يزعم أن الطاهر وطار استعارها من الواقع*.

أبدت أولغا منذ ظهورها على متن هذه الرواية تفهما خاصا لحبيبها عن كل تصرفاته الساعية لإحكام السيطرة عليها، ومحاولة إظهار رجولته.إذ أنه كان" لا يسمح لها باختيار مقعدها وموقعها يسبقها ليـــتظاهر بالحذلقة أيضا، فيسحب إلى الخلف المقعد الّذي يختاره لها ويجبرها- وكلمة الجبر،هنا تقول أولغا في محلها تمامًا- على عدم مواجهة غيره، خاصة إذا كان من الشبان يبدي ما يمكن نعته - بدون أية مبالغة- بالغيرة

([44])- الطاهر وطار : عرس بغل ، (د، ط) ،موفم للنشر، الجزائر، 2007 ، ص 105 .

(*)-هو إحدى شخصيات هذه الرواية وقد كان يعمل في أحد المواخير.

([45])- المصدر نفسه ، ص 105 .

(*)-أولغا هي مستشرقة روسية أسهمت في ترجمة عدة أعمال أدبية من اللغة العربية إلى اللغة الروسية ، ينظر إدريس بودبية : الرؤية والبنية في روايات الطاهر وطار، مرجع سابق ، ص297.

إحدى سمات البداوة والأنانية والحبّ"[46].

إن صورة رئيس الفرقة المسرحية على هذا النحو هي صورة طبق الأصل للرجل الشرقي العتيق المنبعث من مجتمع أبوي لا يستطيع أن يرى المرأة خارج جلباب الطاعة والإذعان، لكن في الوقت نفسه كان حريصا أشد الحرص على أن لا يبدي نزعته هذه بشكل مكشوف،ومجرد،بل كان يلجأ دائما إلى الحيلة للوصول إلى مراده، كطريقة اختيار المكان الّذي تجلس فيها أولغا، فـعكس نزعة الجـبر وألبسـها رداء اللّباقة للمـرأة الّتي تصحبه.

وإذا كانت المرأة الغربية تتصرف على مبدأ مساواتها للرجل في كل الأمور فإن هذا المبدأ لا يلقى ترحيبا إذا كان الطرف الأخر رجل شرقي، جـسد هذا الـدور بامتياز رئيس الفرقة المسـرحية في متننا هذا، بحيث كان لا يستسيغ أن تفتح أولغا" حقـيبة يدها في حضرته، نهض أكثر من مـرة على المائدة قبلها، وسبقها إلى الباب، مستظهرًا للجميع، تبعـية المخـلوق الّذي وراءه له وحـده .حريمه المصون"[47]. ولهـذه الصورة مقابـل في مجتـمعاتنا الشرقية وإن شحّت نوعا ما، بحـيث لا يخرج هذا التصرف عن نزعة الذكورية الّتي يتسم بها على العموم الإنسان الشرقي، والّتي أبدت لها أولغا تفهما خاصا.

وهنا نتساءل من أين استـمدت أولغا تفهـمها هذا ؟هل من صدق مشاعرها اتجـاه رئيس الفرقة المسـرحية ؟ أم من شدة شغـفها بالتراث الشـرقي باعتـبارها "ا لأوربية

([46])- الطاهر وطار: تجربة في العشق ، مصدر سابق ، ص605,604.
([47])- المصدر نفسه ، ص 605.

المستشرقة الّتـــي لم تعرف الفونيـــة والبنيـــوية ، ومعنى الصبر إلا مع النّـــص العربي أو القواميس العربية"[48].كما جاء على لسان رئيس الفرقة المسرحية .

من الممكن أيضا أن الطـــاهر وطار يرمي من خلال إبراز تفـــهم أولغا الإشارة إلى ثلة المستشرقين الّذين كانت أحكامهم عن الشرق وأهله عادلة، ومنصفة على خلاف البعض الأخر الّذين احتوت صورهم عنه شطحات لا يقبلها العقل والمنطق.وما يرجح هذا الاحتمال هو حديثه في نفس الرواية عن الاستشراق بصفة عامّة وذكره لبعض المستشرقين أمثال: " كارل بروكلمان ، جاك بيرك "[49].

لقد عني الاستشراق بدراسة الشرق، وكان له الفضل في كشف النّقاب عن كتب ومخطوطات عربية قيـــمة، كما كان له دور بارز أيضا في رسم صـــورة مغلوطـــة عن الشرق وأهله، تباينت تباينا ملحوظا تبعا للقاء الّذي جمع بينهما.

ولعل أبرز لقاء، وأشده تأثيرا على الجانبين(أي الشرق والغرب) هو لقاء الحروب الصليبية الّذي كان بمثابة " البداية الحقيقية لمعرفة الغرب بالشرق الإسلام معرفة ميدانية واقعية"[50] بحيث كانت الصورة الّتي حملها هؤلاء الغزاة وبالأخص رجال الدين مستوحاة من"نصوص الكتاب المقدس مرجعهم الوحيد لمعرفة هؤلاء(الكفار) ومعتقداتهم وسرعان ما تشكلت صورة نمطية لأمة لا تستسيغ سوى العنف والتدمير والنهب والقتل ولا تؤمن إلا بالخرافات والبدع ولا يحكم تصرفها أية خلقية"[51].

([48])- الطاهر وطار: تجربة في العشق ، مصدر سابق ، ص606.
([49]) – ينظر المصدر نفسه، ص473.
([50])- جمال مباركي : صورة الغرب في الرواية العربية ، مرجع سابق، ص 429.
([51])- جان جبور : النظرة إلى الآخر في الخطاب الغربي من سيطرة الهواجس إلى هواجس السيطرة ، ط1، دار النهار، بيروت ، تشرين الأول 2001 ، ص17.

ومع التقادم في الزمن ظـلت هذه الصورة السـلبية لصيقة بالـشرق وأهله وكأنه "مجتمع يقبـع خارج التّاريخ وخارج الزمان ولا يتـأثر بالتطورات وبتـغير الوقائـع"[52] حتى اكتست تلك الخـطابات مع مرور الزمن أيضا طابع الخطاب الأسطـوري الّذي " يخفي مصادره وأصوله، مثلما يخفي مصادر ما يصفه وأصوله، وهـو يقدم العـرب في صورة الأنماط الثابتة المجردة تقريبا لا باعتبارهم كائنات ...."[53]، وهو طـرح لا يخلو من التّحامل المقصود الّذي ينهض أساسا على هدف التّشويه لتبرير الاحتـلال والوصاية.

وتواترَ انتقال هذه الصورة في المخيال الأوربي بحيث" أسهم أدب الرحلات دون غيره من أنواع الأدب في إكساب صورة الشرق الخاطئة هذه الشعبية الواسعة"[54] وأصبحت هذه الصورة النمطية منـبعا تمتاح منه بعض الأعمال الأدبيـة الأجنـبية صورتها عن الشرق وعوالـمه معتمدة "على تلك السمات الّتي تجعل هذا الشرق مختلفا عن الغرب وتـنفيه إلى عالم (الآخر) وتخفضه إلى مرتبة (الغير) الّذي لا صلاح له"[55] وأصبح الشرقيـون وفق هذا المنظور ليـسوا سوى أولئك "الآسـرون المتوحشون الّذين يجعلون تلك النسـاء رهائن لجشعهم ويتصرفون بهن كما لو كن قطعا من أثاث أو سلعا تجارية لا كائنات بشرية "[56]، فيما تحظى المرأة عندهم(أي الأوربيين) بمكانة وحضور قوي، كما أنّها تتمتع بقدر هام من الحرية.

([52])- محمد راتب الحلاق : نحن والآخر .دراسة في بعض الثنائيات المتداولة في الفكر العربي الحديث والمعاصر(د، ط) ، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1997 ، ص 26.

([53])-إدوارد سعيد: تعقيبات على الاستشراق ،المفاهيم الغربية للشرق ،ت محمد عناني، ط1، رؤية للنشر والتوزيع ، القاهرة ،2006، ص 487.

([54])- ناجي غويجان : تطور صورة الشرق في الأدب الإنجليزي ،ط1 ، ت تالا الصباغ ، مراجعة سعود المولى ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت، حزيران ، 2008، ص195.

([55])- رنا قباني: أساطير أوربا عن الشرق، ت صباح قباني، ط3، دار طلاس للدارسات والترجمة والنشر، دمشق، 1993، ص19.

([56])- رنا قباني: أساطير أوربا عن الشرق، مرجع سابق، ص19.

أما في الجهة المقابلة، أي الشرق فإن الغرب لم يعدو أن يكون سوى"مجرد موضوع تجاهل أكثر مما كان مجهولا في الواقع، ولقد خرج من هذا التجاهل غازيا هكـــذا تجلى لأول مرة في واقع المسلم الشـــرقي خطرا فعليا باستطاعته إخضاع المسلمين إليه في أرضهم"[57]،

وهذا التجاهل لم يأت عن سوء إدراك أو ضيق نظر وإنّما أن الغرب آنذاك " لم يكن إلا صنفا من أصناف الآخر في حقل آخرية كان عندهم واسعا ومتعددا خلال مـــدهم الحضاري"[58]، وذلك بعد انتـــشار الإسلام الّذي استطاعوا بفضله بناء حضارة كونية لها امتدادات قارية سمحت لهم بإقامة علاقات واسعة مع حضارات العـــالم" إذ شكل الفتـــح الإسلامي حدثًا تاريخيا مس القـــارات الثلاث أســـيا وإفـــريقيا وأوربا"[59].

ولكن مافتئت هذه الرقعة تنحصر شيئا فشيئا بعد الحروب الصليبية، وبعد الاستعمار المباشر الّذي جاء تحت غطاء الانتداب، وكذا الاستعمار الغـــير المباشر لأسباب علنية واهية، وأسباب خفية مدروسة مثلما حدث للجزائر(حادثـــة المروحة).

وحتـــى بعد جلاء الاحتلال من الأراضي العربيـــة بقي التعامل مع هاجـــس الأخر (الأجنبي) حاضرا في الثـــقافة العربية، وقد طال هذا الاهتـــمام ليشمل الغرب الغير الاستعماري فظهرت أعمال روائية غدت نماذج حية عبرت عن كل مرحلة من مراحـــل الرؤى إلى الآخـــر، الّذي تراوح بين وصفه، والانفتاح عليه، واســـتيعابه كما ذكـــرنا سابقـــا.

([57])- سهيل فرح: ألبغ كولوبوف، حوار الحضارات المعنى والأفكار التقنيات ، ط1 ،منشورات دار العلاء الدين، سورية، دمشق،2008، ص218

([58])- المرجع نفسه، ص114.

([59])- شمس الدين الكيلاني : الآخر في الثقافة العربية ،صورة الشعوب السوداء عند العرب في العصر الوسيط(د، ط)، منشورات الهيئة السورية للكتاب،وزارة الثقافة، دمشق، 2008، ص3.

شكلت المرأة الغربية في علاقتها بالرجل الشرقي المرتكز الأساسي الذي قامت وتقوم عليه معظم الأعمال الّتي تناولت أو تتناول موضوع الآخر الأجنبي(موسم الهجرة إلى الشمال، الحي اللاتيني، عصفور من الشرق.....).

ومن خلال هذه العلاقة أفصح الراوي أو الكاتب نظرته إلى الأخر الأجنبي.والّتي تبدو ايجابية في خطابنا هذا، فلقد جمعت أولغا في شخصها السمات الايجابية للمرأة الأوربية دون السمات السلبية من"رقة الآسيوية ولطف الأوربية،وإثارة الإفريقية، وأمومة الروسية، وكـــرم الأمريكية"،[60] كما استطاعت أن تستحوذ على اهتمام رئيس الفرقة المسرحية " بصدرها الرحب "[61] ليصبح بعد ذلك شديد الاهتمام ".. بكل مقومات فكر وروح وجسد أولغا"[62].

وبنظرته هذه ابتعد رئيس الفرقة المسرحية ومن ورائه الطاهر وطار عن النظرة المجـــنسة للأخر(الأجنبي) الممثل في شخص أولغا، وإن كانت نزعـــته الشرقية الّتي يطل بها علينا في البداية تجعلنا ننـــتظر مســـارا آخر لهذه العلاقة، خاصـــة وأن أولغا تنتمي إلى صنف النّساء الأجنبيات اللواتي يحبذهن الرجل الشـــرقي وهن:".. اللائي يتعـــاملن بصورة مباشرة أو غير مباشرة مع عالم الثقافة: هاويات الرسم والمسرح والموسيقى،عاشقات الفكر والفلسفة،الشاعرات وأشباه الشاعرات، وبصفة عامة الجامعيات من طالبـــات وأستاذات، وإن لم يتوفرن فقاطـــعات التذاكر في شباك المسارح"[63].

وهي الصورة الّتي تتسع لها شخصية أولغا، فبالإضافة إلى كونها مستشرقة أوربية

([60])- الطاهر وطار: تجربة في العشق، مصدر سابق، ص 611.
([61]) – المصدر نفسه، ص 613.
([62])- المصدر نفسه، ص 610.
([63])- جورج طرابيشي : شرق وغرب ، رجولة وأنوثة، مرجع سابق ، ص14.

فهي"عضو في الكومسومول"[64] كما أنّها حاصلة على "الماجستير والدكتورة"[65]،ما يدعم مرتبتها العلمية الرفيعة.

بلغ تأثير رئيس الفرقة المسرحية على أولغا حدا كبيرا لدرجة أنه جعلها تعتنق أفكاره وتتبناها كاعتبار"الثقافة الجزائـــرية غير الثقافة الكولونيالية"[66]،وتكلمه أيضا بلغـــته(العربية) في الوقت الّذي تجشمت فيه بعض الشخصيات العربية الأخرى عناء تعلم لغة هذا الأجنبي، في حين سكت بعض الرواة عن هذه النقطة، وجعلوا من لغة الرواية لغة مشتركة بين الشخصيات.

كما اســـتطاع رئيس الفرقة المـــسرحية بالإضافة إلى ما ســـبق ذكره،من أن يدفـــع بأولغا إلى"التـــنازل عن وقار العلماء وأن تغني له أغنية أنـــت عمري"[67]ليصـــل بها إلى أعلى عتو من الشرقية، دون أن يتوســـل بأساليب الجبر، أو الطرق الملتـــوية وإنما جاء استسلامها نتيجة قناعة شخصية.

استرعى منظر أولغا وهي تتـــكلم العربية اهتمام رئيس الفرقة المـــسرحية لدرجة أنه كان" يميز نبرات الصوت نبرة إثر الأخرى، الرخمة الموحية بالألفة والحنان ، الحادة المائلة أكثر إلى الرقة هذا النطق بالعين والحاء وبالخاء اشـــتراك الأنـــــف والـــحلق والهدوء والصـــخب ، والرضا والانزعاج، في أداء الصوت الواحـــد والنبرة الواحدة حركة الحاجبين المتـــماثلة تماما، للحروف العربية ، لا أحد يستـــطيع رصـــد ارتفاعها

(64)-الطاهر وطار: تجربة في العشق، مصدر سابق، ص 603 .
(65)-المصدر نفسه، ص603.
(66)- المصدر نفسه، ص606.
(67)- ينظر المصدر نفسه، ص 629.

أو نزولها، ولا أحد يستطيع أن يقول أن أولغا لا تكتــب بحاجبيها الجملة ، قبل أن تنطق بها جبهتها"[68].

صحيح أننا لا نلمح شعورا بارزا بالقطبية(شرق –غرب) في علاقة أولغا برئيــس الفرقة المسرحية، والّذي تجلى بعدم انتهاك جسدها عن طريق جملة من الأوصاف الحسّية المبالغ فيها، إلا أننا لو دققنا النظر أكثر لوجدنا أنّ الطاهر وطار نقل مركز الثقل من الغرب إلى الشرق،بعد أن عرّب هذا الأجنبي ووضع بيده زمام محاولة إرضاء الأنا.

في الوقت نفسه فضل قائد الفرقة المسرحية أن يبقى في برجــه العاجي ليمــثل على أكمل وجه دور الأمير الشرقي الممتنع، حتى صادف أن تعذر على أولغا المغــادرة ذات مرة بعد سهرة طويلة، وإن بدا عذر بقائها معه مقصود نوعا ما وهذا ما يوضــحه المقــبوس التّالي:"نزعت معطفها، وتأملت ساعة يدها. لا مجال للعودة. الوقت متأخر جدا، ولن أجد سيارة. أتأذن لي بقضاء الليلة في غرفتك. طارت السكرة، وزال كــل أثر توهــج بياض جسدها .مستثــنى رعشة العضلات الفائــرة"[69].

وكان هذا آخر لقاء جمع بينهما، فقد نشبت الثورة في الجزائر وغادر رئيس الفرقة المسرحية إلى بــلاده، لكن طيف أولغا ظل يرافــقه ويصــحبه أينما ذهب حتى وهو يؤدي عروضه المسرحية فــ"كل أكف بيضاء تصفق هي لأولــغا"[70]، كما أن كلّ" ضحكة جهورية إنّما هي ضحكة أولغا"[71].

ولما باءت كل محاولات نسيانها بالفشل لم يجد رئيس الفرقة المسرحية سبــيلا آخر

([68])- الطاهر وطار: تجربة في العشق ، مصدر سابق ،ص 610,609.
([69])- المصدر نفسه، ص629.
([70])- الطاهر وطار: تجربة في العشق ، مصدر سابق ، ص612.
([71])- المصدر نفسه ، ص612.

سوى أن يستسلم"..لوجود أولغا في غرفته بعدما أطلت بعينيها الواسعتين في ثوب السهرة الأرجواني الرجراج ورقص معها إيقاعات التانغو، والفالس والجاز"[72].

عندما كان رئيس الفرقة المسرحية يقيم بأرض أولغا لم يظـــهر عليه ما يوحي بعمق هذه العلاقة، وساعد على هذا الاعتقاد الأوصاف الّتي وهبها له الطاهر وطار خاصة ما تعلق بتصرفاته الشرقية الشـــبه البائدة، والّتي جعلته يبدو أمامها كتحفة شرقية أو أنموذج لرجل شرقي منقرض منبعث من الكتب الّتي اطلعت عليها، إلا أن هذا الأنموذج يغدو رجل حقيقي بعد أن تنازل عن روحانيته الشرقية إلى ماديته الفيزيولوجية.

تتلخص صفات أولغا الجســدية في كونها بيــضاء البشرة ذات عينين واســعتين. وقد قدمت هذه الشخـــصية عن طريق الوصـــف والسرد مع بعض الحـــوار المقتضب مع استعمال الجـــمل القصيرة الشـــاعرية في وصـــف ملامحها. لـــكن الراوي اكـــتفى بوصفها وصفا خارجيا على لسان رئيس الفرقة المسرحية، مما جعلها تبدو شـــخصية سطحية غير عميقة.

2- الفتاة:

أ- في قصة جارتنا الملكة:

هي فتاة مجـــهولة الاسم، ومجهولة الصـــفات لا نكاد نعرف عنها شيء سوى أنها كانت تجـــلس قبالة البطل في المستشفى "حزينة وبين يديها باقة أنيـــقة من الزهور ذات

([72])- ينظر المصدر نفسه ، ص 614.

ألوان عديدة[73]"، وقد اعتذرت للبـــطل عن غيابها في تلك الليـــلة الّتي أعجب فيه بنتاشا وحدث له ما حدث، وأسرت له عن شـــعورها " بالذنب "[74] كما أخذت تخبره عن وضع بلادها من اجتياح الأجانب لها قائلة:"نشعر أننا لم نعد في بلدنا، هنـــاك كثير من الوافدين من العالم الثالث، في مختلف المجالات، مدنيون، وعسكريون، ومن مختلف المستويات والثقافات، والسلوكيات أيضا"[75].قدمت هذه الشخصية عن طريق الحوار والوصف.

3- العجوز:

أ- في قصة جارتنا الملكة :

هي عجوز روســـية على الأرجح ادعـــت أنّـــها الفتاة نـــتاشا الّتي خدمت البطـــل الجزائري في تلك الليلة الّتي تغيبت فيها مرافقته،واتهمته بمحاولة الإيقاع بها واســـتدراجها إلى غرفتـــه،أما عن صفاتها الجسدية فهي" عجـــوز شمطاء أسنانها مطلية بالذهب والفـــضة يبدو أنّـــها من بقـــايا العـــهد القيصري"[76].عرضـــت هذه الشخـــصية عن طريق السرد.

4-الزوجة:

أ- في رواية اللاز:

التقى زيدان بسوزان بمكتب اليّد العاملة بفرنسا، بحيث ظل يحدق فيـــها لأربعة أيام دون أن يبادر بالحديث معها بسبب عدم إتقانه للغة الفرنسية،على الرغم من أنّه كان يفهم

([73])- الطاهر وطار: جارتنا الملكة، مصدر سابق ، ص 15.
([74])- المصدر نفسه ، ص 15.
([75])- المصدر نفسه ، ص 15.
([76]) – المصدر نفسه، ص 15،16.

بعض ما يقال من حوله، واكتــفى باستظهار بطاقة تعريفــه لها في ســؤاله عن العمل "فتدير رأسها في لا مبالاة، معلنة أنّه لا جديد حتى الساعة"[77].

بعد مدة تحولت اللامبالاة إلى اهتمــام، بعدما أثر زيدان إطالة مكوثه بمكتب اليــد العاملة أكثر من غيره، حتى ألفته سوزان ووجدت له عمل بمكتبة مقابلة لمكتبها، وقد ساهم قرب مكاني عملهما في توطيد علاقتهما،الّتي تحوّلت من مجرد السؤال عن الحال إلى حديث طويل يدوم طــيلة فــتــرة استراحتهما، خاصة بعد أن تعلّم زيدان النّــطق بلغتها ولو أنّه "نطق محرف للكلمات والجمل "[78]. استثار ضحك سوزان عليه كثيرا.

في خضــم هذه اللقاءات اقترحت سوزان على زيدان" تعلم القراءة والكتابة"[79] ثمّ تجاوزت مجرد الطرح إلى الفعل، وقامت بتسجيله بمكان خاص بذلك، وتكفلت بمتابعة سير دراسته عن قرب، بعدما أخذته للعيش معها ببيتها مقابل أجرة شهرية لتتسارع الأحداث بعد ذلك. وتكلل علاقتهما بالزواج والالتحاق بالجامعة الشعبية، ثم بالحلقة الماركسية، ثم بالخلية الشــيوعية، فالمدرسة القيادية الوطــنية بموسكو، وفي هذا المكان غادرتــه سوزان بعد أن استلمت" برقية من باريس تخطرها بمرض أمها ولم تعد"[80].

ورد ذكر هذه الشخصية على لسان زيدان عن طريق تقنية الفلاش باك أو الرجوع إلى الماضي، بواسطة السرد والوصف والحوار، بحيث بدّدت صورتها ظلمة الكهف الّذي كان يقبع به هذا الأخير وهي" مطلة أحيانا بعينيها الزرقاوين، وأخرى بجبهتها المشعرة و بأنفها المســتقيم، ومرة واحدة أطلت بوجهها كاملا.....كعادتها لم تكن تضع

([77])- الطاهر وطار : اللاز ، مصدر سابق ، ص163.
([78])- المصدر نفسه ، ص 164.
([79])- المصدر نفسه ، ص 164.
([80])- الطاهر وطار : اللاز ، مصدر سابق ، ص 163.

عليه أي مسحوق، حتى زغب ذقنـــها لم تنتفه"[81].ثم يسترسل في وصفها أكثـــر قائلا:" لم تكن جمـــيلة ولا قبيـــحة كانت فـــتاة عادية أشـــبه ما تكون براهـــبة، لا تتجاوز العـــشرين من عمرها"[82].

إنّ موضـــعة الطاهر وطار لســـوزان في مرتبة وسطى بين الجمال والقبح يجعلها –على حد قول بشير بويجرة– في " صورة طبق الأصل للإنسان البروايتري الّذي لا تراعى فيه المـــظاهر الشـــكلية"[83],وإنّما يحكم عليه من خلال تصرفاته وأفعـــاله بغـــض النّظر عن مظهره الخارجي.

أما معنويا فقد بدت سوزان"خالية من كل العقد ومن الرغبات والنوازع الإنسانية.."[84] فلا نكاد نلمح لها مشاعر إنسانية للحبّ، أو الكره،أو الغضب،أو السعادة عدا عدم اكتراثها لزيدان في البدء ،ورغبتها في مساعدته بعد ذلك، كما أن نظرة زيدان لها لم تتعد نطاق الصداقة، وينكشف لنا هذا الشـــعور من خلال المقبوس التّالي: " وقد ساعد عدم الإنجاب أن نشعر أننا أصدقاء لا زوجان"[85].

تذهب دبي كوكـــس في تعـــليل توظـــيف الطاهر وطار لهذه الشخصية الأجنـــبية في خـــطابه الســـردي، بكـــونه يرمي من خلالها إلى تقديم " بديلا آخر للمرأة مجـــسدا في سوزان الفرنسية المثقفة الواعية ،دون أن يغفل في الوقت ذاته الإشادة بالدور الفـــعّال للمرأة الجزائرية في دعم القضية الوطنية"[86].

([81])- المصدر نفسه ، ص163.
([82])- المصدر نفسه، ص 187.
([83])- بشير بويجرة: الشخصية في الرواية العربية، مرجع سابق ،ص 186.
([84])- المرجع نفسه ، ص 187.
([85])- الطاهر وطار : اللاز، مصدر سابق ، ص164.
([86])- ينظر دبي كوكس : روايات الطاهر وطار بين خطاب السلطة والنقد الاجتماعي ، مرجع سابق ، ص 70.

ولكني أخالفه الرأي، فلو كان الطاهر وطار ينشد هذا الهدف لما آل بعلاقتهما معا إلى الانفصال، ضف إلى ذلك أنه جعلها تشبه بعض الشيء"مريم ابنة عمه"[87]،ولربما كان انجذاب زيدان نحوها سببه هذا الشبه الموجود بينهما، لذا أظن أن ّما ذهب إليه بشير بويجرة في تعليل حضور هذه الشخصية هو الأقرب إلى الصّواب، وبالتـــالي لم تكن سوزان" إلا مطـــية لدخول زيدان في الشيوعية "[88].

تنقل لنا علاقـــة زيدان بسوزان الفرنسية بعض الأمور المتعلقة بالحياة العامة للمرأة الفرنسية على وجـــه الخصوص، والمرأة الأوربيـــة على وجه العموم، والّتـــي تتـــرجم الاختلافات الموجودة بين المجتمع الغربي والعربي في عدة مناحي كـــ "اختلاف اللغات اختلاف الطبيعة الاجتماعية، اختلاف أنماط المعيشة، الأنماط غير المعتادة لاتخاذ القرارات في الجماعات الاجتماعية المختلفة ،أنماط المسؤولية وأنماط السلطة ،الأنماط المختلفة للتعـــبير عن النفس، وطرق المشاعر والأحاسيس، والاخـــتلاف في التعريفات الأخلاقية للقيم"[89].

فسوزان لا تجد حرجا في المشي مع زيدان جنبا إلى جنبا في الشارع وعلى مرأى من الناس دون أي عقدة أو شعور بعدم الارتياح، كما أنها تصطحب صديقها،أو حبيـــبها إلى بـــيتها دون أي مركب نقص، وتـــفعل ذلك كـــله بحـــكم ما تتمـــتع به من حـــرية في مجتمعها.

([87])- ينظر الطاهر وطار : اللاز، مصدر سابق ، ص.163.
([88])- ينظر بشير بويجرة : الشخصية في الرواية العربية ،مرجع سابق، ص 187.
([89])- عبد العزيز شرف : المقاومة في الأدب الجزائري المعاصر،ط1، دار الجيل ، بيروت ،1991 ، ص20.

إنّ نظرة زيدان إلى موقف سوزان يحمل دلالة مقابلة في مجتمعه الّذي لا تستطيع نساءه الإتيان بمثل هذا الفعل لأن صورة الأجنبي –كما ذهب إليه حسب دانييل هنري باجو– "يمكن أن تعبر أيضا عن أشـــياء حول (الثقافة الناظرة) الّتي من الصعب أحيانا تصورها أو التّعبير عنها"[90].

بدا زيدان مسلوب الإرادة في علاقته بسوزان يفعل ما تمليه هي عليه،وهذا ما تؤكده المقبوسات التّالية:

–" قادتني من يدي إلى دار البلدية لنسجل عقد زواجنا"[91].

– "ستدخل الجامعة الشعبية"[92].

ولربما كان هذا الاستلاب استلابا طوعي غـــذاه شعور زيدان بفضل سوزان عليه بعدما أصبحت –كما قال محمد مصايف–" عينه في هذا العالم الأوربي الّذي يجهله تماما الجهل"[93]، فأثر أن يرد صنيعها معه بمجاراتها في كل ما تريد، وما يدعم هذا التـــأويل هو خلو صورتها من أي تفاصيل حسيّة تتعلق ببنيتها الجسدية كأنثى آسرة له بمـــفاتنها أو جمالها ما يجعله أســـير هواها ويستميت في إرضائها.

كما يمكن أن يكون لانتمـــائها الشيوعي يد في ظهورها الايجابي لأن الصورة "تتشكل وفقا للسياقات التاريخية المختلفة والأمزجة والمشارب الفكـــرية والثقـــــافية و السياسية المتـــضاربة...."[94]. حتى ولو كانت انعـــكاسا لصورة ماثلـــة في الواقع فإن

([90])- دانيل هنري باجو: الأدب المقارن العام، مرجع سابق ، ص 24.
([91])- الطاهر وطار : اللاز، مصدر سابق، ص165.
([92])- المصدر نفسه، ص165.
([93])- محمد مصايف : الرواية العربية الجزائرية الحديثة بين الواقعية والالتزام، (د، ط) ، الدار العربية للكتاب، الجزائر، 1983، ص 35.
([94])- الرشيد بوشعير : مساءلة النص الروائي في أعمال عبد الرحمان منيف ، دراسة في الرؤى والأشكال والعتبات والأنماط والصور،(د، ط) منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ،دمشق ,2004، ص272.

" الانعكاس لا يؤدي إلى تكرار الصـــورة فكل عالم أدبي يخلق عالما خاص به"[95]، وقد فصل الطاهر وطار بتصويره هذا بين الأجـــنبي المسالم، والأجنبي المحتل.

إنّ صورة سوزان على هذا النـّحو الّذي يفـــتقر إلى أي وصـــف متعسف لجسدها يلغي فرضية هجاء الغرب عن طريق تأنيـــثه، كما هو الحال مع شـــخصية الضابط الواردة في نفس الرواية، على الرغم من توفر مبرر يصـــلح لدعم هذا التّـــوجه ممـــثل في انتماء سوزان إلى دولة استـــعمارية كانت تحـــتل أرض الأنا(فرنسا)، كما أن علاقتـــهما نمت في أوج احتدام الصراع مابين البلدين (الثورة الجزائرية)، إلا أن الطاهر وطار اكتفى بذكر الملامح العامة للوجه فقط وترفّع عن باقي الجسد.

بل نلفـــاه يذهـــب أبـــعد من ذلـــك ، حـــينما ألصق بسوزان صفة الخـــجل بحيث كانت " تحمر وجنتاها"[96]، كلما شعرت أن زيدان ينظر إليها، وهي صفة قليل ما تلصق بالأجنبي الّذي يكاد أن يكون معادلا موضوعيا لقلة الحياء، والفجور، والانحلال الخلقي وصورة سوزان بهذا الشكل هي "... فرصة لاكتشاف الذات والإنصات لصوتها وهي تحيل الانفصال اتصالا والمجابهـــة حوارا"[97]، كما أضـــفى سكـــوت الطـــاهر وطـــار عن موقفها من حرب بلادها على الجزائر حيادية ساهمت في رسم هذه الشخصية رسما إيجابيا.

5-العاهرة:

أ-في رواية تجربة في العشق :

([95])- عبد العاطي شلبي : فنون الأدب الحديث (بين الأدب العربي والأدب الغربي) ، ط1، المكتب الجامعي الحديث، 2005 ، ص50.
([96])- الطاهر وطار: اللاز ، مصدر سابق، ص 163.
([97])- لؤي حمزة عباس : صورة الآخر في الخطاب القصصي العربي القصير، مجلة ثقافات 12/11 ، كلية الآداب، جامعة البحرين ،2004 ص104.

اسمها المهني ماري، وهي بائـــعة هوى تُخيل أن المســـتشار الـــشيوعي التـــقى بها في أحد "المواخير الغربية "[98]، بحيث استهل حديثه معها عن" .. لقب الإمارة الّذي لم يستطع أحد أن ينازعه فيه، وعن أصول القبائل العربية الكبرى، الّتي لن تموت حتّى آخر الدهر ذلك أن العربي كالعصفور المهاجر، وطنه مواسم زمنية وليســت مرابع ترابـــــية"[99].

يجنح الرجل الشرقي في مجابهة الأنثى الأجنبية –على حد قول جورج طرابيشي – في مجابهته للأنثى الأجنـــبية بحيث يلوذ –على حد قول جورج طرابيشي–"بماضيه الحضاري الّذي يفترض فيه، أنّه ينم هو الأخر عن رجولته ويبعث التراث الأدبي القومي"[100]، ليروي عطش الأجـــنبي للحياة البسيـــطة والطبيعية الّتي يتوق لعيشها بعيدا عن مجتمعه الصناعي المعقد.

فتـــح المستـــشار الشيوعي بحديثـــه هذا شـــهية ماري لسماع مثل هذه الأخـــــبار فـــ "استزادت، فاستزاد، لعبت الشمبانيا بالرأس وباللسان، فراح يقرأ لها قصائد من الصنف الثقيل قال إنّه هو شاعرها، و إنّه سينضم لها وحدها ديوانا، يكون عنوانه اسمها"[101]، واختار لها من العناوين عنوان"ماري السمكة السابحة في القلب"[102]. ليعكس صفة أخرى للعربي بالإضافة إلى حياة التـــرحال والتّـــجوال وهي قرض الشعر الذي يعتبر ديوان العـــرب الكبير.

([98])- الطاهر وطار : تجربة في العشق ، مصدر سابق ، ص551

([99])- المصدر نفسه ، ص551.

([100])- جورج طرابيشي : شرق وغرب ، رجولة وأنوثة ، مرجع سابق ، ص11.

([101])- الطاهر وطار : تجربة في العشق ، مصدر السابق ، ص552.

([102])- المصدر نفسه ، ص 552.

وبينما كانت ماري تساوم المستشار الشيوعي عن سعر العلاقة، أسرّت له عن رغبتها في الذهاب "إلى القاهرة، لتشاهد الفراعنة الّذين يقال إنهم ما زالوا أحياء وإنّهم يصدرون في الليل أصواتا، كثيرا ما تكون واضحة، يفهمها السحرة والأحبار، والشعراء والجنّ، ويستعينون بها على قضاء حوائجهم"[103]، وهو الأمر الّذي لم ينفه المستشار الشيوعي بل أنه جاراها في ذلك ودعاها لرؤية " أبار النفط ، في ليل الصحراء، إنها تبدو من بعيد غيلانا ذات رؤوس نارية تتصارع بينهما، في الظلمة على الفضاء"[104].

إنّ الصورة الّتي حملها الأجنبي عن الشرق وأهله كانت في جلها صور سرابية خاطئة، اقتاتت على مجموعة من حكايات وقصص ألف ليلة وليلة، لعالم غرائبي فريد من نوعه، يضم مخلوقات خارقة للعادة، صدّق بها العقل الأجنبي، وجزم بوجودها وجاء بعضهم إلى الشرق بحثا عنها، ليصاب بخيبة أمل كتمها أغلبهم، ليبقي الزعم بوجودها ساري المفعول، شأن ماري الّتي مازلت تعتقد بوجود فراعنة أحياء،على الرغم من مرور قرون على حضارتهم، منقادة بالصورة الذهنية الّتي" تحدد الرؤية وتوجه السلوك"[105] إلى جملة من الأوصاف والأحكام.

ربما يحمل حديث ماري عن السحر،والأحبار والجن بين طياته دلالة ضمنية تتصل ببعض الثيمات التي ألصقت بالعربي كـ" ميث الإيهام بالخرافات، والتّطير والثقة بالسحر، والتمائم والشعوذة "[106].

([103])-المصدر نفسه، ص552.

(4)- المصدر نفسه ، ص .553

-([105])- حسن حنفي: مقدمة في علم الاستغراب، (د، ط)، الدار الفنية، 1411-1991، ص710.

نفذ صبر المستشار الشيوعي وهو ينتظر موعد علاقته بماري فيما هي تثرثر في أمور أخرى، وانتقل من التلميح في حديثه العام عن العلاقات إلى التصريح بما يريده حتىّ تلمست ماري عجلته، وسألته إن كان يحبذ ذلك فرد أنّه "ثور في ذلكم"[107] لا تشبع نهمه"سمكة ، بل حوتة"[108].

تتلاءم صورة المستشار الشيوعي مع صورة الرجل المشرقي الباحث عن الجنس في البلاد الأجنبية وهو ما يتوافق و" التجنيس الحضاري القديم المستمر في الرواية العربية والّذي يفتح الباب عريضا على العقد والرموز النفسية"[109] الخاصة بالذكر الشرقي الّذي يلجأ إلى الغرب لانفلات منها، وليتخلّص من شحنات الكبت والتوتر،الّتي كانت تأسره في مجتمعه.

وتحت هذه الرّغبة الملّحة للانفلات من ربقة الطاقة الجنسية المكتنزة فإنّ الرجل الشرقي- كما ذهب إليه جورج طرابيشي – ينقض في مرحلة أولى" على كل امرأة تتاح له دونما تمييز وبلا اختيار وإنّما بعد أن يتحرر قليلا من ذلك الضغط الشبه حيواني، ويفرج عن بعض من مخزون طاقته، يبدأ بعملية فرز واختيار.. "[110].

ويرجع سبب بحثه عن المرأة كأول مطلب له في الحاضرة الأجنبية" كون أن الروائي الشرقي لم يعانق في مجتمعه سوى شبح المرأة لذا لم يستطع أن يرى في الغرب بأسره سوى إناثه"[111]،الجميلات الرشيقات اللواتي يحمل عنهن في ذهنه صورة مبتذلة ومائعة ,تكاد تقرنهن بفعل الجنس والبحث عن المتعة.

([106])- أحلام صغور: واقع الدارسات المقارنة في المغرب العربي ، مرجع سابق ، ص226.
([107])- الطاهر وطار : تجربة في العشق ، مصدر سابق ، ص553 .
([108])- المصدر نفسه ، ص 553..
([109])- جورج طرابيشي : شرق وغرب ، رجولة و أنوثة ، مرجع سابق ، ص14.
([110])- جورج طرابيشي : شرق وغرب ، رجولة و أنوثة ، مرجع سابق ، ص115 .

لذا ليس من الصواب الاعتماد على هذه الصـــورة النمطية لبناء تصـــور صحيح عن المرأة الأجنبية كونها لا تصلح أن تكون أساسا صحيحا–على حد قول جورج طرابيشي" لفهم المرأة الأوربية، بقدر ما تعكس أزمات الرجل الشرقي واحتياجاته الخاصة ،وبحثه لحظة وصوله إلى أوررربا عن المرأة قبل كلّ شيء، لتعويض ما عاشه من حرمان في مجتمعه الأول"[112].

تتلخص صفـــات ماري الجّســـدية في كونها شقراء، وقد قدمـــت هذه الشخـــصية عن طريق الحوار الخارجي.

والجدول التالي يلخص أهم الصّفات الجسدية، والمعنوية الّتي طبعت هذه الشخصيات:

الشخصية	المتن الّذي وردت فيه	الصّفات الجسدية	الصّفات المعنوية	طبيعتها	جنسيتها
الحبيبة نتاشا	جارتنا الملكة	مستقيمة القد رشيقة، بيضاء تميل إلى الحمرة وجه مستدير جميلة.	مخادعة ذكية	ثانوية	تنتمي إلى أحد بلدان الاتحاد السوفياتي سابقا .
الحبيبة	عرس بغل	لا يوجد	/	ثانوية	ألمانية
الحبيبة أولغا	تجربة في العشق	بيضاء،عينان واسعتان	/	ثانوية	روسية

(111)- ينظر جورج طرابيشي: هرطقات عن الديمقراطية والعلمانية و الحداثة والممانعة العربية ،ط1 ، دار ساقي، بيروت ،2006، ص156.
(112)- أحمد سيف الدين :صورة المرأة الأوربية في روايات د شكيب الجابري ، مجلة جامعة دمشق ، المجلد 18 ، العدد الأول، 2002،.ص14.

العجوز	جارتنا الملكة	عجوز شمطاء أسنانها مطلية بالذهب والفضة	كاذبة مدعية	ثانوية	تنتمي إلى أحد بلدان الاتحاد السوفياتي سابقا
الفتاة	جارتنا الملكة	/	لطيفة حساسة	ثانوية	تنتمي إلى أحد بلدان الاتحاد السوفياتي سابقا
الزوجة سوزن	اللاز	عينان زرقاوان،أنف مستقيم ، جبهة مشعرة ،زغب على ذقنها.	لطيفة	ثانوية	فرنسية
العاهرة ماري	تجــربة في العشق	شقراء	سافرة	ثانوية	/

ظفرت شخصية الحبيبة بسبق الظهور من بين الشخصيات الّتي ارتكز لقاؤها خارج الوطن، وكأن الرجل الشرقي(على العموم) يتخذ المرأة الأجنبية الّتي تقبع خارج حدود بلاده حبيبة قبل كلّ العلاقات الأخرى.

المبحث الثالث: خارج اللقاءين:

1-الحبيبة:

أ-في رواية العشق والموت في الزمن الحراشي :

هي حبيبة عيسى بوعين إحدى شخصيات هذه الرواية، هندية الأصل اسمها دنيا زادا ، تعرّف عليها عن طريق المراسلة " فأخلص لها، وأقسم أن لا يحب وأن لا يتزوج غيرها"[113].كان يراسلها كل أسبوع أما هي فكانت ترسل له رسالة كل شهر" تبثه فيها لوعة الشوق وتحدثه فيها كثيرا عن عادات الهند وتقاليدها وديانتها"[114].

صور الطاهر وطار هذه الشخصية بدون صفات جسدية إلا صفة واحدة، وهي حدة النظر الّتي نستطيع التقاطها بطريقة غير مباشرة من خلال حوار جميلة مع عيسى بوعين حين كانت تتأمل معه صورة معلقة على الجدار،عرفت بعد ذلك أنها لدنيا زادا خطيبته وأنّها تشبهها" إلى حد بعيد، خاصة في حدة النظرة"[115].

كانت دنيا زادا تحب عيسى بوعين وتخشى عليه من الأذى لذا رجته في رسالة بعثت بها إليه أن لا ينفذ قراره بالسفر إلى الهند" فالأمر ليس بالسهولة التي يتصورها إن أحسن مكان للقاء تقول له، هو أوربا"[116]،ما يعكس حالة الوأد والكبت الّتي تتعرض لها مثل هذه العلاقات في المجتمع الهندي في مقابل الحرية الّتي تتمتع بها في المجتمع الأوربي الّذي يعتبر مجتمعا أمثلا تعشش فيه.

([113])- الطاهر وطار : العشق والموت في الزمن الحراشي ، مصدر سابق ، ص 59.
([114])- المصدر نفسه ، ص 60.
([115])- المصدر نفسه ،ص 62.
([116])- الطاهر وطار : العشق والموت في الزمن الحراشي ، مصدر سابق ، ص 60.

ولربما انتسابها إلى الطوائف المسلمة في المجتمع الهندي هو سبب هذا التخوف وهي ترى أنه إن لم يتم اجتماعهما" في هذه الحياة الفانية، فسيكون لا محالة في الدار الخالدة"[117].ولكن إيـــمانها لم يمنـــعها من التساؤل عن سبب كون المرء مســـلم في دولة تكثر فيها الديـــانات فـــ"من يعبد القرد، إنما يعـــكس تمجيد لإبائه وأســـلافه على ضوء نظرية داروين، من يعبد الجاموس إنما يعبد اللبن ومصدر الغذاء..... وكذا من يعبد النّار والثعابين والإوز والغربان"[118].

فكل هذه الديانات قائمة على أساس مادي يخاطب تفكير العقل البشري البسيط الّذي لا يؤمن إلا بالملموس، ويحافظ في الوقت نفسه على وتيرة تفكيره البدائية،على خلاف الإسلام الّذي يخـــاطب الروح والعـــقل ويسمو بهما إلى أعلى مراتب التفكير.

كان تأثير دنيا زادا كبير في عيسى بوعين لدرجة أنه أصبح مهووسا بكل ما يتعلق بالهند فقد جمع في"غرفته، ما يزيد عن ألف صورة لفنانين وفنانات وزعماء ومهرجانات ورجال أديان قصها من مختلف المجلات والجرائد الّتي لا تبخل السفارة الهندية في تزويده بها، كما يملك صناديق من أسطوانات لأغاني هندية "[119] .يتمحور موضوعها حول

"الحب النوراني، كما تغـــني الآلام البشرية وتروي حركات الحقرة والظلم "[120].

استطاعت هذه الفتاة الهنـــدية الظفر بحب عيسى بوعين وجـــعله وفيا لها على رغم

([117])- المصدر نفسه ، ص 60.
([118])-المصدر نفسه، ص61.
([119])- المصدر نفسه ، ص61.
([120])- الطاهر وطار : العشق والموت في الزمن الحراشي، مصدر سابق، ص 61 .

من المسافة التي كانت تباعد بينهما. وقد قدمت هذه الشخصية عن طريق السرد على لسان إحدى شخصيات هذه الرواية، بالاعتماد على تقنية الفلاش باك.

2-السيدة:

أ -في رواية الولي الصالح يرفع يديه بالدعاء:

يقصد بها الطاهر وطار على الأرجح كونداليزا رايس الناطقة السابقة باسم الولايات المتحدة الأمريكية.

إن أول ما يقابلنا من هذه الشخصية هي صفاتها الجسدية بحيث تطل علينا في هذه الرواية "دون زينة، وفي لباس رياضي بني داكن، فتبدو في سن غير تلك التي كانت تبدو بها، كما أن فمها، تخلص من مراقبتها له، فبدا عريضا جدا، يظهر كامل أسنانها الناصعة البياض، كلما فتحته، ويجعل ذقنها، تظهر وتختفي، كلما تحركت وأنفها الغريب يعجز عن الاستقرار في وجهها،وبينما ازدادت عيناها ضيقا وصغرا وحدّة فتكشفان عما يكمن في رأسها من عدوانية واحتقار"[121].

حافظ الطاهر وطار على الصفات الجسدية الحقيقية لهذه الشخصية الّتي لها مقابل في الواقع، مستغلا إياها في إبراز الوجه القبيح لدولة الّتي تمثلها، وتتكلم باسمها (الولايات المتحدة الأمريكية)، والّتي تحتل بعض الأراضي العربية والمسلمة بحجج باتت مكشوفة للمثقف العربي، وحتى للإنسان العادي، فإن هذه الصورة- إذن- ليست سوى محض رمز يقبع وراءها موقف نقدي عام للاستعمار، ينكشف بيسر متناهي كون الطاهر

(121)- الطاهر وطار : الولي الصالح يرفع يديه بالدعاء،مصدر سابق ، ص 84.

وطار وظفها في سياق احتلال هيأت له وسائل الاعلام المرئية والمطبوعة الغـربية الظـروف الملائمة لأن يكـون، وكانـت إحدى أهم أطرافه، لتعود بعد فـترة من تحققه وتعترف أنها كانت مخطئة فيما اعتمدت عليه.

درأت هذه الشخصية اتهام بعض الدول الأوربية للنزعة الاستعمارية المكشوفة للولايات المتحدة الأمريكية ،الّتي أصبحت تفضحها بتصرفاتها الرعناء النوايا المكبوتة لدى البعض منها، فردت أن الأوربيين ينسون ".. أن أمريكا خرجت من ضلع أووربا كما خرجت حواء من ضلع آدم"[122]،وهي بالتّالي أنموذج تجريدي لأوروبا في تاريخها الاستعماري الماضي.

ولما وُوجِهت هذه الشخصية بحقيقة عدم انتمائها إلى" أصول أوربية"[123]بسبب بشرتها السوداء على الأرجح، أجابـت:"... بجـفاء وباحتقار، بأنها إحدى الشـهادات الحـية على السلوكات الخاطئة للأجداد، إننا لم ننزل من السـماء، أو نأتي من الهملايا، ولا نستعمل لسان التوتـسي أو بالوبا"[124] ولربما يحمل هذا الرد نظرة بعض الأوربيين ذوي البشرة البيضاء إلى الأوروبـي صاحب البشرة السوداء(نظرة دونية).

لم يقتصر الطاهر وطار في وصف هذه الشخـصية على الملامح الجسدية فحسب بل أنـه أحال بعض السمات الجسدية للكشـف عن بعض المكنونات النفـسية ككرهها

([122])- الطاهر وطار : الولي الصالح يرفع يديه بالدعاء ،مصدر سابق، ص84.
([123])- المصدر نفسه، ص84.
([124])- المصدر نفسه ، ص84،85.

للعرب والاستخفاف بهم" كلما ذكرتهم، أو تعرضت لشؤونهم "[125].وقد قدمت هذه الشخصية

عن طريق الســـرد التّقريري الّذي تخلله حـــوار مقتضب.

ب-في قصة محضر جلسة جامعة الدول الزعبطيطية الأخيرة:

وردت الإشارة إلى هذه الشـــخصية في سياق الحديث عن فوز أوباما رئـــيسا للولايات المتـــحدة الأمريكية،وما سيترتب عن هذا الفوز من قرارت إزاء العـــالم العربي، وكيف استقبل الحكام العرب هذه" الزنـــجية وزيرة الخارجية، بالزهور والعطور وعقدان الذهـــب واللؤلؤ والماس، وبآيات الإعجاب بما وهبها الله من جـــمال وبالتمسح تيمما"[126].

تطفح هذه الصورة بسخرية لاذعة لهذه الشخصية، وللحكام العرب الّذين يأملون في كسب رضا هذه الشـــخصية عن طريق منحها هدايا وعطايا، طمعا في نيل رضا الولايات المتحدة الأمريكية. عرضت هذه الشخصية عن طريق السرد.

والجدول التّالي يلخص أهمّ الصّفات الجسدية والمعنوية لهاتين الشخصيتين:

الشخصية	المتن الّذي وردت فيه	الصّفات الجسمية	الصفات المعنوية	طبيعتها	جنسيتها
الحبيبة دنيا زادا	العشق والموت في الزمن الحراشي	حادة النظر	لطيفة	ثانوية	هندية

([125]) – الطاهر وطار : الولي الصالح يرفع يديه بالدعاء ،مصدر سابق ،ص44.
([126])- الطاهر وطار :محضر جلسة جامعة الدولة الزعبطيطية الأخيرة ، مصدر سابق ، ص 28.

السيدة	– الولي الصالح يرفع يديه بالدعاء – قصة محضر جلسة جامعة الدول الزعبطيطية الأخيرة.	فمها عريض أسنان ناصعة البياض،عينان ضيقتان. زنجية	عدوانية مستخفة. تكره العرب	ثانوية	أمريكية

اختلفت جنسية الشخصيتين اللتين وردتا تحت عنصر خارج اللقاءين، فالأولى هندية طيبة، ومحبةّ.والثانية لها مقابل في الواقع أمريكية الجنسية، سيئة الطباع وتكره العرب كثيرا.

اتسمت الأنثى الأجنبية الواردة في الخطاب السردي عند الطاهر وطار بكونها عاملة في أغلبها إماّ في الإدارة، أو المكتب، أو نادلة،أو بائعة هوى، أو رئيسة حكومة أو لها أملاك خاصة تعتاش منها.

العجوز الأجنبية الفرنسية شخصية أنانية، مستعدة للدوس على أقرب الناس إليها لتصل إلى مرادها .وبالاستناد على الإيحاءات الرمزية الّتي أحاط بها الطاهر وطار هذه الشخصية بنعتها بالعجوز العقيم أكثر من مرة، فإنها تتيح لنا فرصة تأويل كينونتها إلى فرنسا الاستغلالية العقيم الآخذة في التلاشي والاندثار.كما ينسحب الوسم السلبي أيضا على العجوز الروسية الّتي تتسم بالبشاعة، والكذب، والادعاء.

الزوجة الأجنبية محبّة لزوجها تساعده بمالها وترتقي بحياته إلى مستوى أفضل وكذلك هو الأمر بالنسبة لمستواه الثقافي، ولكن عمر هذا الزواج لا يدوم طويلا حتّى ولو أثمر أولادا، إما بانسحاب هذه الزوجة عنـــدما تعلم أن زوجها أصبح مولعا بامرأة أخـــرى من بلده،أو عندما تختلف معه ويسيء معاملتها، كما قد تفرق بيـــنهما ظـــروف خارجة عن إرادتهما.مما يجعلنا نتفق مع الطيب روانية في اعتبار أن" مغامرة الزواج المختلط في الواقع الاستعماري محكوم عليها بالفشل .."[127].

الحبيبة الأجنبية متفهمة لحبيبها مراعية لمشاعره متقبلة لتصرفاته تترك في نفس حبيبها أثرا طيبا ما يجعله يتذكرها مهما باعدت بينهما المسافات والسنين، كما قد تكون الحبيبة الأجنبية امرأة لعوب هدفها إثارة الإعجاب من أجل نية مبيتة في نفسها.

لا ترى بائعة الهوى الأجنبية من الرجل الشرقي على وجه العموم، غير حافظة نقوده وماضيه التليد الّذي تفنن المخيال الغربي في صنعه، ومن خلال هذه الشخصية نستطيع التقاط مقولة مادية الغرب وروحانية الشرق الّتي حملت لواءها بعض روايات التّجنيس الحضاري بنسب متفاوتة.

لقد أدرك الروائي العربي تبعات سياسة الاحتلال الّتي ألقت بثقلها على حاضره وجعلته متخلفا، كما ساهم إدراكه للبون الشاسع بينه وبين العالم الغربي المتقدم الّذي يستـــحيل من وجهة نظر عاقلة إخـــضاعه لاحتلال مادي لعدم تكافؤ القوى، إلى البحث عن بديـــل آخر لتنـــفيذ رغبـــته في الانتقام منه، فلم يجـــد غير الخطاب الروائي ســـبيلا

([127])- الطاهر روابنية : اتجاهات الرواية العربية في بلدان المغرب العربي ، مرجع سابق، ص244.

لتحقيق ذلك،مثلما فـــعل الطيـــب صـــالح في روايـــته(موســـم الهجرة إلى الشمال) مع بطله مصطفى سعيد صاحب المقـــولة المشهورة عن الغرب :" إنني جئتكم غازيا"[128] وغيرها.

بدت نظرة الطـــاهر وطار إلى المرأة الأجنـــبية من خلال النماذج المتـــناولة سابقا أكثر حيادية إلى حد بعيد، وما يثبت هذه النتيجة علاقة زيدان بسوزان الفرنسية في فترة تعد حساسّة في العلاقة بين البلدين، وكذا علاقة بولرواح بسارة اليهودية الّتي حملها الطاهر وطار تنكر أهلها للشعب الجزائري وقضيته بسبب ميلهم ومؤازرتهم للاحتلال الفرنـــسي، ولم يكل لها اتـــهاما صريحا لا ليهوديتها ، أو كونها أنثى أجنبية.

وقد ساعده في بناء صورته المعـــتدلة – كما ذهب إليه واسيني الأعرج – "رؤيـــته الواضحة ومنـــهجه الإبداعي في أن يتخلص من المفاهيم الوهمية أو الخاطئة المتـــعلقة بالحـــياة والمجتمع ، فهو عندما يصور الواقـــع الّذي هو في تـــطور وصيرورة بنزعاته المتصلة بمصير ومصالح الملايين من البشر، إنّما يعتمد على مكتسبات الفكر الاجتماعي المتقدم الّذي يسهم في تغيير العالم ويساعد البـــشر على تغيير العلاقات الاجتماعية"[129].

وكهجاء للغرب العسكري الاستعماري في(العراق ، الباكستان، فلسطين) يصور الطاهر وطار نساءه مترامیات كالجواميس وهن يمارسن العهر وكأنهم بأوربا، وقد جاء العمل الّذي ضم هذه الصورة على حد قوله"بسبب ضغط الظروف العالمية، والوضعية في

([128])- الطيب صالح : موسم الهجرة إلى الشمال، ط13، دار العودة ،بيروت ،1981، ص63.
([129])- واسيني الأعرج : تجربة الكتابة الواقعية ، الرواية نموذجا ، دراسة نقدية ،(د، ط) ،المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر،1989 ،ص70.

العراق والعالم العربي والإســـلامي .."[130]، الّذي أثار سخطه واستيـــاءه، كأنه لم يكفه ما انجر عنه من أوضاع اقتصادية واجتـــماعية مزرية، تراه يجلب معه احتلال من نوع آخر يهدف من ورائه إلى زعزعة القيم والمبادئ للشعب المستعمَر.

تضعنا صورة كونداليزا رايس على نفس الوتيرة من التحامل المقصود الّـــذي يقتات من منطلقات حقيقية.ولكن ما يمكن أن يؤاخذ عليه الطاهر وطار ربما في إيراده لصورة هذه الشخصية هو نعـــتها بالزنجية، والّذي ربما سوف يفـــسر في غير مصلحته (تمييز عنصري) لكن ما يخفف ربما من وطيس هذه العثرة – إن صح التعبير– هو حســـّاسية الموضوع الّذي وردت في ســـياقه، وأقصد بذلك احتلال الولايات المتحـــدة الأمريكـــية للعراق تحـــت ذرائـــع مكشوفة متوسلة بوســـائل الإعلام الّتي استنفرت مشاعر الملايين من العرب.

تباينت صورة المرأة الأجنبية الواردة في الخطاب الـــسردي عند الطاهر وطار بين الإيجاب تارة، والســـلب تارة أخرى كون أن العلاقة الّتي تربـــط أو تفصـــل بين الذكر الشـــــرقي والأنثـــــى الغربية –على حـــد قول جـــورج طرابيشي– " ليست منسوجة على منوال واحد من التوتر فهذه العـــلاقة تبلغ أقصى درجـــات توتـــرها في روايات الأنتروبولوجيا الحضارية الّتي تدور أحداثها في متروبولات المستعمرات الـــــسابقة"[131] كشـــخصية كونـــديلا رايس في خطـــابنا هذا، فيما تخطت شخصية سوزان إطـــار هذه العلاقة على الرغم من انتمائها إلى دولة استعمارية.

([130])- الطاهر وطار : الولي الصالح يرفع يديه بالدعاء ، مصدر سابق ، ص8.
([131])- جورج طرابيشي : هرطقات عن الديمقراطية والعلمانية والحداثة والممانعة العربية ،مرجع سابق، ص159.

كما قد يكون ســـبب تباين صـــور هذه الشخصيات راجع إلى الطاهر وطار في حد ذاته، فـــ " الأديب عندما يقوم بعملية الكـــتابة يجد نفسه بين مجـــموعة عوامل تتحكم في عملية الإبداع تجربته الحياتية بأبعادها النفسية والإيديولوجية والاجتماعية ومجمل الصراعات الفكرية القائمة بمجتمعه"[132]،وكل ذلك ينعكس في خطابه الروائي الّذي يصفه محمد أمين العالم بأنه"إنتاج إنساني بكل ما يعنيه الإنتاج من معـــــنى ولهذا فهو جزء من الإنتاج الاجتماعي العام ومن إشكـــاليات هذا الإنتاج العام، وليس إنتاج من لا شيء من عدم وإن يكن له خصوصـــيته الذاتية، وهو جزء من الواقع الاجتـــماعي وإن يكن رفضـــا لهذا الواقع أو تكريسا له على نحو أو آخر وبمستوى أو آخر"[133].

لم يقتصر الطاهر وطار في رسم هذه الشخصيات(ليس كلها) على الصّفات المعنوية فقط بل زاوج بينـــها وبين الصفات الجسدية ليجعل الأجنبي "يترجم ذاته من خلال اللـــغة والجسد"[134]،وليجـــعل القارئ ربما يقـــيم موازنة بين ظاهر هذه الشخصية وباطنها ليحكم عليها بعد ذلك.

ابتعد الطاهر وطار عن الوصف الإباحي في كل شخصياته الأنثوية، على نقيض ما ظهر في بعض الروايات الجزائرية (المرأة عند محمد عرعار) والّتي ركزت على إبداء صّفات وسلوكات الآخر المـــنافية لصـــفات وسلوكات الأنا"وهو ما دأبت عليه الشـــعوب

(132)- سعيد علوش : الرواية والأيديولوجية في المغرب العربي ، مرجع سابق، ص 56 .
(133)- محمود أمين العالم ، يمنى العيد ، نبيل سليمان : الرواية العربية بين الواقع والإيديولوجية ، مرجع سابق ، ص15.
(134)- محمد نور الدين أفاية :الغرب في المتخيل العربي، ط1 ، منشورات دائرة الثقافة والإعلام ،الشارقة، 1996 ،ص11.

المتصارعة في التـــعبير فنيا عن الأخـــر المتصدي لها فكـــريا وإيديولوجيا ووجوديا"[135]

وكأنها بهذا التصوير تـــطعن في مصدقتيه بنفيه، ليتحـــقق لها الإحـــساس بإثبات الذات ولأنّ هـــذا الأساس كان الأساس الغالب الّذي انطلقت منه معـــظم الأعمال الأدبيـــة العربية التّي عالجت موضوع الشـــرق والغرب ، فإنّ صورة هذا الأخـــير أي الغرب بدت فيها مشوهة غير صحيحة، بحيث حوفظ على العديد " من الملاح والصـــفات الّتي تعـــد متماثلة ومـــتكررة بانتظام "[136]، كالجـــنوح إلى الجنس، والانحلال الخلقي ، والولع بالشـــرق الغرائبي ما يجعل هذه الصورة" لا تتلاءم إلا قليلا مع الواقع الّذي يعيشه أفراد في مكان آخر بعيد "[137]. وكمثال على ذلك صورة المرأة اليهودية الّتي وردت في الخطاب الفلسطيني والّتي، اقتـــصر في تصويرها"...على الغواية "[138]. دون غيرها من الصّـــفات الأخرى، بحيث أنّ هذه الصّفة اليتيمة لا تقدم رؤية شاملة وحقيقية لهذه الشخصية.

إنّ التطرق لموضـــوع الغرب في الرواية العربـــية على–حد قول أبو الهيف – هو محاولة " إضاءة لوعي الذات الفردية والقوميـــة ووعيي العالم"[139]، ولموضعة الأنا العربي والآخر الأجنبي ربما في الموضع الصـــحيح الّذي يتماشى والظـــروف المرحلـــية الّتي أحاطت بالعـــمل الأدبـــي.

([135])- عبد القادر شرشار : خصائص الخطاب الأدبي في رواية الصراع العربي الصهيوني، دراسة تحليلية ، ط1 ،مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، تشرين الأول –أكتوبر، 2005 ، ص108.

([136])- أحمد سيف الدين: صورة المرأة الأوربية في روايات شكيب الجابري ، مرجع سابق ص1.

([137]) -Mohamed Daoud: le roman algérien de langue arabe lectures critiques، centre de recherche en anthropologie sociale et culturelle, édition CRASC,2002 , p 58.

([138])-حسين أبو النجا : اليهودي في الرواية الفلسطينية ،ط1، منشورات رابطة إبداع الوطنية ، 2002 ، ص208.

([139])- أبو الهيف عبد الله: القصة الحديثة والغرب ، ط1، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق، 1999، ص20.

لقد استعان الطاهر وطار في رسم شخصياته الأنثوية بعـــدة مرجعيات منها ما كان نـــتاج تجربة واحتكاك، ومنها ما كان وليد مشاهدة وسماع، بحيث عكست الشخصيات الناتـــجة عن اللقاء داخل الوطن حضور الأجـــنبي المستعمِر والمســـتوطن : (فرنسي إسباني ، يهودي).أما الشخصيات الناتجة عن اللقاء خارج الوطن فقد عكست الفـــئات التّي يحـــتك بها الجزائري المسافر، أو المستقر في الحاضرة الأجنـــبية، فيـــما أعربت الشخصيات التّي ضمها عنصر خارج اللقاءين عن الشخصيات المتخيلة،أو الحقيقية والتي لا تحتاج لإطار مكاني يثبـــت وجودها.

وفي الفصل المولي سوف تتضح الصورة أكثر، من خلال تتبع المعجم الّذي خـــصّ به الطاهر وطار هذا الأجنبي، بالإضافة إلى الفضاء المكاني والزماني الّذي أطر حضوره وكذا تعابيره الثقافية.

الفصـــــــــــــــل الرابـــــــع

الأجنبي من خلال المعجم والفضاء المكاني والزماني والتّعابير الثقافية

المبحث الأول : المعجم

المبحث الثاني: الفضاء المكاني

المبحث الثالث : الفضاء الزماني

المبحث الرابع : التعابير الثقافية

الفصـــل الرابع: الأجنبي من خلال المعجم والفضاء المـــكاني والزمـــاني و التّعابير الثقافية.

المبحث الأول: المعجم*:

1-الأجنبي والمعجم:

نستطيع أن نتتبع الحضور الأجنبي في الخطاب السردي عند الطاهر وطار بإتباع الكلمات الّتي خصها به الأديب هذا الأجنبي ، بحيث تشكل "هذه الشبكات المعجمية وهذه الحقول الدلالية مخزونا مفهوميا وشعوريا مشتركا إلى حد ما، من حيث المبدأ، بين الكاتب وجمهوره القارئ"[1]، وتلخّص موقفه(موقف الأنا) من هذا الآخر(الأجنبي).

تنحصر الكلمات الدالة على الأجنبي –حسب دانيل هنري باجو– في" كلمات أساسية وكلمات مبتكرة"[2]،تتصل الأولى بكلمات تحظى بإجماع شبه تام من طرف الثقافة الناظرة في وصـــف الآخر الأجـــنبي، فيما تتصـــل الثانيـــة بكلمات يكون لأديـــب ما الســـبق في انتقائها، وتوظيفها لأول مرة.بالإضافة إلى الكلمات الواردة بلغة الأنا هناك"الكلمات المأخوذة من البلد المنظور،كلمات اللغة المنبع والّتي وضعت دون ترجمة، في نصوص البلد الناظر، وفي لغة المصب، وأيضا في خياله"[3]،وتعتبر هذه الأخيرة أصدق من الأولى لأنّها" تنقل واقعا أجنبيا مطلقا وتدل عليه"[4]، كما أنّها تعكس بوجه صريح التأثر بالأجنبي الّذي تَجسد فعليا في حضور ألفاظه، ومصطلحاته في الخطاب الأدبي.

(*)- استقينا هذا المصطلح من دراسة دانيل هنري باجو ،ينظر، الأدب العام المقارن،مرجع سابق، ص97.
([1])- دانيل هنري باجو :الأدب العام المقارن ، مرجع سابق، ص 97.
([2])- المرجع نفسه ، ص 97.
([3])- المرجع نفسه، ص97.
([4])- المرجع نفسه،ص97.

تساهم– إذن– دلالة الكلمات الموظفة في أي خطاب ما، في تقصّي دقيق لصورة المنظور إليه، وحتى لطبيعة الناظر،عن طريق جملة من الصّفات والنعوت والأفعال، باعتبار أن" كل دلالة هي ظاهرة اجتماعية وأن كل ظاهرة في المجتمع هي بذاتها دلالة"[1]، ويتم ذلك عن طريق اللّغة الّتي لها اتصال وطيد على–حد قول جان بيرو–بـ ".. كل أبعاد الحضارة"[2] بجميع مناحيها السياسية، والثقافية، والاجتماعية.

2–الكلمات الدالة على الأجنبي بلغة الأنا :

أ– الصّفات :

الكلمة	المتن الّذي وردت فيه	الصفحة
الأوغاد(الفرنسيون)	نوة	102
العدو	نوة	106
مسدس أمريكي	نوة	107
مسدس ألماني	نوة	107
الغاصبون(الفرنسيون)	نوة	119
العجوز العقيم(فرنسا)	محو العار	135
التبغ الأمريكي	الطاحونة	10
حذاء أمريكي	الأبطال	20
الأعقاب الحديدية	من يوميات فدائي	43
نظرتهم الشزرة (الفرنسيون)	رسالة	109
الجحيم(الزوجة الفرنسية)	رمانة	58
مستغلين(الفرنسيون)	رمانة	45
مصدر كل الآلام (الفرنسيون)	رمانة	75
دكناء(لون عربات العدو)	اللاز	09

([1])- عبد السلام المسدي : اللسانيات وأسسها المعرفية، (د، ط)، الدار التونسية للنشر والتوزيع، أوت 1986، ص55.
([2])- جان بيرو : اللسانيات ، ت الحواس مسعودي ، مفتاح بن عروس، (د، ط) ، دار الأفاق،2001، ص131.

بسمة ساخرة	اللاز	29
الأسياد (الفرنسيون)	اللاز	36
قوة(الفرنسيون)	اللاز	36
نظافة(الفرنسيون)	اللاز	36
جمال(الفرنسيون)	اللاز	36
الكفار	اللاز	37
الخنزير	اللاز	62
عاهرة وقحة	اللاز	62
بسمة انتقام	اللاز	67
كلب،جرذ(الضابط الشاذ يصف اللاز)	اللاز	68
ضابط أرعن	اللاز	69
فلاق	اللاز	80
تأملها الضابط في حقد	اللاز	109
الطائرات المقنبلة، المدافع الرامية الرشاشات اللاهثة.	اللاز	119
الكتائب المتطلعة للاستيلاء	اللاز	119
الرشاشة الإيطالية والأمريكية	اللاز	157
الجثة(وصف الضابط بالجثة)	اللاز	211
براعته(الغرب)	الزلزال	139
الكفار	العشق والموت في الزمن الحراشي	101
ولد الزانية	الشمعة والدهاليز	43
الرومي	الشمعة والدهاليز	45
الحصار والتمشيط	الشمعة والدهاليز	75
مرض السيدا	تجربة في العشق	450

صواريخ ذات رؤوس نووية	تجربة في العشق	450
مبنية على الدم والذهب	تجربة في العشق	450
قوة امبريالية	تجربة في العشق	450
الغربية الوقحة	تجربة في العشق	559
غدارة من صنع تشيكي	جارتنا الملكة	9
المشروب الأمريكي	جارتنا الملكة	13
أولاد الحالوف(الفرنسيون)	جارتنا الملكة	14
أولاد الكلب(الفرنسيون)	جارتنا الملكة	17
العلوج	الولي الصالح يرفع يديه بالدعاء	17
الجواميس الضالة	الولي الصالح يرفع يديه بالدعاء	17
الطائرات الأمريكية	الولي الصالح يرفع يديه بالدعاء	18
المسحيين	الولي الصالح يرفع يديه بالدعاء	21
الوباء	الولي الصالح يرفع يديه بالدعاء	27
الوحش الأمريكي المسعور	الولي الصالح يرفع يديه بالدعاء	48
بوش هتلر وقح	الولي الصالح يرفع يديه بالدعاء	80
رومية	قصيد في التذلل	/
الكفر	قصيد في التذلل	/

تمحورت الصفات والأسماء الّتي خّص بها الطاهر وطار الأجـنبي في خـطابه السردي في الحقول الدلالية التّالية:

الكلمات الدالة على شتم المستعمِر والغرب :

الأوغاد، العجوز العقيم، إلى الجحيم عاهرة وقحة، الجثة، الغربية الوقحة، أولاد الحالوف أولاد الكلب، الجواميس الضالة، الوباء، الوحش المسعور، بوش هتلر وقح، ضابط أرعن،علوج ، الخنزير.

الكلمات الدالة على شراسة المستعمِر:

العدو، الغاصبون، الأعقاب الحديدية، ، بسمة ساخرة، بسمة انتقام، حقد، قوة إمبريالية الاستيلاء ،الحصار ، التمشسط .

الكلمات الدالة على ما جلبه الغرب :

مصدر كل الآلام ، مرض السيدا.

الكلمات الدالة على السلاح والمواد المصنعة الغربية :

مسدس أمريكي، مسدس ألماني، التبغ الأميركي، الطائرات المقنبلة، المدافع الرامية الرشاشة اللاهثة، صواريخ ذات رؤوس نووية ، الرشاشات الأمريكية والإيطالية، غدارة من صنع تشيكي.

الكلمات الدالة على قوة وتميّز الغرب :

الأسياد، قوة، نظافة، جمال، براعته.

الكلمات الدالة على الاختلاف العقائدي والعرقي :

الكفار، المسيحي، ولد الزانية، الرومية.

الكلمات الدالة على نظرة المستعمَر للمستعمِر:

كلب، جرذ، الخنزير، فلاق.

ب- الأفعال:

الكلمة	المتن الّذي وردت فيه	الصفحة
(سيفزعون) (الفرنسيون)	نوة	104
وتقلع(فرنسا)	نوة	106
عجز العساكر	نوة	118
ينتقم(الفرنسيون)	نوة	118
الجنود يئنون(الفرنسيون)	الطعنات	30
بصق ضابط على لحية جزائري	الدروب	64
يذلون(من طرف الفرنسيين)	رمانة	75
جنديان يجران اللاز	اللاز	13
يستحثونه(اللاز)	اللاز	13
تلوث الشفاه (الضابط الشاذ)	اللاز	29
يقود	اللاز	29
يركل	اللاز	29
الفرنسيون نخافهم	اللاز	36
الفرنسيون نحترمهم	اللاز	36
الفرنسيون نتفانى في خدمتهم	اللاز	36
العسكر يطوقون	اللاز	59
خفض (الضابط بصره)	اللاز	62
تهالك(الضابط الشاذ)	اللاز	63

انفجر (الضابط الشاذ)	اللاز	64
وثب الملازم مسرعا	اللاز	67
أمرته	اللاز	67
أجبرته	اللاز	67
عبس، وزمجر	اللاز	68
ضاربا عقبي حذائه بعنف	اللاز	69
تتسلل	اللاز	138
غادر(كلام وجه الضابط لبعطوش)	اللاز	187
قاده الضابط	اللاز	209
خربها(الغرب)	الزلزال	139
تفنّن(الغرب)	الزلزال	139
خاطها(الغرب)	الزلزال	139
يبهر	الزلزال	139
أخذ عنوة(من طرف المستعمر)	الشمعة والدهاليز	34
يفترس	الشمعة والدهاليز	40
نقل المعلومات في أقل من رمشه عين	قصيد في التذلل	531
قتلهم الأمريكان	قصيد في التذلل	558

أما الأفعال الّتي خص بها الطاهر وطار الأجــنبي في خطابه السردي فيمكن موضعتها في الحقول الدلالية التّالية :

الكلمات الدالة على سلطة المستعمِر وبطشه :

ينتقم ، بصق ضابط على لحية جزائري، يذلون، ضابطان يجران اللاز، يستحثونه تلوث الشفاه، يقود، يركل، العسكر يطوقون، وثب، أمرته، أجبرته،عبس زمجر، ضاربا عقبي حذائه بعنف، هيا غادر، قاده الضابط، خربها الغرب، قتلهم الأمريكان.

الكلمات الدالة على جبن المستعمِر والرغبة في إفنائه:

عجز العساكر ، سيفزعون ، يئنون ،خفض الضابط ،تهالك الضابط، تقلع فرنسا .

الكلمات الدالة على الانبهار بقوة المستعمِر والغرب والخضوع له :

الفرنسيون نخافهم، الفرنسيون نحترمهم، الفرنسيون نتفانى في خدمتهم، تفنن الغرب يبهر، نقل المعلومات في أقل من رمشه عين.

3- الكلمات الدالة على الأجنبي بلغة الأجنبي :

أ –في الخطاب القصصي:

الكلمة	المتن الذي وردت فيه	الصفحة
البوليس	زنوبة	48
الكوليزي	زنوبة	54
الحلوزي	ممر الأيام	86
الأرتي	ممر الأيام	86
كوميسار	ممر الأيام	89
الشامبيط	ممر الأيام	94
البازوكا	نوة	104
الجندرمة	نوة	115
عالم لازوردي	نوة	109
فرنك	محو العار	127
جريدة لاديباش	محو العار	136
سارجان	محو العار	138
الكومندان	محو العار	150
الكولونيل	محو العار	165

السوليطنان	محو العار	167
الكابران	محو العار	171
اليوتنان	محو العار	181
البوليسي	محو العار	183
الروزي	محو العار	84
رزتي	الأبطال	20
موسطاش	الأبطال	27
المولوطوف	الطعنات	30
الكازمة	الطعنات	30
بندقيتي موزير	الطعنات	31
اللازردي	من يوميات فدائي	36
تذاكر الترولبيس	السباق	69
كونتوار	البخار	79
شاترومان	البخار	80
ماسكارا	البخار	80
كريستال	البخار	80
ريكار	البخار	80
بيرة	الزنجية والضابط	42
اللانقي	الحوت لا يأكل الحوت	63
الباشي	الحوت لا يأكل الحوت	72
جاكيته	اشتراكي حتى الموت	94
طمسون	اشتراكي حتى الموت	99
ويسكي	اشتراكي حتى الموت	92
فرنك	زوجة الشاعر	111
فيلة	زوجة الشاعر	115
الإنيزات	زوجة الشاعر	111

الويسكي	زوجة الشاعر	111
الباستيس	زوجة الشاعر	111
الريكار	زوجة الشاعر	111
المارتيني	زوجة الشاعر	111
الفودكا	زوجة الشاعر	111
الكوكا	زوجة الشاعر	111
الكومينيست	زوجة الشاعر	111
جاكيتة	زوجة الشاعر	111
لازوردديا	انف حنان	24
موسيو	انف حنان	28
أفلام هيتشكوك	يوم مشيت في جنازتي	31
الين	يوم مشيت في جنازتي	33
فودكا	جارتنا الملكة	11
الكافيار	جارتنا الملكة	12
روبلا	جارتنا الملكة	14

يمكن موضعة الكلمات الدالة على الأجنبي بلغة الأجنبي الواردة في الخطاب القصصي عند الطاهر وطار في الحقول الدلالية التّالية:

الكلمات الدالة على الرتب العسكرية وسلك الأمن :

البوليس، كوميسار، الشامبيط، الجندرمة، سارجان، الكومنـــدان، الكولونيل، السوليطنان اليوتنان، البوليسي.

الكلمات الدالة على أنواع الشراب :

الروزي، بيرة، الويسكي، الباستيس، الإنيزات ، الريكار، المارتيني ، الفودكا، الكوكا.

الكلمات الدالة على أنواع السجائر :

الكوليزي، الحلوزي، الأرتي.

الكلمات الدالة على الأكل :

اللانقي، طمسون، الكافيار.

الكلمات الدالة على تسميات ومصطلحات عامة :

البازوكا، عالم لازوردي، رزتي، موسطاش، شاترومان، كريستال، الكومينيست.

الكلمات الدالة على تسمية أشياء :

كونتوار، ماسكارا، الترولبيس، الباشي. فيلة.

الكلمات الدالة على الملابس :

جاكيته.

الكلمات الدالة على الأفلام والموسيقى :

موزير، أفلام هيتشكوك.

الكلمات الدالة على عناوين الجرائد :

جريدة لادييباش.

الكلمات الدالة على العملة :

فرنك، الين، روبل.

الكلمات الدالة على المعاملة :

موسيو.

الكلمات الدالة على الأسلحة وتسميات الأماكن العسكرية :

المولوطوف، الكازمة.

ب –في الخطاب الروائي :

الكلمة	المتن الذي وردت فيه	الصفحة
الشامبيط	اللاز	10
كابورال	اللاز	105
البيلوط	اللاز	106
الشوينقوم	اللاز	120
كار ميل	اللاز	121
السر جان	اللاز	150
القاطو	اللاز	192
غولواز	اللاز	201
جيتان	اللاز	201
ويسكي	اللاز	210
الأندر وفير	العشق والموت قي الزمن الحراشي	6
ميسته	العشق والموت قي الزمن الحراشي	11
قنابل النابلم	العشق والموت قي الزمن الحراشي	13
الباش	العشق والموت قي الزمن الحراشي	19
الوايد	العشق والموت قي الزمن الحراشي	66
الويسكي	العشق والموت قي الزمن الحراشي	76
انيزات	عرس بغل	18
البيرة	عرس بغل	151
ماكريلة	عرس بغل	179
بالاستيتيقية	تجربة في العشق	444
الجين	تجربة في العشق	450

الواسترين	تجربة في العشق	450
السانسير	تجربة في العشق	476
الكوكا	تجربة في العشق	610
الويسكي	تجربة في العشق	450
باستيس	تجربة في العشق	624
البيرة	تجربة في العشق	539
الفودكا	تجربة في العشق	539
الشامبيا	تجربة في العشق	551
الدولار	تجربة في العشق	450
باتريوتيك	تجربة في العشق	469
لوموند	تجربة في العشق	472
الشامبيا	تجربة في العشق	552
الشوينغوم	تجربة في العشق	450
البرتو	تجربة في العشق	539
الكونياك الفرنسي	تجربة في العشق	539
كوبيكا	تجربة في العشق	628
الفالس والجاز	تجربة في العشق	614
صفا	الشمعة والدهليز	35
الجيكوندة	الشمعة والدهاليز	108
رنو	الشمعة والدهاليز	129
مرسيدس	الشمعة والدهاليز	129
الجيب	الشمعة والدهاليز	37
بيتزة	الشمعة والدهاليز	197
همبرق	الشمعة والدهاليز	197
مرقازات	الشمعة والدهاليز	197
بيريهات باسكية	الشمعة والدهاليز	198

قميص ماونسي تونغ	الشمعة والدهاليز	198
الويسترن	الشمعة والدهاليز	198
حافلة أزواو	الشمعة والدهاليز	198
موسيقى دي بيسي	الشمعة والدهاليز	69
الويسكي	الولي الصالح يرفع يديه بالدعاء	36
معاريف	الولي الصالح يرفع يديه بالدعاء	44
الأورو	الولي الصالح يرفع يديه بالدعاء	72
الدولار	الولي الصالح يرفع يديه بالدعاء	72
الليرة الإيطالية	الولي الصالح يرفع يده بالدعاء	72
طائرة عسكري أبراهام لنكولن	الولي الصالح يرفع يديه بالدعاء	30
الباخرة العسكرية جورج واشنطن	الولي الصالح يرفع يده ب الدعاء	86
نيات	الولي الصالح يرفع يده ب الدعاء	94
بيريتا(رشاش إيطالي)	قصيد في التذلل	487
المورتي(مدفع512)	قصيد في التذلل	488
الفودكا	قصيد في التذلل	550
جاكيتة	قصيد في التذلل	522
نات	قصيد في التذلل	531
المونبري	قصيد في التذلل	535
الفرنك	قصيد في التذلل	470
الويسكي	قصيد في التذلل	576
أورو،دولار	قصيد في التذلل	576
كرافتة	قصيد في التذلل	576
كوستيم	قصيد في التذلل	576
ماتريوشكا	قصيد في التذلل	582

يمكن موضعة الكلــمات الدالة على الأجــنبي بلغة الأجنبي في الخــطاب الروائي في الحقول الدلالية التّالية:

الكلمات الدالة على الرتب العسكرية :

الشامبيط، كابورال، السر جان.

الكلمات الدالة على أنواع الشراب :

ويسكي، أنيزات، البيرة، باستيس، الريكار، الفودكا، الشامبيا، البرتو، الكونياك الفرنسي.

الكلمات الدالة على مصطلحات وتسميات عامة:

ميستا، عالم لا زوردي، هنشير الحديد، مقهى لوتاس، كومينيست، أون، الوايد تاكتيك، النيوفشيزم، الفينومينات، الأوروكومنيزم، البيلوط، باباي البوكسور، الريكادوس.

الكلمات الدالة على الأكل :

بيتزا، همبرقر ، مرقازات، القاطو. الشوينقوم.

الكلمات الدالة على الملابس :

قميص ماوتسي تونغ ، بيريهات باسكية ، سترة السموكينغ ، نظارة الرابيان ، كوستيم.

الكلمات الدالة على أنواع السيارات :

مرسيدس ، رونو ، لاندروفر ، الجيب.

الكلمات الدالة على أنواع السجائر :

غولواز، جيتان.

الكلمات الدالة على الفن:

موسيقى الويسترن، أفلام الوسترن، الجاز، الراب، المونبري، دي بيسي، التانغو، الفالس الجاز ، الجيكوندة.

الكلمات الدالة على تسمية الأشياء :

الباش، الشوينغوم ، الكارميل ، فيلا .

الكلمات الدالة على عناوين الجرائد:

معاريف، لوموند.

الكلمات الدالة على العملة:

الدولار ، الأورو ، الفرنك ، الكوبيكا ، الليرة الايطالية.

الكلمات الدالة على المعاملات :

صفا ، كوسيلا ، ناما سكار.

الكلمات الدالة على الأسلحة :

أبراهم لنكولن ، الباخرة العسكرية جورج واشنطن ، قانبل النابلم.

تسلل الأجنبي إلى الخطاب السردي عند الطاهر وطار على شكل كلمات ، منها ما دلّ على وحشيته وجبروته، ومنها ما دلّ على تطوره وتفوقه هذا بالنسبة للكلمات الأجنبية الواردة بلغة الأنا، أما الكلمات الأجنبية الواردة بلغة هذا الأجنبي فقد دلت على تسميات لرتبه العسكرية، ولبعض مفاهيمه العامة، وتسميات لأكله وشرابه وملابسه ، وعملاته، وفنون.

المبحث الثاني: الفضـــــــاء المكـــــــــاني:

1- دراسة المكان في العمل الروائي:

اهتمت الدارسات النقدية الأدبية، بمصطلح الفضاء بعد الحرب العالمية الثانية بحيث خرجت إلى النور عدة دراسات عمقت مفهومه ،وأثرت مدلوله ، حتى أضحى الوالــج إلى ميدانه يتشتت وسط زخمه التنظيري، والمعرفي، الأمر الّذي حال دون تحديد مظهر واحد في دراسته (خصوصا بالنسبة للنقاد العرب).

ولتعدّد مصطلحاته خير دليل على هذا التشرذم، إذ نجد من النقاد العرب من أثر استخدام مصطلح المكان، في حين اخــتار البعض الآخر مصطلح الحيز، والّذي ينــسب على وجه الخصوص إلى النّاقد الجزائري عبد المالك مرتاض الّذي يري" أن الحيز خاص والفضــاء عام، فقد لا يكون مع الحــيز فضاء ، في حين لا مناص من وجود الحيز في الفضاء"[1].

أما فريق ثالث فقد اختار أن يجمع بين المصطلحين معا،مــثل ما فعــله عبد الحميد بورايو في دراسته الموسومة بــ" المكان والزمان في الرواية الجزائرية" حيث أورد مصطلح (الحيز المكاني)" [2].

للفضاء أهمية كبرى في المتون القصصية ، والروائية على حد السواء ، إلى جانب بقية العناصر الأخرى المشكلة للعمل الأدبي فإذا" كانت الشخصيات هي الّتي تصنع الأحداث، و تنــشئها نــشأة مثلــما أراد الــمؤلف، أو الراوي فإن الفــضاء هو المجال

([1])- عبد الملك مرتاض : نظرية النص الأدبي(د،ط) ، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2007، ص 298.

([2])- ينظر أحمد شريبط : بنية الفضاء في رواية (غدا يوم جديد) ، مجلة الثقافة العدد115، 1997، ص150،151.

الطبيعي الّذي يحتــضن هذه الأحداث ويعطــيها أبعادها، ويمنحــها دلالاتها..."[1].

يتشكل الفضاء المكاني عن طريق" اختراق الأبطال له، وليس هناك أبدا مكان مــحدد مــسبقا، وإنما تتــشكل الأمــكنة من خلال الأحداث الّتي يقوم بها الأبــطال ومن المميزات الّتي تخصهم"[2] ،ذلك أن كل جماعة –حسب سيزا قاسم– تضع نفــسها في إطار حيز نفسي يمثل بالنسبة إليها الــ(هنا) وتضع الجماعات الأخرى (هناك)"[3] فيصطبغ هذا المكان بحــالتها النفــسية ويعبــّر عنها.إذ ليس هنــاك أبلغ من المكــان –على حد قول عبد الصمد زايد "حين ينــقلب إلى كائن حي، فيعتريه ما يعتري الإنسان من أحوال التــوتر والغــضب، ويهــب للدفاع عن نفســه"[4]، ليظــهر بذلك المكان المرغوب أو المنبوذ، أو الواسع، أو الضيق... الخ

2–الفضاء الأجنبي الكائن داخل أرض الوطن :

أ– الفضاء الأجنبي العسكري :

تعتبر الثكنة من أهم عناصر هذا الفضاء، وقد اهتم الطاهر وطار بوصفها تمهيدا لاختراق الأبطال الجزائريين لها ففيها مثلا: " بعض جنود يحلقون ويغتسلون.... المطبخ ثم عدة مكاتب، فبناية مستقلة، مركز القيادة.. "[5].

يخترق البطل الجزائري بكل سهولة هذا" المركز العسكري الحصين"[6] إما لتنفيذ عملية عسكرية, أو الهروب منه بكل يسر.ولا يغادره إلا بعد أن يخلّف وراءه الانفجارات

([1])- أحمد شريبط : بنية الفضاء في رواية (غدا يوم جديد) ، مرجع سابق، ص155.
([2])- حسن بحراوي : بنية الشكل الروائي ط1، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، (د،ت) ، ص29 .
([3])- سيزا قاسم وجماعة من الباحثين : جماليات المكان ، ط3، دار قرطبة ، 1988، ص61.
([4])- عبد الصمد زايد : المكان في الرواية العربية ، الصورة والدلالة، ط1 ، دار محمد علي للنشر،2003 ،ص 235.
([5])- الطاهر وطار : من يوميات فدائي ، مصدر سابق، ص43.
([6])- المصدر نفسه، ص 43.

تتوالى "الواحد إثر الآخر"[1]مما يثير الرعب والذعر في نفس المستعمِر، وقد يصل الأمر إلى درجة أن" يتطاير المركز بمدافعه ودباباته وثلاثمائة جندي يربضون به.."[2].

اتسم هذا المكـــان بكثرة الحركة والاضـــطراب إذ نلفاه دوما يعج "بحركة مضطربة محركات السيارات تدور وتتوقف، والدبابات المصفحة تتقدم وتـــتأخر، والجنود يتسابقون بين العربات والدبابات وبين قاعات النوم ومخازن العتاد.. "[3]، وقد ساعدت الفوضى الّتي كانت تعم هذا المكان على عدم لفت انتـــباه الجنود الفرنسيين لشخصيات الأنا الجزائري الهاربة مـــنه مهما "كانت خطواتهم سريعـــة أو مضطربة ،ومهما كان منظرهم مريبا"[4].

منح هذا المكان المـــغلق الكائن على أرض الأنا والّذي شيّـــده الأجـــنبي الفرصـــة للّلاز لمراجعة نفسه، ليصبح بعد ذاك عنصرا فاعلا في صفوف جبـــهة التّحرير الوطني.

حوى مكتب الضابط الشاذ الموجود في هذا المكان "خزانة حديدية ومكتب ومنفضة نحاسية"[5]، وهو بهذا التّجهيز ينم عن الرتبة العـــسكرية لهذه الشخصية الّتي كانت تتظاهر تتظاهر بالقوة والصرامة.

([1])- الطاهر وطار : اللاز، مصدر سابق ، ص212.
([2])- الطاهر وطار: نوة ، دخان من قلبي، مصدر سابق، ص105.
([3])- الطاهر وطار : اللاز ، مصدر سابق ، ص 93.
([4])- المصدر نفسه ، ص93.
([5])- ينظر المصدر نفسه، ص64.

في حين كانت غرفته نومه الّتي كان يمارس فيها شذوذه " كبيرة في جانب منها خزنة حديدية ،وسرير عريض وبعض مقاعد، وفي جانب آخر ،مكتبؤ خشبي صغير عليه مذياع وعـدة كتـب ومجـلاّت، وأريكة مستـطيلة، ومائدة عليها عدة قواري وكؤوس"[1]

وعلى الرغـم من اتـساع هذا المـكان إلا أنّـه يضـيق على شخصـيات الأنا الممثلة في شخصية بعطوش الّتي كان ترافق هذا الضابط، بحيث لم يقابلها فيها " ... سوى الضباب ...سحب نفسا طويلا وشعر بالاختناق"[2].

وفي هذا المكان أيضا، تداعت ذكريات بعـطوش الأليـمة المتـمثلة في اعتدائه على خالتـه حيـزية، والّـذي تم بإيعـاز من الضابط الشاذ، فلم يشعر بعطوش بنفسه إلا وهو يخنقه بكلتا يديه حتّى الموت, ليلتحق بعد ذلك بالجبل.

تعذب شخصية الأنا وتهان في السـجن الّذي شيّده المستعمِر، كما قد تلـقى حتفـها فيه أيضا، وقد أشار الطاهر وطار في عمل أخر*أيضا إلى سجن أبو غريب أين تعرّض العراقيون لانتـهاكات واعتداءات تداولتها وسائل الإعلام المرئـية والمكتـوبة.

تعـتبر الخمارات الموجودة تحت الغـطاء العسكري مكان ترفيه يقـصده الجنـود والمعمرون بعد يوم شاق من القـتال أو العمل، وفي هذا المـكان سرد الضابط حـادثة اعتداء بعطوش على خالته حيزية فارتفعت " القهقهات صاخبة رنانة.."[3]، ولم يستطع هذا

([1])- الطاهر وطار : اللاز، مصدر سابق، ص209.
([2])- المصدر نفسه، ص 210.
(*)-ينظر الطاهر وطار: الولي الصالح يرفع يديه بالدعاء، مصدر سابق، ص51.
([3])- الطاهر وطار : اللاز، مصدر سابق، ص 152.

المكان المرح – إنّ صح التّعــبير – من أن يزيــح عن كاهل بعــطوش همّ ما اقتــرفه على رغــم من أنه شــعر في البداية " بالكابــوس ينزاح عنه شيئا فشيئا.. "[1]، مما هيأ له متــعة وهمية سرعان مازال مفــعولها ليشعر بعد ذلك " بآلاف الإبــر تنصــب على بدنه.."[2] ففضل الخروج من هذا المكان الأجنبي.

ب–الفضاء الأجنبي الديني:

نلفى في الخطاب السردي عند الطاهر وطار مكان ديني واحد ممثل في كنيسة يهودية تقع بمدينة قسنطينة كتب على بابها" باللغة الفرنسية تحت العبرية ذلك أنّ بيتي هذا سيكون مصلى لجميع الشعوب "[3].

تساءل الطاهر وطار على لسان بولرواح عن قصد اليهود من هذه الكتابة و"هم الّذين حكموا على أنفسهم أن لا يكونوا إلا شعبا واحدا.وأغلقوا بيوت الله في وجوه جميع النّاس كأفراد، بل كشــعوب، وهم الّذين أنشأوا أخــيرا بيتا كبيرا على حساب الآمــنين من المسلمين والنصارى خاصا بهم، ومغلق دون جميع الشعوب ؟؟ "[4].وبالتّــالي لا تتخطى هذه الدعوة إطارها المكتوب كما أنها إشــارة واضحة إلى ما عرف عن اليهــود من عزلة وانطواء دون غيرهم من شعوب المعمورة كلها.

ج– الفضاء الأجنبي الثقافي:

استطاع الطفل الشاعر" في وقت قصير"[5] من أن يفرض وجوده بثــانوية فرانك

([1]) الطاهر وطار : اللاز، مصدر سابق ، ص151.
([2])، المصدر نفسه ص151.
([3]) - الطاهر وطار : الزلزال، مصر سابق، ص 162 .
([4]) - المصدر نفسه، ص 162.
([5])- الطاهر وطار :الشمعة والدهاليز، مصدر سابق ، ص58.

ميسلمان، الّتي تعتبر مكان ثقافي مغلق، بعد أن أجبر بقية التلاميذ على احترامه، وخشيته حتى أصبح كلّ من يراه "يطلق ساقيه للريح وهو يلتفت يمنة وشمالا"[1]، وفي هذا المكان أيضا خرق الطفل الشاعر النظام المعتاد، وأبى أن يقف "عندما عزف النّشيد الوطني الفرنسي"[2]. كما ساهم هذا المكان في توجيه الطفل الشاعر توجيها شيوعيا إذ فيه التقى بالقيّم العام.

3-الفضاء الأجنبي الكائن خارج أرض الوطن :

أ-الفضاء الأجنبي المتعدّد والمعادي:

يعتبر الفضاء الفرنسي بلد المحتل، ومنفى إجباري للجنود الجزائريين الّذين كانت تنازعهم الروح الوطنية قصد إبعادهم عن "أفكار الثورة"[3]، وقد يرتقي هذا الفضاء بالوالج إليه من حال إلى حال أفضل مثلما هو الأمر مع زيدان الّذي انتقل من إنسان أميّ إلى إطار سامي في الحزب الشيوعي، كما يعتبر هذا الفضاء مقصد الكثيرين من أجل العمل ومساعدة الأهل"بحوالة مالية ذات قيمة محترمة.."[4]، وهو فضاء ألاّ عودة فهناك من ذهب"إلى فرنسا ولم يعد"[5]،بالإضافة إلى ذلك فهو ملجئ ملجئ العديد من الخونة مثل ذلك الحركي"الذي هرب إلى فرنسا، بعد أن قتل ما قتل من إخوانه"[6]،وهو أيضا فضاء سياحة واستجمام يقصده البعض لـ"يتفرج على الواجهات

([1])- الطاهر وطار :الشمعة والدهاليز ، ص 59.
([2])- المصدر نفسه ، ص 73.
([3])- الطاهر وطار : محو العار، مصدر سابق ، ص149.
([4])- الطاهر وطار : الشمعة والدهاليز، مصدر سابق، ص62 .
([5])- ينظر الطاهر وطا ر: العشق و الموت في الزمن الحراشي، مصدر سابق، ص82.
([6])- ينظر المصدر نفسه، ص86.

المنيرة المزدهرة"[1]، ويكنّى هذا الفضاء بموطن"النور والجــنّ والملائكة "[2].

تتسم شوارع باريس بكونها ذات " أنهج واسعة تتلاشى النقود فيه بسرعة "[3] هكــذا كان انطــباع زيــدان عن هذا المــكان في أيامه الأولى ربما لدلالة على الضياع والتّيه وعدم الانتماء.

ضمت ساحات هذا الفضاء مظاهرات توافد مشاركوها "...من كل أنحاء أوروبا زرافات ووحدانا.من حماة البيئة، إلى أطباء بدون حدود.."[4]، وإنّ كان تظاهرهم حسب أحداث الرواية ضد سياسة الولايات المتحدة الأمريكية، فإن الطاهر وطار استغل هذه الصورة ليــشيد بالتلاحم الأوربي في كل المواقف فــ "مهما كانــت أمميتهم ومــهما بدا من أوربيتهم ،ومهما غيروا من تسميات وأشكال عملاتهم ونقودهم، فإنّهم يظلون يحملون في جعابهم، وطنيتهم الحادة، يمتنون بها لحمتهم، ويؤكدون هويتهم، هذه الهوية الّتي نسخر نحن منها محاولين قدر الإمكان، التّخلي عنها، والتّمظهر بهويات سادتنا المستعمرين"[5].

من بين الأماكن الموجودة في هذا الفضاء أيضا مكتب اليد العاملة وبيت سوزان وهما مكانان مغلقان توطدت فيهما علاقة زيدان بسوزان، كون المكان الضيق –كما ذهبت إليه سيزا قاسم– كثيرا ما يرتبط " بالدفء حيث يتم التّعارف بين الناس"[6]، وهذا ما ما

([1]) - الطاهر وطار: تجربة في العشق، مصدر سابق، ص656.
([2]) - الطاهر وطار: الولي الصالح يرفع يديه بالدعاء، مصدر سابق، ص79.
([3])- ينظر الطاهر وطار: اللاز، مصدر سابق، ص 163 .
([4])- الطاهر وطار: الولي الصالح يرفع يديه بالدعاء، مصدر سابق ، ص 79.
([5]) – المصدر نفسه ، ص 51.
([6])-)- سيزا قاسم : جماليات المكان ، مرجع سابق ، ص63.

توفر لزيـــدان إذ بدّد هذا المكان الحـــيرة والتوتر اللذان كان يشـــعر بهما في بـــداية إقامـــته بهذا الفضاء الأجنبي.

يعتبر الفضاء الأميركي فضاء معادي، لذا يكاد يقتصر الطاهر وطار في ذكر الأماكن الّتي تهتم بصنع القرار مثل البنتاغون، والبيت الأبيض.

كان هذا الفضاء في البداية فضاء مفتوح لكنه سرعان ما تقوقع على نفسه وأغلقت كل منافذه وأصبح " الفضاء الأمريكي، مغطى بمختلف الطائرات والصواريخ الجـــوية والأرضية والحرية، على أهبـــة الانـــطلاق، والأقـــمار الفـــضائية جـــميعها، منـــصبة على المنطقة العربية والإسلامية "[1].

ولم يتوقـــف الأمـــر عنـــد هذا الحد بل تم " إغلاق الحـــدود الأمريكـــية ضد كل عربي"[2] بالإضافة إلى ذلك تم" فرض إقامة جبرية مشددة على كل من هو من أصل عربي أو إسلامي، يعيش في أمريكا وهناك إشارة غير واضحة إلى إمكانية إقامة مركز تجميع وحشدهم لإجراء التحقيقات والفحوصات الدقيقة والنّهائية"[3]مخافة حملهم لفيروسات فتاكة، وهي صورة مستمدة من الواقع ،تعاود الظهور على الدّوام كلما قرع جرس إنذار عمل إرهـــابي في الحاضرة الغربية، بحيث توجه أصـــابع الاتهام مباشرة إلى العـــربي دون بقية القوميات الأخرى.

لا يرفض الطاهر وطار الفضاء الإسرائيلي، كفضاء جغرافي، بل كفضاء معنوي إنّ صح التعبير، باعتبار أن هذا الفضاء الجغرافي هو في الحقيقة أرض عربية مسلوبة لذا

([1]) - الطاهر وطار :الولي الصالح يرفع يديه بالدعاء، مصدر سابق ، ص42.
([2])- المصدر نفسه ، ص 44.
([3]) – المصدر نفسه ، ص44.

فإسرائيل–كما ذهب إليه ناصيف نصار– هي" آخر من نوع فريد، أو نادر الوجود في التاريخ، إنها الآخر الجماعي الّذي يحتل بلد النحن، زاعما أنه له حقا فيها، وعاملا على تدمير مقومات النحن، بالتّشريد والتضييف والمصادرة والهدم والإرهاب والطرد والإذلال ..."[1].

تحوّل هذا المكان من مكان جغرافي إلى مكان رمزي يحكي قصة المعاناة في سبيل استرجاع هذه الأرض. وقد اتسم هذا الفضاء بكثرة الحركة ومحاولة كبت حريات مواطنيه من الفلسطينيين بحيث شكلت ".... خلايا متابعة، شملت كل بيت وكل حي"[2].

وضع الطاهر وطار كلمة إسرائيل بين مزدوجتين متعاكستين(>....<)، ومعنى ذلك–حسب مازن دويكات – " هو تجاوز التّحفظ عن هذا المصطلح إلى الرفض المطلق الّذي يقتضي عكس المزدوجتين"[3].

ولقد آل الطاهر وطار بهذا الفضاء إلى الزوال، بعد شيوع نفاذ النّفط من الأراضي العربية حسب أحداث الرواية فتأجل "إقامة دولة صهيون، إلى أن يأذن الرب "[4]، وبذلك استرجِع هذا الفضاء العربي المسلوب.

ب –الفضاء الأجنبي الصديق:

مثلّ هذا الفضاء الاتحاد السوفياتي سابقا مجسدا في الدول الّتي كانت تنتمي إليه: روسيا، وجورجيا.

([1])- نصار ناصيف : الإيديولوجية على المحك ، مرجع سابق ، ص 145.
([2]) - الطاهر وطار :الولي الصالح يرفع يديه بالدعاء ، مصدر سابق ، ص32.
([3])- ينظر مازن دويكات : الطاهر وطار ثانية في ملتقى بلاطة الثقافي ،مجلة التبيين، العدد 24 ،سنة 2005 ،ص 136.
([4])- الطاهر وطار :الولي الصالح يرفع يديه بالدعاء ، مصدر سابق، ص100.

كان المطعم من أكثر أماكن هذا الفضاء ظهورا.وأول مطعم تم ذكره هو مطعم الفندق الّذي نزل فيه بطل قصة جارتنا الملكة بحيث لم يرد له أي وصف عدا أنه" قاعة ضخمة "[1].

المطـــعم الثاني هو المطـــعم الّذي زاره كل من قائد الفرقة المـــسرحية و مرافقته أولغا والمستشار الشيوعي، وهو مكان حاولت فيه شخصية الأنا إبراز سيطرتها التامة على المرأة الأجنبية الممثلة في شخص أولغا.

أما المطعم الثالث والأخير فهو مطعم"يوكا" الّذي كان يخضع لسيطرة الشاب الجورجي الّذي استضاف المستشار وقائد الفرقة المسرحية وأولغا، وقد أحال هذا المكان المغلق إلى اضطرار أولغا للمبيت مع قائد الفرقة المسرحية بعدما تـــعذّر عليها الذهاب إلى بيتها.

تتألف الغـــرفة الموجودة في هذا الفضـــاء من "سرير وكرسي وحمام"[2]، وقد حاول البطل بعد وقـــوفه على حقـــيقة اهتمام نتـــاشا به، على رمي نـــفسه من النّـــافذة الّتي تعتبر عتبة من العتبات.كـــما ورد ذكـــر هامشي لغرفة" أنيـــقة "[3]، كان يرقد بـــها هذا الأخـــير في إحدى المستشفيات.

حظيت الكنائس الموجودة في هذا الفضاء بوصف شاعري فهي" ذات الأجراس الثملة، والقباب الذهبية.حاملة الأنجم الحمراء...."[4] ، كما وردت إشارة إلى نهر موسكو

([1])- الطاهر وطار : جارتنا الملكة، مصدر سابق، ص12.
([2])- ينظر المصدر نفسه، ص14.
([3])- المصدر نفسه، ص15.
([4]) - الطاهر وطار : تجربة في العشق، مصدر سابق، ص628.

وحدائق الكارمن"[1].

يعتبر فضاء الهند الصينية منبع للثراء والموت والإعاقة في نفس الوقت، فالذاهب إليه إما أن يعود " بأسنان من ذهب أو بساقي حطب"[2].

يتميز هذا الفضاء بكثرة المعارك وانتهاؤها يبعث في نفس المجند "...التبرم والقلق والضيق، والضجر"[3]،هذا ما حدث لبلخير الّذي أرسل إلى"مركز يبعد عن سايغون بنحو عشرين ميلا "[4]، كما يكتسي هذا الفضاء أيضا دلالة بطولية فهناك "هربت فرنسا منهزمة "[5]، وتمّ دحر أسطورة الدولة الّتي لا تهزم.

ج-الفضاء المحايد:

تميز فضاء الهند بشيوع الكوارث الطبيعية" أكثر من مرة في السنة سواء إلى الجدب أم إلى الطوفان "[6]، وقد شبه الطاهر وطار ما كان يسود سوق الحراش الحراش

"من تلوث بأدخنة السيارات والقمامة والروث بما يوجد في بعض مدن وأرياف الهند"[7] من مدن هذا الفضاء الّتي ورد ذكرها في الخطاب السردي عند الطاهر وطار: "حيدر أباد –أقرا – بومباي – دلهي الجديدة.. "[8].

تميّز الفضاء الأجنبي الكائن على أرض الوطن بالاضطراب وكثرة الحركة، مكان على اتساعه يضيق على شخصيات الأنا ولا تلقى فيه راحتها، مكان تتعرض فيه

([1])- الطاهر وطار : تجربة في العشق، مصدر سابق، ، ص612.
([2])- الطاهر وطار : محو العار، مصدر سابق، ص141.
([3]) - المصدر نفسه، ص143.
([4])- المصدر نفسه، ص143
([5])- الطاهر وطار : اللاز، مصدر سابق ، ص 37.
([6])- الطاهر وطار : العشق والموت في الزمن الحراشي ، مصدر سابق ، ص60.
([7])- ينظر المصدر نفسه، ص49.
([8])- المصدر نفسه ، ص 44.

إلى شتى أنواع العذاب، والإهانة والاضطهاد الإنساني وعلى الرغم من أنّ هذا المكان كائن علـــى أرض الوطن إلا أن اتصاله المباشر بالأجـــنبي جعله " يخرج عن واقعـــيته الحيادية.."[1] فبات مكان غريب بعد أن طبعه المستعمِر بأهوائه العدائية، لأن المكان الّذي ينب نحوه الخيال –كما ذهب إليه غاســـتون باشلار– " لا يمكن أن يبقى مكانا لا مبـــاليا ذا أبعاد هندسية وحسب، فهو مكان قد عاش فيه بشر، ليـــس بشكل موضوعي فقط ، بل بكل ما في الخيال من تحيز"[2].

وإن أصبح هذا المكان موحشا فلأنه تعرض لتغيرات كثيرة ملحوظة، جعلته يدير ظهره للحقيقـــة الّتي كان عليها من قبل، لأن البناء في عهد الاحتلال–كما ذهب إليه ألبير ميمي– "يستعير الأشكال المحبّبة للمستدمر، حتّى أسماء الشوارع تذكر بأســـماء المناطق البعيدة الّتي قدم هذا المستدمِر منها "[3].وهو ما دلت عليه التسميات التالية:مقهى اللوتس شارع الرامبلي، ثانـــوية فرانكو، خمـــارة موريس.

أما الفضاء الأجنبي الكائن خارج أرض الوطن فنستطيع تلمسه فـــي شقـــين اثـــنين فضاء لا تتواجد فيه شخصيات الأنا اقتصر الطاهر وطار على وصفه وصفا عاما مثل:الهند، وفضاء تواجـــدت فيه شخصيات الأنا اتسم في العموم على أنّـــه: منفى ارتقاء ،ملاذ، بلد الحبيبة، مصدر للهو، بلد الأعداء، مهجر..ولقد تمّ التركيز على ذكر الأماكن الخاصة بصنع القرار، وكذا الأماكن الّتي تعتـــبر أماكن لقاء عابر مثل المطاعم والفنادق.

([1])- بن الطاهر يحي: واقع المثقف الجزائري من خلال رواية تجربة في العشق للطاهر وطار، منشورات التبيين، الجاحظية ، 2003، ص35.
([2])-غاستون باشلار : جماليات المكان (المقدمة)، ترجمة غالب هلسا ، ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ، بيروت ،1987 ص31.
([3])-ألبير ميمي : صورة المستعمر، مرجع سابق، ص108.

تباينت صورة الأفضية المكانية الأجنبية في الخطاب السردي عند الطاهر وطار وهو أمر معلّل إذا ما أخذنا بعين الاعتبار أن" بنية المكان الفني ترتبط ارتباطا وثيقا بمشكلتي الموضوع والمنظور"[1]، فإن كان الموضوع مثلا متصل بفضاء مستعمِر فبديهي أن يظهر هذا الفضاء في صورة الفضاء المعادي الغير المستقر المضطرب والعكس إذا ما تعلق الأمر بفضاء صديق، لذا فالمكان في الخطاب الروائي-كما ذهبت إليه سمر روحي- "ليس إطارا محايدا بل يحمل دلالة اجتماعية عميقة، وهو معرف تعريف اجـتماعيا "[2]، بالإضافة إلى ذلك تنوعت الأفضية المكانية الأجـنبية الواردة في الخطاب السردي عند الطاهر وطار، وابتعدت عن الأحادية المركزية.

المبحث الثالث: الفضاء الزماني:

1 -الزمن في الرواية وصلته بالأجنبي:

يساهم تتبع الزمن في الكشـف على بعض الجوانب المـحيطة بحضور الأجنبي بالإضافة إلى الفضاء المكاني " فالشخصيات الّتي تتأثر بمكان ما، فإنها لا تتأثر به إلا من خلال فعل الزمن في ذلك المكان، فالزمن هو ما جعل المكان صرحا عالي البيان وهو ما أحاله إلى خراب، أو هو ما تغافل عنه"[3].

سوف أقتصر في تتبع الزمن النّفسي، والزمن التاريخي*لأنّه في الأول" تتحرك الأنا بحرية في اتجاهات مختلفة ومتداخلة، والزمن يسيل وتدور عجلته وفق الإيقاع الداخلي

([1])- سيزا قاسم: جماليات المكان، مرجع سابق، ص82 .
([2])-سمر روحي الفيصل: الرواية العربية، البناء والرؤيا، (د، ط)، اتحاد الكتب العرب، دمشق، 2003، ص 38.
([3])- أحمد حمد النعيمي: إيقاع الزمن في الرواية العربية المعاصرة ، (د، ط)، المؤسسة العربية للدارسات والنشر، بيروت،2004 ، ص78.

للذات الإنسانية، حين تستحضر الماضي عبر الذاكرة في لحظة الحضور وتتمثله ويتجسد أمامها، أو يتجـــلى المستقبل عبر الحلم والتوقع في لحظة الحاضر"[1]، لذا فهو – على حد قول الدكتور أحمـــد النعيمي– الأقرب" من طـــبائع البشر وأحاسيسهم"[2].

أما في الزمن الثاني، أي الزمن التاريخي فلـــكونه " متصل اتصال حلقات الحضارة واتصال تقدمها المتواصل من البسيط إلى المعقد، ومن الأقل نضجا إلى الأكثر نضجا وبدايته هم الأقوام البدائيون الّذين تشهد حالتهم على ما كانت عليه البشرية في نشأتها،كما أن لـــه غاية، وغايتـــه هي ما يحصل من تحـــولات في مركز الحـــضارة الساخن"[3]. وبالتّالي نستطيع من خلال تتبـــعه الكشف على بعض ملامـــح الإنسان الأجنبي متأثـــرا بهذا الزمـــن.

لاحظت الدكـــتورة رزان محمود إبراهيم أن زمن الرواية العربية –عموما –لم يخرج عن تيارات ثلاث هي:

1–التيار الإحيائي التوفيقي:زمنه(الماضي والحاضر والمستقبل) وأسّس خطابه النهضوي على إحياء القيم الحضارية العربية الإسلامية وتفعيل دورها في الحياة.

2– تيار أصولي انعزالي: (يعتصم بالماضي لبناء الحضاري)، ويرى ضرورة مواجهة التبعية للغرب، ومقاومة التأثـــيرات الغربية بوصـــفها ثقافة غازية تســـتهدف الهيـــمنة الاستعمارية.

(*) - بالإضافة إلى هذه الأزمنة نلفى: الزمن الديني ،الزمن الأسطوري، الزمن الموضوعي،زمن القراءة ،زمن الكتابة، الزمن الفلسفي ، الزمن البيولوجي ، الزمن الميتافيزيقي ..

([1])- مها حسن القصراوي: الزمن في الرواية العربية ، ط1، المؤسسة العربية للدارسات والنشر، بيروت، 2004، ص24.

([2])- أحمد حمد النعيمي: إيقاع الزمن في الرواية العربية المعاصرة، مرجع سابق ، ص 78.

([3])-سالم يفوت: الزمان التاريخي من التاريخ الكلي إلى التواريخ الفعلية، ط 1، دار الطليعة ، بيروت،1991، ص18.

3-التيار الليبرالي المستغرب: زمنه (الحاضر والمستقبل) وهو التيار الّذي يرى أن نمط الحياة والتّطور الغربي هو السبيل الوحيد إلى التّقدم"[1].

إن الأساس الّذي اعتمدت عليه الدكتورة في تحديد هذه الاتجاهات هو طبيعة موقف الأنا من الأجنبي،لكنها تغاضت عن الموقف الوسط بين التيار الثاني والتيار الثالث أي مقاومة التأثيرات العربية التي تمس بالهوية العربية، ومحاولة الأخذ بسبل التطور العلمي.

2-الماضي:

أ-الماضي القريب:

استحضر الطاهر وطار في خطابه السردي الكثير من الحوادث التاريخية المتّعلقة بالجزائر، وبعض الدول العربية والغربية، منها تاريخ الاحتلال الفرنسي للجزائر الّذي ورد في سياق اتهام الشاعر الشيوعي، بمحاولة نسف كل ما بنته فرنسا" منذ 1832 في هذا البلد المسكين".[2] وكذا الإشارة إلى بعض جرائمه، مثل مجازر 8 ماي 1945 يوم" خرج جميع النّاس في يوم واحد وفي لحظة واحدة، في مظاهرات ضمت الرجال والنساء والأطفال.."[3]، ولهول هذه الحادثة أضحت كل مجزرة مرتقبة هي "(ثمانية ماي) آخر "[4].

كان لـ" الحرب العالمية الثانية "[5] أثر سلبي على أفراد الشعب الجزائري

([1])- ينظر رزان محمود إبراهيم : خطاب النهضة والتقدم في الرواية العربية، مرجع سابق، ص9، 10.
([2])- الطاهر وطار : الشمعة والدهاليز، مصدر سابق، ص 203.
([3])- الطاهر وطار : زنوبة ، دخان من قلبي، مصدر سابق، ص48.
([4])- الطاهر وطار : اللاز، مصدر سابق، ص35.
([5])- المصدر نفسه، ص124.

الذين أقحموا فيها دون أن يكون لهم فيـــها ناقة ولا جـــمل، وحتى من بقي على أرض الوطن اكتـــوى بنارها،إذ هناك من"ذهبت عائلته ضحية غارة جوية شـــنها الألمان على الحلفاء"[1].

يذكر الطاهر وطار على لسان بولرواح أن في" زمن الاستعمار، كانت الملامح عامة أوروبية، وعربية"[2]، وكان من بينهم يهود الجزائر الّذين" لم يتركوا خط رجعة لهم انخدعوا في الجزائر على غير عهدهم.انخدعوا حيث أغلقوا كل نافذة أمل.احتقروا التاريخ، في الحقيقة خانهم الذكاء، ففي حين حافظوا على شخصيتهم في فرنسا، سلموا فيها في الجزائر،وتقمصوا الشخصية الفرنسية، الشخصية الاستعمارية المتعجرفة"[3]،الأمر الّذي نجم عنه عداوة أسفرت على عدة مشادات بينهم و" بين المسلمين"[4].

توصلت الباحثة سعيدة هوارة بعد دراسة نماذج من الخطاب الســـردي عند الطاهر وطار إلـــى أنّه اهتم بـــ" ..رصد حركـــة الواقـــع الجـــزائري عبر أزمنـــته المختلفة"[5]. المختلفة"[5].

الأمر الّذي دفعه–كما ذهب إليه عبد القادر شريف حسني–" إلى سرد أحداث شبه واقعية أضفى عليها منطق التّناقض، وهو ما تجسده الواقعية هذا من جهة، ومن جهة أخرى أن الأحداث لا تدور بشكل خـــطي تعاقبي، وإنما في شكل حلزوني تتماها فـــيه البـــدايات مع النـــّهايات مما يجـــعلنا أمـــام حالة من الهلامية في إســـقاطات تاريخـــية تتجـــلى

([1]) - ا لطاهر وطار : صحراء أبدا، دخان من قلبي، مصدر سابق، ص 39 .
([2]) - الطاهر وطار : الزلزال، مصدر سابق، ص 10.
([3])- المصدر نفسه ، ص159.
([4]) - المصدر نفسه، ص 145.
([5])- سعيدة هوارة : الواقعية عند الطاهر وطار وعبد الحميد بن هدوقة ،رسالة ماجستير، مخطوط ، جامعة الجزائر،1985 ، ص 218.

في الراهن"[1].وذلك بواسطة ما يجترحه في ذاكرته الثقافية الجماعية من ذكريات سلبية عن هذا الأجنبي.

وإنّ كان الطاهر وطار-كما وصل إليه عبد العزيز بوباكير- " يكتب عن كل هذا كشاهد عيان مباشر وكمشارك في الأحداث الموصوفة يهمه الأمر لكنه يهتم ليس بالجانب الخارجي،الّذي كتبت عنه الصحافة مرارا وسردته اليوميات والمذكرات،وإنّما بالمغزى الداخلي لتلك الأحداث"[2]، حتىّ يتم التّركيز على أسبابها الموضوعية ومدى مساهمتها في سير الحياة الآنية.

يهدف أيضا استحضار هذه الأحداث الواقعية ربما، إلى إدانة ما اقترفته فرنسا في حق الشعب الجزائري من جرائم بشعة، وما انجر عنها من أثار سلبية على المدى القريب والبعيد معا، فهي بذلك " إدانة الواقع من خلال إدانة التّاريخ، باعتبار وقائع الماضي سببا في ما نحن فيه اليوم.."[3]، وهو ما وُفِق فيه الطاهر وطار بشهادة قلولي بن ساعد بحيث استطاع بـ" اقتصاد واضح في رصد الذات، رصد يتكامل مع الوصف العام لمسار الحياة الاجتماعية والسياسية للجزائر عبر حقب عديدة بالإضافة إلى المهارة الفائقة في الانتقال عبر الأمكنة والأزمنة, حتى صار هذا الانتقال إلى براعة في استعادة أسئلة التاريخ...."[4].

لم يقتصر الطاهر وطار في إشارته لحرب فرنسا على الجزائر فقط بل

([1])-عبد القادر شريف حسني : الخصائص السردية في رواية الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي، ماجستير، مخطوط،، كلية الآداب واللغات والفنون ، وهران ،2007، ص5.

([2])- عبد العزيز بوباكير : الأدب الجزائري في مرآة استشراقية ،مرجع سابق، ص98.

([3])- جعفر يايوش : الأدب الجزائري الجديد التجربة و المآل، (د، ط) ،مطبعة وهران، (د، ت) ، ص76.

([4]) - بن ساعد قلولي : مقالات في حداثة النص الجزائري، (د، ط) ، اتحاد الكتاب الجزائريين، الجزائر، 2005 ،ص 56.

تعداها إلى تعداد حروبها المنتشرة" في كل مكان،....واتيرليت..ديان بيان فو... لينيغراد ستالينغراد"[1]، "حرب الفيتنام "[2]، حروب تفضح الوجه القبيح لهذا المستعمر من جهة ومن جهة أخرى هي إشارة استند عليها الطاهر وطار على لسان إحدى شخصياته لنزع أسطورة الدولة القوية الّتي لا تهزم ففي الهند الصينية فرّت "فرنسا منهزمة ديان بيان فو حتى الّذين لم يخلقوا بعد، يسمعون عنها"[3].

ولدحر هذا الزمن المقيت الّذي كانت ترزخ فيه الجزائر تحت نير العبودية، والظلم استحضر الطاهر وطار الزمن السعيد الّذي كانت فيه الجزائر دولة قوية يحسب لها ألف حساب فـ " طوال قرون، وفي حين كان الغرب كله، بدءا من مالطة إلى الولايات المتحدة الأمريكية يدفع الضرائب والغرامات والتعويضات والهبات والفدى للجزائر المحروسة كانت القلعة العظيمة توضع في الليل بين أيدي ...البساكرة يغلقون ويفتحون أبوابها... "[4].

ولعل السبب الكامن من وراء هذا الاستحضار هو ما ذهبت إليه الدكتورة لينة عوض في حديثها عن اتخاذ "بعض الجزائريين حيال الإحساس بالدونية أمام الغرب موقفا آخر يغيب الذات الجزائرية الحضارية في الماضي الّذي كانت فيه علاقات القوة مع الغرب مقلوبة.."[5]، والّتي يساهم استرجاعها في إزاحة ثقل مشاعر

([1])- الطاهر وطار :علم دولة الزعبطيطو : يوم مشيت في جنازتي ومشى الناس، مصدر سابق، ص45.
([2]) - الطاهر وطار : الشمعة والدهاليز، مصدر سابق، ص54.
([3])- الطاهر وطا ر: اللاز، مصدر سابق، ص 37 .
([4])- الطاهر وطار : تجربة في العشق ، مصدر سابق، ص474..
([5]) - لينة عوض: تجربة الطاهر وطار الروائية بين الأيديواوجيا وجماليات الرواية ، مصدر سابق، ص189.

الخضوع للغــرب. فهي –على حد قول بــول ريكــور– " أحداث ذات دلالة لأنّها ترى فيها أصلا لها وعودة إلى بدايتــها. وتستمد هذه الأحداث، الّتي يمــكن أن ندعوها (صانعة الحقبة) معناها من قدرتها على تأسيس أو تعزيز شعور الجماعة بهويتها"[1].

يُحمل الطاهر وطار الأجنبي التركي(يتصل بالدولة العثمانية) سبب تخلف الإنسان الجزائري كونهم هم "الّذين فرضوا عليه أن لا يتعدى مرحلة الإنسان المزارع، وبالتّالي أن يبقى محصورا في الريف، يفلح الأرض ويرعى القطعان، ولا يسمحون له بالتواجد في المدن، إلا بقدر ما يحتاجون من مهــمات معينة ، من خدمات يستتكفون هم كسادة من القيام بها، مثل السقاية وبعض الصناعات الخفيفة، والتجارات الضرورية لحياتهم مانعين شؤون التسيير والقيادة والإدارة "[2] عليهم، ما جعلهم غير مؤهلين بعد ذلك للتّسيير الإداري لحياتهم ،واكتفوا بما كانوا يمارسونه في العهد العثماني.

اشتمل الماضي القريب أيضا بالإضافة إلى الاحتلال الفرنسي للجزائر، والهند الصينية الاحتلال الأجنبي للأراضي العربية الممثل في الاحتلال الإسرائيلي لفلسطين والاحتلال الأمريكي للعراق، وذكر لبعض حروبها مثل"....حرب أربعة عشر – ثمانية عشر، إلى حرب الشام... "[3]، وبعضا اتفاقياتها ومبادئها كــ ".. مبادئ كامب ديفد واتفاقيات أوسلو، وخارطة الطريق، والخط الأخضر، اتفاقيات شرم الشيخ ... "[4].

بالإضافة إلى حروب لدول أوربية أخرى، كانت بعض الأراضي العربية والأجنبية

([1])- بول ريكور : الزمان والسرد ، ،ت سعيد الغانمي ،م جورج زيناتي، ط1، الجزء الثالث ، دار الكتاب الجديدة المتحدة ، 2006 ، ص281.
([2]) - الطاهر وطار: الشمعة والدهاليز، مصدر سابق، ص 22،23 .
([3])- المصدر نفسه ،ص54 .
([4])- الطاهر وطار : الولي الصالح يرفع يديه بالدعاء، مصدر سابق، ص39.

مسرحا لها مثل:" حروب الانقليز، حروب الألمان، حروب الروس، حروب الأمريكان حروب الهولنديين ، ..."[1] ، وكذا ذكر لجرائمه الشنيعة لّتي حفظها التاريخ كـــ " فاجعة هيروشيما."[2] التي أصابت اليابان في الحرب العالمية الثانية.

ب-الماضي البعيد:

يمتد الماضي البعيد في الخطاب السردي عند الطاهر وطار من زمن "الفيكينغ"[3] الّذين يمثلون الجنس الأجنبي الغازي في صورته البدائية، ليشمل بعد ذلك عمر الإسلام على الأرض أي ما يقارب " ..خمسة عشر قرنا.."[4] يتخلله أيضا زمن احتلال القدس وتخليصها من طرف "الصقالبة"[5].وحنين إلى زمن الانتصار يوم "..كنا ذات زمن مثل الفرنسيين في إسبانيا.. "[6].

أشار الطـــاهر وطار أيضا إلى زمن الاستعمار القديم الّذي تداول على استـــيطان الجزائر ممثلا في الاحتلال :" الفيـــنيقي، الروماني ، الوندالي"[7] ، وذكر لبعض مقاوميه مقاوميه

مثل " دونات القديس الثائر، أوغيستان القديس المحافظ"[8].

امتد الاحتـــلال الفينـــيقي للـــجزائر من (814ق-م/164ق.م). وقد كان وجوده في البـــدء وجـــودا سلميا، فرضـــه حرص الفيـــنيقيون على رعاية مصالحهم الخـــاصة (الاقتصادية) لكنه سرعان ما تغير وانقلب إلى مواجهات دامية، بعد الحروب الّتي نشبت

([1])- الطاهر وطار :علم دولة الزعبطيطو، يوم مشيت في جنازتي ومشى الناس، مصدر سابق، ص45.
([2])- الطاهر وطار : الولي الصالح يرفع يديه بالدعاء، مصدر سابق، ص 48.
([3])- الطاهر وطار :علم دولة الزعبطيطو، يوم مشيت في جنازتي ومشى الناس، مصدر سابق، ص 45 .
([4]) - الطاهر وطار : الولي الصالح يرفع يديه بالدعاء، مصدر سابق، ص 20.
([5]) - المصدر نفسه ،ص83.
([6])-الطاهر وطار: اللاز، مصدر سابق، ص 37.
([7])- الطاهر وطار : الشمعة والدهاليز، مصدر سابق، ص 71.
([8])-المصدر نفسه، ص 17.

مع الرومان وتحالف ماسينيسيا ضدهم ،وانتهى بسقوط قرطاجة سنة 146 وخضوع الجزائر للاحتلال الروماني الّذي امتد من (146ق.م/429م).وتميز هذا الأخير بفرض الهيمنة بالقوة والتّعذيب، والقتل ، والتّشريد، وقد كان دونات من بين المناهضين البارزين للاستعمار الروماني الّذي خلّفه فيما بعد الاستــعمار الوندالي الّذي امتدت فترة حكمــه من (429م/ 534م)"[1].

وعن موقف الإنسان الجزائري من هذا الأجنبي يقول الطاهر وطار أنه" بحكم موقعه على الساحل المتوسط، يستهلك حضارة ولا يصنع حضارة يأتيه الفينيقيون، يأتيه البيزنطيون يأتيه المسلمون، يأتيه الأتراك، يأتيه الإسبان، يأتيه الفرنسيون .وعادة ما يأخذ فقط ما يحتاج مما أتاه ويتمرد على الباقي... "[2].

وحتى وإن اختلفت صورة هذا الاستعمار،في العصر الحالي فإن ذلك لا يدرء وجهه الحقيقي الّذي افتضح أمره في الماضي، والّذي يعــيد الطاهر وطــار كشفه قائلا:" ..أستطيع تحديد أطوال الحبال المفتولة بشعور الفينيقيات ، وأرطال الملح الّتي زرعــها الرومان كي لا ينــبت زرع في أراضي قرطاج .....طبعا لست مؤرخا وعــذري أن أن هذه المعلومات عامة، ولا تحتاج، إلى مؤرخ، أو إلى تاريخ "[3].

إن أهداف المستعمِر حسب الطــاهر وطار واحــدة ولو اختبــأت وراء مسميات مختلفة فــ" من قتل الهندي في أمريكا... هو الّذي قلص عــدد الجزائريين من ســـــتة ملايين إلى ما يقل عن مليــون، وهو الّذي قتل في كامل إفريقيا والهند والهند الصينية ومازال يقتل، واليوم يريد أن يظهر بمظهر الإنسان المتباكي، وكل همّه أن يمــارس

([1])- ينظر ،صالح فركوس :المختصر في تاريخ الجزائر من عهد الفينيقين إلى خروج الفرنسيين (814.ق.م.1962م)، (د، ط)، دار العلوم للنشر والتوزيع، 2003/2002، ص14 إلى 35.

([2])- إميل حبيبي : الطاهر وطار، في حوار فكري ، مجلة التبيين ، العدد 11، 1997، ص 93.

([3])- الطاهر وطار :علم دولة الزعبطيطو، يوم مشيت في جنازتي ومشى الناس، مصدر سابق، ص 46 .

الامتصاص بشـــكل آخر"[1]. وهذه هي طبيعته الّتي حفظ التّاريخ تقاسيمها وأدرك مراميها

3-الحاضر:

الحاضر المتصل بالأجـــنبي هو حاضر تستبيح فيها جيـــوش هذه الدول أرض الأنا وتغشاها في مدّ أشبـــه بالحروب الصليبية، وحركات الانتـــداب من" .. الجيوش الفرنسية، الجيوش البريطانية، البرتغالية، الاسبانية، المنطقة تنغمر بالجيوش الساحة تمتلئ بالمسيحيين.تاريخ العرب تعاد صياغته"[2].زمن بلغ فيه تأثير الأجنبي على العربي عتوا كبيرا لدرجة أن ولى" فيه العرب والمسلمون جندا للمسحيين يحملون أسلحتهم ويلبســـون ألبستهم، ويروجون لعقائدهم "[3]، ومن هنا أصبح هذا الأخـــير" مبعث الخطر المهدد للعـــرب وللمـــسلمين، ولمدنهـــم وحياتهـــم"[4]، بعد أن حاز على التطـــور العلمي والتكنولوجي الّذي استطاع بفضله أن يسود العـــالم لأن" سلاح الســـيد في العصر الحاضر، هو الآلية"[5].

4- المستقبل المرتجى:

هو مستقبل يتمنى فيه الطاهر وطار أن تنقلب موازين القوى وتترجـــح فيه كفة العرب على الغرب فإذا كان "برومثيوس سرق النار"[6] حـــسب الأسطورة الإغريقية فـــإن الجـــزائري- حسب الطاهر وطار- " سرق القـــدرة...يتمكن الجزائري ... العبد الفقـــير، أنا الولهان منها (القدرة) ويروح يزرعها... شيئا فشـــيئا في الأجيال بواسطة

([1])- الطاهر وطار: الولي الصالح يرفع يديه بالدعاء، مصدر سابق، ص85.
([2])- المصدر نفسه ص18.
([3])- المصدر نفسه، ص 21.
([4]) - الطاهر وطار: الزلزال ، مصدر سابق، ص36.
([5]) -ا لطاهر وطار : الشمعة والدهاليز، مصر سابق ، ص 26 .
([6]) - الطاهر وطار : تجربة في العشق، نقلا عن لينة عوض، تجربة الطاهر وطار الروائية، ص68.

أرحام ألاف النساء.....بدت آب أفوس واحد وأربعة أجنة أنثـيان وذكران يغـادرون الأرحام في أربعة أشهر يخرجون واعيين بجميع أسرار الكون ينـطقون بكل لغات العالم، وثيقي الاتصال الكهربائي... بالأدب الجزائري وبالذات الكـهربية الكـونية تمتلئ الدنيا أرضا و كواكبا ونجوما بالجـنس الجزائري "[1].

ينطلق هذا المقبوس من نرجـسية ملحوظة للطاهر وطار في محاولته نسب جملة من الصّفات الايجابية للشخصية الجزائرية، وجعلها مرتكزا للأجناس البشرية الأخرى وهو ما عبرت عنه لينة عوض في قولها من أنّ " رغبة كل إنسان في سيادة من حوله هي الّتي تجعله يعرض خطابه على الآخرين محاولا بذلك إما إخضاعهم لوعيه، أو نفيهم خارج هذا الوعي (الخطاب المعرفي) أي ممارسة سلطتي الاحتواء والاستبعاد، فيجعل الذات مرجـعا تقـييميا تصبح هي المـركز وكل ما حولها يدور في فلـكها إما خاضعا لخدمتها، أو منبوذا أو خارجا عنها"[2].

ولم يتوقف الطاهر وطار عند هذا الحد، فبالإضافة إلى الجـينات الوراثية المـميزة يفتك الجزائري أيضا التـطور التكنـولوجي الّذي كان سمـة لصيقة بالغرب ويسـتغلها " ...في عزل الأجرام الفضائية الأمريكية عن الرؤية، وعن كل اتصال آخر.العملية سهلة، مع هذه اللعب بدائية الصنع. لفحها بإشعـاع مقتضب . يكفيها تعطيل أجهزتها وتركها تسبح عمياء صماء، وأصحابها من تحت يلحون عليها في طلب العون

و يستجدونها معطيات عن الوضع"[3].

([1])- الطاهر وطار : تجربة في العشق، نقلا عن لينة عوض، تجربة الطاهر وطار الروائية ،ص 68.
([2]) - لينة عوض : تجربة الطاهر وطار الروائية بين الأيديولوجية و جماليات الرواية، مرجع سابق، ص170.
([3]) -الطاهر وطار : تجربة في العشق، مصدر سابق، ص 69.

وبعد أن يـتدارك الغـرب هذا الخـطأ التـقنـي ويصلحونه ، وتـعود الرؤيـة يفاجئون بـ"،جحـافل الجيوش العربيـة والسوفياتية، والهـندية ،والباكـستانية وكـلّ الدول الإسلامية والاشتراكية، الّتي تزحف إلى فلسطين"[1] ما يعزّز ثقة الفلسطينيين بأنفسهم وهم يشاهدون هذا الجيش العظيم قادما لنصرتهم، وهو ما أفصح عنه البيان الّذي تلاه الصحافي قائلا:"ابتداء من الغد ولمدة أسبوع سيتم القضاء على الكيان الصهيوني وتوحيد فلسطين والأردن ولبنان من جهة، وسورية والعراق والأقاليم المجاورة من جهة أخرى، كأساس أولي للكونفيدرالية العربية التي ستنجز في آخر الأسبوع "[2].

في هذا الزمن أيضا، تصبح الولايات المتحدة الأمريكية والدول الغربية دولة متخلفة لا يحسب لها أي حساب، ولا تثير أسلحتها أي خوف فهي أسلحة عديمة الجدوى وسوف تقدم كـ" هدية لمتحف الأسلحة الكلاسيكية الكونفيدارلي"[3]، وبعد أن وضع الطاهر وطار حلا لمشكلة الاحتلال والعتاد العسكري وما شابهه من عتاد تقني.

بعد ذلك جاء دور الإنـسان فـ" تأتي بـعد لحظات قصيرة، الأطباق العملاقة لتحمل الجنود والضباط إلى المخابر العلاج حيـث تثار في أمـخاخهم خـلايا الإنسانية فتتغلب على خلايا الحيوانية ليتخذ الموت والقتل والدم والظلم والقـهر معانييه الحقـيقة في أذهانهم ويلتـحقوا بمستـوى الإنسـان المتحضر:الإنـسان المتـدرج باستمرار نحو الألوهية "[4].

([1]) – المصدر نفسه ، ص 70،72.
([2]) – المصدر نفسه ، ص72.
([3])- المصدر نفسه، ص73.
([4])- - الطاهر وطار : تجربة في العشق، مصدر سابق ، ص74 .

إنّ الحل الّذي قدمه الطاهر وطار لعلاج النّزعة العدائية لدى الجنود الغربيين أقل وطأة من سياسية هذه الدول القمعية الّتي تكاد لا تعرف سوى القتل، والإبادة حلا أوحد لمشاكلها المصطنعة. فيما اكتفى الطاهر وطار بمحاولة معالجتهم ليكونوا أهلا للحضارة الّتي طالما ادعوا أنهم ينتمون إليـــها ويمثلونها، وتحسبا لأي شر ضئيل يمكنه تغـــذية نزعة الاعتداء لديهم، يريدهم الطاهر وطار أن يصبحوا أقرب إلى الألوهية المنـــزهة عن الخطأ والزلل.

تعدى الطاهر وطار مجرد إثارة الخلايا الإنسانية في الجنس الأوربي إلى "إيقاظها"[1] بالنسبة لليـــهود العرب، لأنّهم ربما كانوا أداة للتحقيق المشروع الصهيوني في الأراضي الفلسطينية.

ردّ الطاهر وطار أيضا من وراء شخصية المستشار الشيوعي، سبق الحضارة للعرب وما الغرب في نظره سوى ناهب للمعارف" فأفكار نيتشه الّتي يعتد بها الغرب ليست في الحقيقة سوى إعادة صياغة لأفكار أبي علاء المعري، وهذه الحقيقة الّتي يسعى شاب جزائري إلى إثبات صحتها"[2]، والطاهر وطار في نزعته هذه –على حد قول لينة عوض– " لا يقل عن الغربي تعصبا وتمركزا في نظرية الذات والآخر"[3] حينما جعل هذا الأخير من نفسه محورا تدور من حوله كل الحضارات الإنسانية الأخرى.

يتمنى الطاهر وطار في المستقبل المرتجى أن " نُنهض هؤلاء المستكنيين الجهلة الأذلاء، ونبدأ من حيث بدأ العرب الأوائل نعيد الجهاد في سبيل الله، إلى ما كان عليه ونستأنف الفتوحات، نستعيد القسطنطينية، والمغرب والأندلس، ونصل هذه المرة موسكو

([1])- المصدر نفسه ،ص 76.
([2])- ينظر المصدر نفسه ، ص 76.
([3]) - لينة عوض : تجربة الطاهر وطار الروائية بين الأيديولوجية و جماليات الرواية، مرجع سابق، ص 189.

وباريس وكوبنهاغن، والهند والسند وكل العالم"[1].

احتكم الزمن الّذي ورد في الخطـــاب السردي عند الطـــاهر وطار – حسب بشير بويجرة إلى"زمنية شـــعبية يمتزج فيها المـــاضي بالحاضر، ويشـــرئب مـــنها الحاضر إلى المستقبل "[2] زمن وإن كان تاريخيا، فإن دافع استحـــضاره كان سيكولوجيا وذلك لبعث ماضي وتعليل حاضر وبـــناء مستـــقبل لما مابين الاثـــنين من اتصال وطيـــد.

إن التـــاريخ الإنساني– كما ذهـــب إليه محمـــود أمين العالم – " ليس مجرد حركة أو نقـــــلة في الزمان بل هو صيرورة من الوعي والإرادات والمصالح والثقافات الذاتية والجماعية المتصارعة والمتفاعلة والمتلاحقة مع صيرورة الطبيعة الإنسانية والطبـــيعة الخارجية المادية"[3]. فنظرة الأجنبي لنا، أو ونظرتنا له ليست ولـــيدة لحظة آنية بل هي ناتجة عن تراكمات زمنية.

استعار الطاهر وطار من التاريخ بعض أحداثه وضمنها في خـــطابه السردي، منها ماتعلق بالجزائر، ومنها ماتعلق بالعالمين العربي والغربي، وهو النّهج نفسه الّذي اتبعته الرواية المغاربية في بداية تأسيسها والّتي كانت" بحثا عن التاريخ وفيه"[4]، لأنّ ظـــهورها كان مواكبا لخـــضوع البلدان العربية للاحـــتلال.وحتى بعد نـــيل الاستقلال حافظت على وتيرة اتصالها بالتاريخ لبعث البطولات الماضية وشحذ الهوية الوطنية الّتي لا تستطيع على–حد قول بول ريكور–"أن تتمفصل إلا ضمن البعد الزمني للوجود

([1])- الطاهر وطار : الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي ،(د، ط)، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2004 ، ص57،58.

([2])- محمد بشير بويجرة : بنية الزمن في الخطاب الروائي الجزائري (1970-1980)، جماليات و إشكاليات الإبداع – الجزء الثاني، دار الغرب للنشر والتوزيع ،2001-2002 ، ص20.

([3])- محمود أمين العالم :الفكر العربي بين الخصوصية والكونية، ط2، دار المستقبل العربي ، 1988، ص16.

([4])- بن جمعة بوشوشة : مراجع الكتابة الروائية في المغرب العربي ، الآداب ، ع2، جامعة قسنطينة ، 1995 ، ص 186.

الإنساني"[1].كما أننا عندما نتذكر بدون انقطاع- حسب غاستون باشلار-" إنّــما نخلط الزمان غير المجدي وغير الفعال بالزمان الّذي أفاد وأعطى"[2].

هناك حنين إلى الزمن الّذي كان يشــهد فيه الــعرب تفــوقا على الغرب مــمثلا في سطوة الجــزائر في عهد الدايات، أو الوجود العربي في الأنــدلس، وكأن الطاهر وطار في بعثه لهذا الزمن" يساءل في تاريخه الوطني المخذول انتصار التّاريخ الّذي هزمه..."[3] وجــعله مســودا بعد أن كان سيدا، بالإضــافة إلى ذلك يمكن أن" يضــعنا الأســف على مناسبات، وفرص ضائعة أمام ثنائيات زمانية، فعندما نرغب في التّعبير عن ماضينا وفي إعلام الأخر بشخصنا، إنما يستحوذ الحنين إلى الأيام الّتي لم نستطع أن نعيــشها على عقلنا التاريخي ويهزه في العمق "[4].

إن تلك الأيام تحمل في طياتها علاجا لما هو الداء اليوم، لأن الإنسان-كما ذهب إليه زكريا إبراهيم – "هو وحده الموجود الّذي يستــخرج من الحاضر ما فيه، وينــتزع من الماضي أجمل ما انطوي عليه، لكي يعمل من أجل ذلك المستقبل، أي يريد خيــرا من الماضــي والحاضر على السواء"[5].

كان الحاضر الّذي يسيطر على زمامه الأجنبي بفضل تفوقه التقني، أثر في محاولة بناء مستقبل تنقلب فيه الموازيين في بنية تخيلية اتسعت لها إحدى روايات الطاهر وطار فالرواية – كما يذهــب إليه إبراهيم عــباس – " هي تاريخ متــخيل داخل التــاريخ

([1])- بول ريكور : الذات عينها كآخر، ترجمة وتقديم وتعليق د جورج زيناتي، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، تشرين الثاني (نوفمبر) ،2005 ، ص250. .

([2])- غاستون باشلار: جدلية الزمن ، ترجمة خليل أحمد خليل ، ط3، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1992، ص47 .

([3])- فيصل دراج : الرواية و تأويل التاريخ نظرية الرواية العربية ، ط1، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، 2004، ص 5.

([4])- غاستون باشلار: جدلية الزمن ،مرجع سابق ، ص48،49.

([5])- زكريا إبراهيم : مشكلة الحياة ، ط1، دار مصر للطباعة والنشر ، القاهرة ،1971، ص311.

الموضوعي"[1]. كما أنها في نهاية المطاف"لا يمكنها أن تصور الحقيقة التاريخية المطبقة بقدر ما تجسد موقفا ورؤية لهذا التاريخ، أي أننا نستطيع القول أن التاريخ يدخل النص الأدبي والرواية خصوصا من زاوية ورؤية إيديولوجية محددة، لدى المبدع نفسه أو الواقع العام"[2]. تبعا للهدف المرجو من ذلك، سواء أكان للأمر صلة بنقد السلبيات أو مناقشة الايجابيات والإشادة بها.

عبر الطاهر وطار بالاعتماد على التحفيز الواقعي عن جملة من الحوادث الّتي وقعت فعلا في الجزائر والعالم العربي بصفة عامة، وهو بهذا التّوظيف يلمس الوجه المادي للتّاريخ الّذي يمثل–على حد قول عفيف البهنسي–" قصّة الاستيلاء والاستلاب والهيمنة والتّدمير تحت عنوان التّقدّم والانتصار"[3].وهو ما أفصح عنه بالذكر، أو الإشارة لتواريخ الاستيطان، والاحتلال الأجنبي لدول عربية وأخرى أجنبية.

المبحث الرابع:التعابير الثقافية *:

1–الدين:

أ–الديانة المسيحية:

تختلف الطقوس الدينية من دين إلى آخر وتتباين شعائر أدائها، فالأسقف النصراني مثلا" يتلقى الاعتراف، ويعطي صكوك الغفران، يوافق على التوبة ويرفضها وعندما يشرع في ذلك يضع قلنسوة فوق رأسه بعد أن يغطي وجهه، فيما يركع المعترف أمامه[4]".ويلجأ هذا الأخير إلى الاعتراف احتذاء بتعاليم كتابه المقدس الّذي يحبذ هذا

([1])- إبراهيم عباس: تقنيات البنية السردية في الرواية المغاربية دراسة في بنية الشكل ، الطاهر وطار ، عبد الله العروي ، محمد لعروسي المطوي ،(د، ط)، منشورات أونيب ، 2002 ، ص97.

([2])- المرجع نفسه ، ص107 .

([3])- عفيف البهنسي : الهوية الثقافية بين العالمية والعولمة ، (د، ط) ، الهيئة العالمية السورية للكتاب ،2009 ،ص6.

(*)- اعتمدت في عنونة هذا العنصر على تعريف إدوارد تيلور للثقافة والتي قصد بها الكل المركب الذي يتضمن المعارف والعقائد والفنون والأخلاق والقوانين. ينظر جريدة الرياض، الأحد 29 من ذي الحجة الموافق ل29 يناير 2006، مؤسسة اليمامة الصحفية، العدد13733.

التصرف لنيل الغفران، باعتبار أنه ليس باستطاعة أي إنسان الاعتراف بخطاياه. بالإضافة إلى ذلك يرسم المسيحي" إشارة الصليب "[1] تكريما للميت، وتعظـيما للمسيح ابن مريم في اعتقاده.

وتؤدى الصلاة الأجـنبية- على حد قول الطـاهر وطار – جـماعة بحيث تختلط فيها "الأصوات الرجـالية الغليظة...مع الأصوات النـسائية الرقيقة مع الأصوات الصـبيانية اللطيفة.."[2].ولا أظن أن هذه الصورة تحتاج لتدليل إذ كثيرا ما تتضمنها الأعمال الفنية الأجنبية.

ب –الديانة الهندية:

أشارت دنيا زاد الهندية إلى تعدد الديانات في الهند فهناك "من يعبد القرد..ومن يعبد الجاموس ... وكذا من يعبد النار والثـعابين والإوز والغـربان"[3].

تمجد الأبقار في الهند(من طرف الهنـدوس) " تكريما للإله (شيقا) الّذي يعتبر إله الموت والخـلق، لذا تراها ترعى في كل مكان ولا تؤذي، وقد وصـل تقديسـهم لها لدرجـة اعتـبار بولها وروثهـا مقدسا يزيـل الدّنـس المـادي والخلقي"[4].

أم القرود فإنّها تمجد تكريما للإله (قشنو) إله الحفظ والحبّ والجمال، في حين تمجد النّار تكريـما للإله" أجني"[5]..

([4])- ينظر ،الطاهر وطار:العشق والموت في الزمن الحراشي ، مصدر سابق ، ص154، 155.
([1])- الطاهر وطار : اللاز ،مصدر سابق ، ص106.
([2])- الطاهر وطار :الولي الصالح يرفع يديه بالدعاء ، مصدر سابق ، ص47.
([3])- المصدر نفسه ، ص60.
([4])- ينظر كامل سعفان : معتقدات آسيوية (العراق –فارس- الهند- الصين- اليابان-) ، ط1 ، دار الندى 1419-1999، ص 167إلى 173.
([5])- المصدر نفسه ،ص167، 169،171.

من بين العقائد الّتي يؤمن بها الهندوس عقيدة التناسخ (تكرار المولد) والّتي ورد ذكرها على لسان عيسى بوعين حين صرح أنّ روحه، وروح دنـــيا زادا وجميلة"توائم في التناسخ "[1]، وتعني هذه الأخيرة "رجوع الروح بعد خروجها من الجسم إلى جسم آخر حسب الأعمال فروح الإنسان تنتقل من جسمه إلى جسم الحيوان والحشرات وبالعكس. من تعاليم البران* أنّ الإنسان إذا أخطأ هدف حياته وهو العبودية لله، فإن روحه تخـــتار أربعة وسبعين مائة ألف جسم من أجسام المواشي والطيور والحشرات ثم تنتقل إلى جسم الإنسان"[2].

من بين المعتقدات الهـــندية أيضا، الإيمان بالإله برهما الّذي يقول عنه الطاهر وطار في مذكراته أنه"شطر جسمه. وجعل شطرا في صورة رجل .وشطرا في صورة امرأة وخلق من تزاوجهما رجلا عظيما يدعوه الهنداكة برات"[3].ويعرفه محمد ضياء الأعظمي على أنّه"مخلوق خلقه برميشور من ماء التّكـــوين مع أنه روح الإله الأزلية في عقيدة الهنداك، وإليه ترجع الأرواح السفلية"[4].

إنّ المعلومات الّتي ساقها الطاهر وطار عن الديانات في الهند تفـــصح عن معـــرفة حـــقيقة ومعتـــبرة لهذا البلد، قد تأتت له ربما من خلال زيارته إليـــه وكذا من خـــلال إطـــلاعه على بعض الكتب الّتي تطرقت إليه ولديانته ككتاب مانو ستراي الّذي ذكرناه سابقا.

ج- الديانة اليهودية:

([1])- الطاهر وطار : العشق والموت في الزمن الحراشي ، مصدر سابق ، ص63.
(*)- هو كتاب مقدس إلى جانب كتاب الفيدا المقدس.
([2])- محمد ضياء الرحمن الأعظمي : دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند، ط2، مكتبة الرشيد،2003 ، ص620.
([3]) الطاهر وطار : العشق والموت في الزمن الحراشي ، المصدر نفسه ، ص22.
([4])- محمد ضياء الرحمن الأعظمي: دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند، مرجع سابق ، ص609.

ورد لها تلميحا مقتضبا لم يتعد ذكر" التوراة والأحبار "[1]. فالتّوراة بالمفهوم المفهوم الإسلامي هو كتاب الله الذي أنزله على سيدنا موسى الّذي أرسله إلى بني إسرائيل، أما مفهومه عند اليهود فهو كتابهم "المقدس ويتضمن تاريخهم وشرائعهم وعقائدهم، ويتألف من خمسة أسفار: سفر التّكوين، سفر الخروج، سفر العدد سفر اللاويين، سفر التثنية "[2]، ومعلوم أن التوراة الّتي هي بين أيدي اليهود مسّها الكثير من التّحريف، والتّغيير بما يتماشى وتطلعاتهم في بناء دولة إسرائيل والسمو بعرقهم اليهودي.

2-العادات والتقاليد:

أ-البيوت الأجنبية:

تتميز بيوت اليهود حسب ما ورد في الخطاب السردي عند الطاهر وطار " بالتقشف في الزخرفة، وبالتصاق ألواح النوافذ مع الجدار"[3]. ويعلّل الطاهر وطار ذلك بنزعة العزلة المتأصلة لديهم لذا فبيوتهم" واحدة في الشرق وفي الغرب، وفي الصحاري وفي التلول حتى لكأنما نزلت فيها آية بالتوراة، أو صدرت فيها تعليم من أحبارهم. إذ لم يكن كذلك، فيقين أنّها روح ونزعة اليقظة وعدم الثقة في الشعوب الّتي ينزلون بها والتلصّص عليها"[4].

أما البيوت الّتي يبنيها الفرنسيون فهي" بالاسمنت وليس بالطين"[5]. ولن تأخذ هذه الصورة موضعها الصحيح إلا إذا أدرجناها في تاريخها المستقاة منه، وهو تاريخ

([1])- ينظر الطاهر وطار: الزلزال، مصدر سابق، ص157.
([2])- ينظر محمد ضياء الرحمن الأعظمي: دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند ،مرجع سابق ، ص240.
([3])- الطاهر وطار: الزلزال، مصدر سابق ، ص 157، 158.
([4]) – المصدر نفسه ، ص 157، 158.
([5])-الطاهر وطار : اللاز، مصدر سابق ، ص 140.

الاحتلال الفرنسي للجزائر أين كانت معظم المباني الجزائرية مادتها الأساسية هي التراب.

ب- النظم الحياتية:

تختلف أنواع الأطعمة وطرق إعدادها وتناولها من بلد إلى آخر، فصينيون مثلا يتميزون بـ " إضافة السكر"[1] للطعام، ويأكل الأسيويون "الكلاب والقطط"[2].ولتناول الغذاء يستعمل الفرنسيون"الطاولة والمقاعد"[3]. كما يستخدمون" الملاعق والشوكات والصحون ومناديل الورق*"[4].

للحيوانات حظوة مميزة عند الأجانب فقد " ينام الكلب أو القط في فراش واحد مع صاحبه أو صاحبته عند الأوربيين"[5]. في حين لا يملك هذه المكانة في المجتمعات العربية بغض النظر عن حالة بعض مترفيها المقلدين للغرب.بالإضافة إلى ما سبق أيضا يستعمل الأجانب(الفرنسيون) "الورق"[6] في قضاء حاجتهم.

ج-الاحتفالات والأعياد:

من بين الاحتفالات الأجنبية " حفلات الرابع عشر من جويلية وعيد الميلاد ورأس السنة "[7].

3-التناص الأجنبي :

أ-التناص الأسطوري :

([1])- المصدر نفسه ، ص166.
([2])- الطاهر وطار :الولي الصالح يرفع يديه بالدعاء ، مصدر سابق ، ص55.
(*) أشرت إلى ذلك سابقا عندما تبع الأطفال الصغار الجندي الذي نزل بقريتهم .
([3])- الطاهر وطار: الشمعة والدهاليز، مصدر سابق ، ص ص22.
(*) نفس ما قلناه عن المباني ينطبق عند الحديث عن طرق الأكل.
([4])- الطاهر وطار: الشمعة والدهاليز ، مصدر سابق، ص191.
([5])-الطاهر وطار:الولي الصالح يرفع يديه بالدعاء، مصدر سابق، ص55.
([6])- الطاهر وطار :اللاز، مصدر سابق ، ص36.
([7])- الطاهر وطار: الشمعة والدهاليز ،مصدر سابق ، ص55.

نزع الطاهر وطار في خطابه السردي إلى الاستلهام من المعين الأسطوري الأجنبي، مغتنما ثقافته الواسعة في فتح أفاق أخرى لخطاباته الأدبية على عدة شخصيات أسطورية.

اجتمعت الأسطـــورة الهندية والإغريقية فـــي رواية العـــشق والمـــوت في الزمن الحراشي، بحيث تعلقت الأولى بشخصية (برهما) الّتي استمدها الطـــاهر وطـــار ربما من كتاب مانوا ستراي الّذي ذكره في إحدى حوارته*، بحيث يضم هذا الأخير مجموعة من القوانين الّتي وضعها مانوا ستراي الّذي يعتبر في المعتقدات الهندية "الأب الإلهي للجنس البشري، لذلك كشف له الإله برهما كل القوانين الّتي تنظم حياة الأفراد والمجتمع ويرجـــع تألـــيفه إلى سنـــة ألفين قبل المـــيلاد(200 ق-م)وألفـــين بعد المـــيلاد (200 ب-م)"[1].

أما الإله برهـــما فهو" التـــّجلي الأول للنّـــفس الكلية، ومن الإلـــه برهـــما خـــرج العالم "[2]، وعلى صحّة البدء هذه جعله الطاهر وطار يتجسد في كل شخصية تتبنى الفكر الاشتراكي، وهو ما يفهم من قول جميلة: " أحبهم جميعهم : برهما، اللاز، مراد الهواري عمي القاء"[3]، وعللّت لينة عوض هذا التواؤم بكون الطاهر وطار"يعتبر الفكر الاشتراكي هو الأصل الّذي يجب أن ترد إليه العقول البشرية،فهو الماء الأصل جدّ العالم كله والنّور الّذي يخلّص البـــشرية من الظلام"[4].لذا لا بدّ من تبـــنيه للوصول بالمـــجتمع الجزائري الجزائري

(1)- ألبير شويترر: فكر الهند (كبار مفكري الهند ومذاهبهم على مر العصور)،ت يوسف شلبي، ط1 ، دار طلاس للدارسات والترجمة والنشر،2003، ص143 .
(2)- المرجع نفسه ، ص137-138.
(3)- الطاهر وطار: العشق والموت في الزمن الحراشي ، مصدر سابق ، ص151.
(4)- لينة عوض : تجربة الطاهر وطار الروائية بين الأيديواوجيا وجماليات الرواية ، مرجع سابق ، ص 281.

إلى العدالة الاجتماعية.

أما الأسطورة الثانية فتتعلق بشخصية برومثيوس، بحيث ساوق الطاهر وطار بين عقاب شخصية زيدان (إعدامه من طرف الشيخ مسعود رئيس جبهة التّحرير لأنّه شيوعي)،و"عقاب الآلهة لبرومثيوس"[1]،بسب سرقته للنار المقدّسة وإعطائها للبشر فكلاهما كان يسعيان على قناعة تامة لهدف يضمن سعادة البشر، وهو ما يتجلى في قول برمثيوس:" أنقذت الإنسان من دمار محتم ينويه لهم زيوس واتخذت القرار بخطف النار لهم"[2] .أما زيدان فقد أثر التمسك بعقيدته الإيديولوجية وتقبل الموت أملا في ذيوع هذه الأخيرة ليتم إحلال التكافؤ الاجتماعي بين أفراد المجتمع الجزائري، وقد جسدا معا –على حد قول لينة عوض– فكرة "التضحية من أجل الخلاص والدفاع عن المبدأ والوجود "[3].

نلفى في قصة الحوات والقصر أيضا تلميحا لمشهد تعذيب برومثيوس، من طرف آلهة الأولمب مقدما على شكل اقتراح من طرف المتصوفين لعلي الحوات للانتقام من أعدائه الّذين ألحقوا الأذى به قائلين له:"ليس أفضل من ربط الأعداء بالأغلال والقيود، في رأس قمة للنسور، ليموتوا نهشا تارة من ألسنتهم، وتارة من فروجهم، وتارة من ألسنتهم وتارة من قلوبهم"[4].

بدت أسطورة برمثيوس أكثر حضورا في رواية تجربة في العشق حتّى أن الطاهر وطار يسترسل في سرد أحداثها بدءا "بمعاقبة برمثيوس من طرف الآلهة، وتسليط طيور الرّخ الّتي كانت تنهش من كبده نهارا لينمو له كبد آخر في الليل، لتستمر معاناته

([1])- الطاهر وطار :العشق والموت في الزمن الحراشي ، مصدر سابق ، ص187.
([2])- ينظر أسخيلوس :برمثيوس في الأغلال، (د، ط)،ت إسحاق عبيد ، مكتبة مدبولي ،1991، ص38 ،39.
([3])- لينة عوض، : تجربة الطاهر وطار الروائية بين الأيديواوجيا وجماليات الرواية ، مرجع سابق ، ص 284.
([4])- الطاهر وطار :الحوات والقصر، الأعمال الروائية ، المجلد الأول ، وزارة الثقافة،2010،، ص546

في اليوم الـــموالي ، وصولا إلى أرغـــيس صاحب الأعـــين المائـــتان وحراسته لإيـــوا حبيبة زيوس الّتي حوّلها إلى بقرة خوفا من زوجته هيرا "[1].

لقد جعل الطاهر وطار من شخصية المستشار الشيوعي بمجابهة الوزارة تتوهم نفسها برمثيوس بمجابهة زيوس.وهو بهذا التّرميز الأسطوري ترك لها حرية قول ما تشاء فالتنكر–كما ذهب إليه علي خفيف– "يظهر جليا باستخدام الرمز الّذي يغطي الحقيقة لأنّ المبدع يكشف أشياء برزت في عـــصره، فيـــلفه بهالة من الغموض والتّستر

لكي يـــسلم من بطش السلطة أو عنف المجتمع "[2].

في مقام آخر من نفس الرواية، يهب الطاهر وطار للجزائري قوة عظيمة تضاهي قدرة برمثيوس،فإنّ كان هذا الأخير" سرق النار"[3]،فإنّ الجزائري "سرق القدرة"[4] وبفضلها استطاع هذا الأخـــير قلب موازيين القوى في العالم كما وضحت ذلك سابقا في عنصر الزمن.

حددت جوليا كريـــستيفا في كتـــابها علـــم النّـــص ثلاث أشكـــال من التّناص أطلقت على الأول تسمية " النّفي الكلي وفيه يكون المقطع الدخيل منفياً كلياً ومعنى النص المرجعي مقلوباً، والشكل الثاني هو النفي المتوازي وفيه يبقى المعنى المنطقي للمقطعين هو نفسه، والشـــكل الأخـــير هو النـــفي الجزئي وفيه يكون جزءاً واحداً من النـــّص المرجعي مقلـــوباً"[5].وعلى أساس هذا التّصنيف نلمح في الخطاب السردي عند الطـــاهر

([1])- ينظر الطاهر وطار: تجربة في العشق، الأعمال الروائية ،مصدر سابق، ص465 إلى 478.
([2])- علي خفيف : أشكال التناص الأسطوري عند الطاهر وطار، هكذا تكلم الطاهر وطار، ج علي ملاحي ، المجلد الأول، مرجع سابق، ص324.
([3])- ينظر الطاهر وطار :تجربة في العشق، نقلا عن لينة عوض، مصدر سابق، ص68.
([4])-المصدر نفسه، ص68.
([5])- ينظر جوليا كريستيفا : علم النص ، مرجع سابق، ص.78

وطار بعض أشكال هذا التناص وبالأخص ما يتوافــق مع الشــكل الثــاني، من خــلال عناوين بعض فصول رواية تــجربة في العشق:الأغــلال توجع برمثيوس، برمــثيوس يتــحرر من الأغلال.

وفي مواضع أخرى يكتفي الطاهر وطار بمجرد التّلميح إلى شخصيات أسطورية أخرى عن طريق ذكر أسمائها فقط كشخصية" إيزيس"[1]الّتي وردت منعزلة في سياق الأغنية الّتي كان يرددها الضابط بول. وشخصية بينيلوب الّتي كانت "تسكن خيال الأستاذ الجامعي الّذي كان يحب جميلة"[2] وكذا الإشارة إلى سحر" الجنيات لأوديس"[3] في سياق التلميــح إلى السير في المصير المحتوم الّذي كان زيدان يعي نهايته تماما، كما كان أوديس يعي مصيره ويعتبره قدرا إلهيا لا سبيل إلى تغييره .

بالإضــافة إلى الأبعاد الجمالية الّتي تضفــيها الأسطورة الأجــنبية على الخــطاب السردي الموظفة به، فإنها تكشف أيضا عن بعض خصائص تفكير هذا الأجنبي كون هذه الأخيرة ترتبط"دائما ببداية الإنسان، أو ببدائية البشر، حيث كانوا يمارسون السحر ويؤدون طقوسهم الدينية، الّتي كانت فيما يقال سعيا فكريا لتفسير ظواهر الطبيعة "[4] وعلى الــرغم من أن الأسطــورة الغربية لا تختلــف كثيرا في منطــلقاتها الغــيبية عن الأسطورة العربية لأن العــقل البــشري عامّة مرّ بمــراحل متدرجة واحــدة في رحلة البــحث عن الحقيــقة إلا أنّ الطقوس المتبعة في رحلة البحث تلك اختلفت من مجتمع إلى آخر.

([1])- الطاهر وطار:اللاز،مصدر سابق ،ص 80.
([2])- الطاهر وطار : العشق والموت في الزمن الحراشي ،مصدر سابق، ص182.
([3])- المصدر نفسه ، ص187.
([4])- أحمد كمال زكي : الأساطير، ط1، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2002، ص9.

تكشف الأسطورة أيضا حسب أليكسي لوسيف عن "واقع ثقافي معــبر عنه رمزيا منفصل ذاتيموضوعيا، يبرز أمامنا كعلاقة متبادلة بين الذات والموضوع، علاقة ما قبل انعكاسية فطريعفوية"[1]، بحيث يحــوم الواقع الثــقافي المعبّر عنه في الأسطورة حول" حقل هام من المعاني، يشترك فيه الديانة، والفولكلور، وعلم الإنسان، وعلم الاجتماع والتــحليل النفــسي، والفنون الجميلة "[2].وهو ما تتتبعه دراسة صورة الأدبية المقارنة باعتبار أنّ" الصورة فعل ثقــافة وممارسة إناسية (متعلقة بالإنــسان) للتعبير عن الهوية والغيرية في الوقت نفسه... "[3]،فعندما يختار شعب ما مجموعة من المقومات الاجتماعية والنفسية تمثله دون غيره من الشعوب الأخرى فهو بذلك يرسم لنفسه صورة تحدد هويته المختلفة عن الآخر.

ب-التناص الأدبي:

استعار الطاهر وطار في خطابه السردي جملة من النصوص الأدبية (النثرية والشعرية) الّتي تواشجت، وامتزجت مع النّص الأصلي مفضية إلى دلالات مختلفة تبعا للسياق الّذي وردت به.

فنراه أحيانا يستدعي شخصيات مسرحية وقصصية وروائية أجنبية، مثلما هو الأمر مع الضابط الشاذ الّذي راح يردد في نــفسه بعد مقتل أحد جــنوده:" أطلق النار يا هاملت اضــغط على الزناد، يا طالب كلية الآداب، امخر هذا الصدر المدجج بالنياشين الفرنسية أيها القبطان الفرنسي المحارب في أخطر منــطقة.صدع هذه الجبهة البليدة لهذا

([1])-أليكسي لوسيف: فلسفة الأسطورة ، ت منذر بدر حلوم، ط1 ، دار الحوار للنشر والتوزيع،2000 ،ص131.

([2])- رينيه ويليك ، أوستن وارين :نظرية الأدب ، ت محي الدين صبحي ،م حسام الخطيب،ط2 ، المؤسسة العربية للدارسات والنشر، بيروت 1981، ص198.

([3])-دانييل هنري باجو :الأدب العام المقارن ، مرجع سابق ، ص93.

الشاب الريفي العربي.أيها الفرنسي المخدوع المهان.يا هاملت هيا هاملت"[1].

توهم الضابط تحت طائل عجزه وتردده في نيل من اللاز على أنّه هاملت بطل مسرحية شكسبير الّذي كانت تعذبه حقيقة قتل عمه لأبـــيه وزواجه من أمه، بحيث كان موقـــفه في البداية سلبيا لم يتعدى نطاق المنجاة والعتاب النفسي ومحاولة تحفيز نفسه للانتقام وهو ما يـــدل عليه المقبـــوس التالي:" اثأر يا همـــلت اثأر لمن خـــان الدم وطـــعن في الظهر ..."[2].

طابق الطاهر وطار حالة الترقب عند أحد أبطال خطابه السردي بحالة ترقب بطلة رواية (الأم) لغوركي(لم يذكر اسم البطلة*) الّتي تعتبر من أولى الراويات الّتي روجت للشيوعية، ونستخلص ذلك من المقبوس التّالي "خيل لي أنك بطل تلك القصة وتصورتك في اجتماعات سرية داخل الكهوف .كما استعدت منظر القطار. وهو يقل حبيبته البطلة بحقيبة المناشير.... "[3].

وفي مواضع أخرى اكتفى الطاهر وطار باستدعاء جملة أو جملتين من أعمال روائية أو مسرحية مسايرة لمواقف شخصياته كـــ "....تنبؤ العرافات لماكبث.. "[4] بطل مسرحية شكسبير الّتي تحمل اسمه، عندما اعترضت العرفات طريقه مع صديقه بانكو "ونبأتهما بمصيرهما في المستقبل"[5].

وكذا ما ورد على لســـان إحـــدى الشخـــصيات بتشبيه إحساس جميلة نحو خطيبها

([1])- الطاهر وطار : اللاز، مصدر سابق ، ص106.
(*) اسمها بيلاغي.

[2]w.shakespare): Hamlet:maktabth ،dar wa Macbeth al hilal، dar al Bihar ،Beirut Lebanon . .2005.p89

([3])- الطاهر وطار :الرسالة، الطعنات ، مصدر سابق، ص 104.
([4])- الطاهر وطار: اللاز ،مصدر سابق ، ص 89.
([5]) -w.shakespare:maktabth ،dar wa Macbeth al hilal، dar al Bihar ،Beirut، Lebanon 2005.p34

بذلك"الوهم الذي كان يعذب ضمير عطيل..."[1]، ويقــصد بالوهم دوامة الشك الّتـــي كان يتخبط فيها عطــيل بخصوص خيانة زوجته "فمرة يظــنها شريفة ومرة أخرى يظــن عكس ذلك"[2].

انتقد الطاهر وطار سير بعض الأعمال الروائية الأجنبية من خلال إيراده لبعض شخصياتها، كتساؤله عن لسان القبطان الاسباني عن سبب تصوير همنجواي لــروبيرتو " وهو الأمريكي متحــمسا حتى أخر لحظة، بيــنما أظهر معظم الأبطال الاســبانيين في مظهر اليأس وانهيار المعنويات"[3]، على الرغم من أنّ هذه الرواية تعالج الحرب الأهلية الاسبانية، والأحرى أن يكون أهلها أولى من الغريب بافتكاك شعلة الحماسة والشجاعة.

تساءل الطاهر وطار عن مغزى فرانــسوا مورياك من شخصيته تيريز دي كيرو وهي الّتي "...، استأنفت حياتها بعد الانهزام، عاهرة عديمة القلــب محطمة...مع ما في ذلك من لمسات فنية بارعة، فإنه خال، من أية موضوعية أو روح علمانية..الأمم

لا تتحطم..."[4].

تعتبر رواية تيريز دي كيرو من أهم راويات فرنسوا مورياك الذي كانت تجمعه صحبة مع الجنرال ديغول.

([1])- الطاهر وطار : العشق والموت في الزمن الحراشي ، مصدر سابق ، ص19.

([2]) -(w.shakespare-: .othello :dar wa Macbeth al hilal، dar al Bihar ،Beirut، Lebanon، 2005،p36

([3])- الطاهر وطار: اللاز، مصدر سابق ، ص 199.

([4])- المصدر نفسه ، ص135.

تدور أحداث هذه الرواية حول تيرز التي حاولت قتل زوجها بعد تعرفها على شاب آخر غذى نزعتها الراديكالية العلمانية، لكن خطتها تبوء بالفشل وتتابع قضائيا، لتبرأ في الأخيـــر من طرف زوجها الذي يمنحها الحرية التي كانت تنـــشدها، وعلى الرغم

من حصولها على مبتغاها إلا أم مأساتها في نفسها لم تنتهي بسبب فقدانها لصفائها الداخلي..

كذلك هو الأمر بالنسبة لأندري مالرو في روايته(قدر الإنسان)، فماي بطلة هذه الرواية كانت "..... طبـــيبة ثورية مع أنـــّها تحب كيو زوجها، فإنـــها لا ترى مانعا من إخباره بأنها منذ ساعة انتهت، من مضـــاجعة أحد الأصدقاء"[1].

من بين أنماط التّناص الموجودة في الخطاب السردي عند الطاهر وطار أيضا استعارته لبعض النصوص الشعرية الأجنبـــية استعارة صريحة إما بذكر صاحبها مباشرة، أو بالإشارة إليه في الهامش، نـــذكر على سبيل المثال مقطع لبابلو نيرودا يقول فيه:

وداعا أيها الرفيق الشقي، قاطع الطرق..

الساعة تقترب .نهايتك نيرة تجللها الظلمات.

واضح انك لا تعرف ، مثل النيزك ، الطريق التي لاحظ فيها.

ومعروف انك انحرفت بفعل الغضب المسعور، مثل زوبعة متفردة.

لكنني هنا، أعنيك لأنك قطفت، حبة حبة، عنقود الغضب.

([1])- الطاهر وطار : العشق والموت في الزمن الحراشي ، مصدر سابق، ص30.

والفجر يقترب.

الساعة تــقترب، حين لا يبــقى مجال في العلم للنــزق والغضب ولن يكــون وعدك شبحا خفيا..."[1]

و أيضا: " نهايتــك نيرة تحــللها الظــلمات "[2] و " اصمت أيها البحر ، وليــصل زبدك في صمت"[3]. وقد طغى على هذه النصوص الطابع التشاؤمي، ولعل الطاهر وطار كان يهدف من خلالها إلى إظهار عبثية الواقع ،باعتماد على التلميح بدل التقرير والتّصريح عن مقاصد هذا التوظيف.

ج-التناص الإيديولوجي والفلسفي :

نلفى في الخطاب السردي عند الطاهر وطار تناصا ايدولوجيا يتماشى وانتسابه الشيوعي، منها مقطع للنشيد الأممي الشيوعي هذا هو نصه :

انهضوا معذبي الأرض

هبوا أيها المحكوم عليكم بالجوع

فالحق يدمدم في فوهات بركانية

إنها حمّم النهاية[4]

وكذا استعارته لبعض المفاهيم والمبادئ الشيوعية ومحاولة قولبتها ووضعها في خط مواز للطعن في بعض الأفكار الّتي يرفضها، كالمقبوس الّذي أورده على لسان كارل ماركس"أولا أن ما يجري هو أحد مظاهر إفلاس البرجوازية في أن تنجز التحول الطبقي إما إلى الاشتراكية، وإما إلى الرأسمالية.ثم سيضيف إنّه حيثما وجد شباب وعمال

([1]) المصدر نفسه ، ص 219.

([2])- الطاهر وطار : العشق والموت في الزمن الحراشي ، مصدر سابق ، ص50.

([3])- المصدر نفسه، ص 56.

([4])- الطاهر وطار: اللاز ، مصدر سابق، ص36.

فهناك تطلع إلى التغيير، وعلى المناضل أن يجعل نصب عينيه اكتشاف إمكانية جعل هذا التّــغيير لصالح طبقية"[1].وإشارته الضمنية لكتاب فلاديمير لينن"خطوة إلى الأمام خطوتان إلى الوراء"[2].

امتزجت الإيــديولوجية بالفلسفة في مقولة كارل ماكس الّتي أوردها الطاهر وطار والّتي يقول فيه: "كان المنطق عند هيغل يقف على رأسه فجعلته يقــف على رجليه "[3].

هاج كارل ماكس فلسفة هيغل المثالية وأعاد النظر في بعض المفاهيم ف" قد كان هيغل يبدأ الجدل من الفكرة ويجعل الواقع نتاجا لها ، أما ماركس فبدأ الجدال من الواقع المادي وجعل الفكرة نتاج الواقع المادي "[4]

في حين نلمح إشارة للكوجيتو الديكارتي(أنا أفكر إذن فأنا موجــود) في موضـــع أخر يفصح عنه المقبوس التّالي " حينئذ نسمح في العقل أسمح في نفسي، أفترض كل يوم أني غير موجود "[5].

استعار الــطاهر وطار جملة من الأساطير، والنصــوص الأدبية والأيــديولوجية والفلسفية وضمنها في خــطابه السردي تحت طائل مواقف مختلفة دون أن تمس البناء الروائي بالتفكك، بل أنها انسجمت مع النص الأصلي مفضية إلى معاني جديدة.واستعارته لهذه النصوص لا يبخس من قدره، أو قدر نصوصه شيئا لأن التناصية -على حد قول محمد خير البقاعي- قدر كل نص، مهما كان جنسه "[6].

يذهب جمال مباركي إلى القول بأن " الغرب الّذي يحضر في حياة العرب كنمــط

([1])- الطاهر وطار الشمعة والدهاليز ، مصدر سابق ، ص 140،141.
([2])- الطاهر وطار: العشق والموت في الزمن الحراشي ، مصدر سابق، ص 141.
([3])- الطاهر وطار:الشمعة والدهاليز، مصدر سابق، ص 14.
([4])- سماح رافع محمد: المذاهب الفلسفية المعاصرة، ط1، مكتبة مدبولي ، 1973 ، ص36.
([5]) الطاهر وطار:الشمعة والدهاليز، مصدر سابق ، ص145
([6])- محمد خير البقاعي : دراسات في النص والتناصية، ط1، مركز الإنماء الحضاري ، حلب، 1998،ص38.

للتّحديث ونموذج للتقدم، يحضر في ديوان حياتهم الحديث(الرواية) على شكل بنيات صغرى داخل البنية الكبرى للنص الروائي، يحقق من خلاله الروائي العربي الانسجام مع النص البنائي والرؤيوي، وبذلك تفرض النصوص الغربية بشـــتى أنواعها هيمنتها على النصوص الروائية العربية "[1].وإن كنت أتحفظ على جملته الأخيرة الخاصة بهيمنة النّصوص الغربية على النصوص العربية وأجدها لا تمثل المثاقفة الحقة الّتي تقتضي الاختيار الطوعي .

حظيت الأسطورة الإغريقية والهندية باهتمام الطاهر وطار، بالإضافة إلى الأعمال الأدبية التي انتقدت البرجوازية، في حين تعالت النزعة الإيديولوجية الشيوعية في باقي النصوص وهو ما يتمشى وانتماءه الأيديولوجي فـــ" شخصيات فرنسوا مورياك المنحلة وأبطال همنجواي الثـــوار شواهد على الثـــقافة الغربية التـــقدمية "[2].كـــما وجدت بعض الترميزات الفلسفية مكانا لها أيضا بين نصوصه.

([1])- جمال مباركي : الغرب في الرواية العربية، مرجع سابق، ص 414.

([2])- جاكلين الزعيم : اللاز لبنة في صرح الرواية الجزائرية المعاصرة ، المعرفة، العدد 180، وزارة الثقافة ، نيسان ابريل ،1976 ، ص 160.

الخـــــاتـــــمة

الخاتـــــــــــمـــــــــــــة

إن نقطة النّهاية لأي بحث، لا تعني بتاتا استنفاذ القول فيه، فالأسئلة تظل تطرح وباب الاجتهاد يظل مفتوحا يرحب بالوالج إليه بكلتا يديه، وموضوعي هذا الذي حاولت أن أدلي بدلو فيه، موضوع شائك قلبا وقالبا، فأدب الطاهر وطار ليس بالسهولة الّتي يبدو عليها لأول وهلة.بل تتطلب عملية صبر أغواره حس نقدي رصين وتتبع دقيق لكل مفردة، وكل فـــكرة لدرجة الإعياء من مجارات ثقافتـــه الموسوعية، وإلقاء القـــبض على معانيه الخفية.وفيما يلي سوف أحاول تلخيص أهمّ ما استطعت الوصول إليه بعد مجابهتي لتلك النّصوص.

توصلت في الفصل الأول إلى أن دراسة الصورة الأدبية المقارنة تستنطق صور الأفراد، والجماعات في آداب الأمم المختلفة، وهي صور احتكمت في جلها إلى الميثات والكليشهات الجاهزة، ما جعلها تتمرد على الحقيقة وتتوه عنها، وتسعى دراسة الصورة الأدبية المقارنة إرجاعها إلى جادة صوابها.

لقد كان لهذا النوع من الدراسة الأدبية باع معتبر ضمن الدارسات الأدبية النقدية الجـــزائرية، مثلته على وجه الخصوص عناوين فرعية، وأخرى مســـتقلة، كما أسهـــم في إثراء هذا المجال أيضا بعض الدارسات العلّمية الأكاديمية تحت مسمّيات متباينة.

إنّ صورة الجزائـــر التّي احتـــوتها آداب بعض الأمم الأخـــرى، والّتي تطّـــرق إلى ذكرها بعـــض الباحـــثين الجزائريين، أو قاموا بترجمتـــها، توفر أرضية خصبة

لهذا النّــوع من الدراسة الأدبية. يدعمها أيضا توفر الأدب الجزائري على حضور معتبر لشخصيات أجنبية ذات انتماءات مختلفة.

استند الطاهر وطار في بناء شخصياته الأجنبية وعوالمها المعجمية، والمكانية والزمانية، وثقافتــها إلى مرجعيات عديدة منها ماله صلة بتــجربة شخصــية كامنــة في معايشة واقعية للاحتلال الفرنسي للجزائر، وأخرى ذات صلة بمشاهدة عينية مستقاة من وسائل الإعلام للاحتلال الأجنبي للأراضي العربية، بالإضافة إلى سماعه، وقراءته لبعض أخباره من مصادر متفــرقة: (جدته . كتب: تاريخية ، سياسية ، أدبية، دينية).

كما كان لزيارته ورحلاته إلى بلدان أجنبية متعددة صدى واضح في رفد صورته عن الأجنــبي من خلال تأثره، واحتكاكه بشخصــيات حقيقية، واطلاعه عن قــرب على منظومته الثقافية الّتي انعكست بشكل جلّي في خطابه السردي.

توصلت في الفصل الثاني إلى أنّ :الظلم، والاعتداء ،والقسوة، والانتهاك، والشذوذ هي أهمّ الصّفات الّتي طبعت الشخصيات الأجنبية الذكورية العسكرية، والّتي مثلتها شخصيات تنتمي في أصولها إلى دول استعمارية مثل: فرنسا وأمريكا، ورغم ما تمتعت به هذه الشخصيات من سطوة ونفوذ ، إلا أنها بمجابهة شخصيات الأنا الجزائري لا تعدو سوى شخصــيات جبانة متهورة غبيــة تسقط صــريعة دون مقاومة، أو صراخ إلا ما ندر منها.

لا تختلف الشــخصيات الأجنبية السياسية عن الشخصيات العسكرية كثيرا خاصة في انتمائها لدول استعمارية، غير أنّها كانت حذرة في البعض منها في إبداء العداوة

للعرب، وفضلت التّحلي بنوع من اللباقة، في حين فضل البعض الآخر الجهر بمشاعر الكره، والحقد الّتي كانت تعتريه.

تباينت الشخصيات المدنية تباينا عرقيا، وكذلك هو الأمر بالنسبة لموقفها وحضورها الّذي كان في أغلبه حضورا هامشيا، منها من صاحب الاحتلال وأبدا من التسامح واللّطف ما سلب فؤاد الأنا وحجب الوجه القبيح لهذا المستعمِر، ومنها من كان أداة طيعة بيده يحيك بها قوانين على مقاس شخصـــيات الأنا، ومنها من كانت معمّرة أو مستوطنة سبقت الاحتلال، أو عاصرته، أو صديقة، أو عاملة بالأراضي العربية.

أما في الفصل الثالث فقد توصلت إلى أن المرأة الأجنبية في الخطاب السردي عند الطاهر وطار هي امرأة مثقفة عاملة، متفهمة في البعض منها، ومتعصّبة في البعض الآخر ترتقي بشخصيات الأنا الجزائري في بعضها، وتحاول أن تهوي بها إلى الدرك الأســفل من الانحطاط والانغماس في الملذات في البعض الآخر. كما أن الأنثى الّتي تتقلد منصب سياسي امرأة سافرة حقودة.

لقد استطاع الطاهر وطار من خلال تصويره للمرأة الأجنبية تجنب الأيروسية الشرقية الّتي نكلت بالمرأة الأجــنبية وجعلتها مرادفا للفســق والعهر، واتخذتها جسرا للانتقــام من الأجنبي الاستعماري أو الغرب كــكل، وبالتّالي لم تعكس إلا ظلالا قاتمة من حقيقتها الكائنة.على خلاف ذلك جعلها الطاهر وطار: أما، وزوجة ،وحبيبة. وإنّ وردت بعض الشخصيات السافرة في خطابه السردي، فإنّه لا يعدّ تشويهًا لأنّ تلك هي حالتها بين كل شعوب، وثقافات العالم بأسره مثل صورة العاهرة.

توصلت في الفصل الرابع إلى أنّ الأجنبي تشكل أيضا لغويا في الخطاب السردي عند الطاهر وطار، بواسطة سلسلة من المفردات الّتي وردت بلغة الأنا، وبلغة هذا الأجنبي، نتج عنها حقول دلالية متباينة. دلّت الأولى على مجموعة من الصّفات والأفعال الّتي تبرز وحشية، وجبروت هذا المستعمِر، وكذا اختلافه العقائدي، وتذمر المستعمَر منه، و انبهاره به. في حين دلّت الثانية على تسميات لرتبه العسكرية، وبعض مفاهيمه العامّة، وتسميات لأكله، وشربه، وملابسه، وعملاته، وفنونه ما يؤكد حقيقة الاستلاب.

اقترن المكان الّذي ضمّ الشخصيات الأجنبية بأماكن مغلقة، وأخرى مفتوحة تجسدت الأولى في الغالب على أرض الوطن، وفيها كان هذا الأخير(أي الأجنبي) يلقى فيها مصيرا مأسويا، وتنتصر فيها شخصيات الأنا الجزائري.أما الفضاء المكاني الكائن خارج الوطن فيمكن أن نعبّر عنه بالتقاطبات التالية: الفضاء الأجنبي/ النفي، الفضاء الأجنبي / اللاعودة، الفضاء الأجنبي /الحرية، الفضاء الأجنبي/الرقي، الفضاء الأجنبي/ الاستلاب الفضاء الأجنبي/بلاد الحبيبة، الفضاء الأجنبي/التمييز العنصري، الفضاء الأجنبي/ الاستمتاع بالملذات .

تدّخل الطاهر وطار في بعض هذه الأفضية وفرض تنظيما جديدا كالفضاء الإسرائيلي بحيث استّرد هذا الفضاء العربي المسلوب، وأدان أخرى كالفضاء الأميركي وانتسب لبعضها كفضاء الاتحاد السوفياتي سابقا الّذي بدا فضاء منسجما .

تراوح الزمن الّذي لفّ حضور هذا الأجنبي بين ماض كشف فيه الطاهر وطار وجهه القبيح، والّذي يكاد أن يكون مستعمِر ومنتهك للشعوب بالفطرة، وحاضر مازال

فيه هذا الأجنبي يطأ فيه أرض الأنا، أما المستقبل فقد ورد في صيغة إيهامية بواسطة طريقة هذايانية تنشد الوصول إلى التطور العلمي، والتكنولوجي والفكري، والاجتماعي لهذا الأجنبي مما يتيح للعالم العربي أخذ مكانته الحضارية.

ورد في الخطاب السردي عند الطاهر وطار، جملة من الإشارات الخصبة لديانات وتقاليد أجنبية دون أن يتم التّركيز على إبراز الناحية الجامدة فيها، أو الاتكاء عليها لانتقاده، بل لعلنا لا نغالي إن قلنا أنّها مبنية على كثير من التّفهم, والاحترام لمعتقدات الآخر الأجنبي .

حضر الأجنبي كذلك كبنية صغرى-على حد قول جمال مباركي- في الخطاب السردي عند الطاهر وطار من خلال مقاطع، وأفكار منتقاة لأدباء، وفلاسفة وكبار المنظرين السياسيين الأجانب بحيث حافظ على صيغتها وهمش لها في بعضها، وتصّرف في البعض الآخر.كما استعان ببعض الأساطير الأجنبية.

كان عدد الشخصيات الذكورية أكثر من عدد الشخصيات الأنثوية، وكان انتقاده للأنثى الأجنبية أقل حدّة من انتقاده للذكر الأجنبي. ولقد شكلت الشخصيات ذات الانتماء الإيديولوجي الشيوعي ثيمة مستقلة عن باقي الشخصيات الأخرى بحيث وسمت وسما ايجابيا مهما كانت أصول انتمائها.

تمتعت بعض الشخصيات الأجنبية في الخطاب السردي عند الطاهر وطار بوصف نفسي ومورفولوجي، ومنحها أسماء، فيما اكتفى في مخاطبة البعض الآخر على أساس

مهـــنتها: كالقبـــــطان ،المدير، القيم العام، الصـــحفي ،الناطقة الرســـمية أو مخاطبتها عن طريق جنسيتها: كالجورجي ، والألماني، العجوز الاسبانية، الفتاة اليهودية.

وابتعد عن مخاطـــبتها على الأساس الدينـــي(المسيحي- اللاهوتي) إلاّ في بعض الإشارات العامة، وكذلك هو الأمر بالنسبة للأساس الإقليمي الجغرافي (شرق/ غرب). كما أنه ابتعد عن التّعميم، والتّجريد، والاختزال تجسيدا لحقيقة الاختلاف.

تراوح الأسلوب الّذي عرضت به هذه الشـــخصيات بين السرد التّـــقريري تارة والسرد الشاعري تارة أخرى، مع طغيان الأسلوب الأول، في حين انحصر الأسلوب الثاني بشخصية أولغا ووصف بعض أماكن الاتحاد السوفياتي، كما كان للوصف والحوار نصيب أيضا في تقـــديم الشخصيات الأجنبية الّتي كانت كلها شخصيات ثانوية تـــدور في فلك شخصيات رئيسية جزائرية .

تأرجحت العلاقة الّتي جمعت بين الشخصيات الأجنبي(الذكورية والأنثوية) والشخصيات الجزائرية بين العداء المستحكم، والحوار الّذي يمنح الفرصة للمشاركة الإنسانية، ففي الوقت الّذي بدا من شبه المستحيل تخطي بعض الشخصيات للعلاقة الأولى(الشخصيات: العسكرية، الســـياسية، كونداليا رايس). غدت علاقـــة الفـــصل في البعض الآخر إلى علاقة وصل (الضابط بول ، سوزان الفرنسية). وقد ترجمت هذه الرؤية الإدراك الواعي الّذي تحلى به الطاهر وطار في نظرته للآخر الأجنبي وكذا فهمه العميق لملابســـات العلاقات البشرية، بحيث أســـعفه في ذلك معرفته الحقيقية بالغرب وبمدنه وبحضارته، وببعض شخصياته .

– إذن – بدا الخــطاب السردي عند الطاهر وطار غنيا بالشــخصيات الأجنبية المعبّــرة عن أفكاره، ووجهات نظره المختلفة، مما سمى بشــخصياته عن الاجتــرار من أنموذج واحد، وتفادى بذلك مغبّة طرح نفس العــناصر الّتي ظهرت في التجارب الروائية الّتي تعامــلت مع الآخر الأجنبي محافظة على نمط واحد له.كما ساهم ذكر بعض العادات والتقاليد الأجنبية، وبعض المعلومات التاريخية عنه، والتسميات الحرفية لبعض مدنه وشوارعه، في إعطاء صورة حقيقية له، هي بمثابة وثيقة إناسية عن هذا الأجنبي.

إنّ الطاهر وطار لا يرفض الأجنبي لكونه أجنبي في حدا ذاته، وهذا ما أكدته مواقفه المتسامحة في أحلك الظروف بغض النظر عن الشخصيات الّتي كانت وليدة الافتعال (الشخصيات المرجعية).وإنّما يرفض الظلم الّذي لا ترضاه النفس الإنسانية مهما كانت أصولها، وانتماءاتها وهو ما يؤكده باستعارته لشخصيات أدبية، أو حقيقية قضت نحبها جراء ظلم، أو تزعزعت بناها النفسية نتيجة سوء فهم أو اضطهاد.

قائمة المصادر والمراجع

قائمـــــة المصـــــادر والمراجـــــع

- المصادر باللغة العربية:

ــ أبو العيد دودو: دار الثلاثة، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979.

ــ الطاهر وطار: العشق والموت في الزمن الحراشي، (د، ط)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.

ـــــــــــــ الشمعة والدهاليز، (د، ط)، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007.

ـــــــــــــ أراه، الحزب وحيد الخلية، دار الحاج موحند أونيس، (د، ط)، دار الحكمة، 2006 .

ـــــــــــــ الشهداء يعودون هذا الأسبوع، (د، ط) المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1984.

ـــــــــــــ اللاز،(د، ط)، موفم للنشر والتوزيع ،الجزائر، 2004.

ـــــــــــــ الولي الصالح يرفع يديه بالدعاء، (د، ط)، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر 2007.

ـــــــــــــ الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي، (د، ط)، موفم للنشر والتوزيع الجزائر، 2004 .

ـــــــــــــ الأعمال الروائية، المجلد الأول، وزارة الثقافة، 2010.

ـــــــــــــ الأعمال الروائية، المجلد الثاني، وزارة الثقافة، 2010 .

ـــــــــــــ الأعمال الروائية، المجلد الثالث، وزارة الثقافة، 2010.

ـــــــــــــــ عرس بغل، (د، ط)، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر،2007.

ـــــــــــــــ الزلزال، (د، ط)، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007.

ـــــــــــــــ الطعنات، ط3، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.

ـــــــــــــــ دخان من قلبي، (د، ط)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1982.

ـــــــــــــــ رمانة، (د، ط)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.

ـــــــــــــــ محضر جلسة جامعة الدول الزعبطيطية الأخيرة ،جريدة الخبر، الخميس 13 نوفمبر2008 .

ـــــــــــــــ يوم مشيت في جنازتي، (د، ط)، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، وحدة الرغاية، الجزائر، 2007.

ـ الطيب صالح : موسم الهجرة إلى الشمال، ط13، دار عودة، بيروت، 1981.

ـ عبد الحميد بن هدوقة:الأشعة السبعة، (د، ط)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1981.

ـ عثمان سعدي:تحت الجسر المعلق، (د، ط)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1980.

ـــــــــــــــ المرفوضون، (د، ط)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.

ـ علاوة وهبي جروة: باب الريح ،(د، ط)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1984.

ــ عمر بن قينة : مأوى جان دولان،(د، ط)، دار الأمة للنشر، 2004.

ــ محمد عرعار: ما لا تذروه الرياح، (د، ط)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1980.

ــ مرزاق بقطاش: طيور في الظهيرة، (د، ط)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1981.

-المصادر المترجمة :

ــ أسخيلوس: برمثيوس في الأغلال، (د، ط) ،ت إسحاق عبيد، مكتبة مدبولي،1991.

- المراجع باللغة العربية:

ــ إبراهيم عباس: الرواية المغاربية الجدلية التاريخية والواقع المعيش، دراسة في بنية المضمون، (د، ط)، منشورات أنيب، 2002.

ـــــــــــــ تقنيات البنية السردية في الرواية المغاربية:الطاهر وطار، عبد الله العروي محمد لعروسي المطوي، (د، ط)، منشورات المؤسسة الوطنية للاتصال، 2002.

ــأبو العيد دودو:الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان 1830- 1855، (د، ط)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989.

ـــــــــــــ دراسات أدبية مقارنة، (د، ط)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1991.

ــ أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1954، الجزء السادس، دار البصائر 2007.

ـــــــــــــــ تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1954،الجزء الثامن، دار البصائر، 2007.

ـ أبو الهيف عبد الله: القصة الحديثة والغرب، ط1، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق 1999.

ـ أبو نضال نضال: التحولات في الرواية العربية، ط1، المؤسسة العربية للدراسات، والنشر، بيروت، 2006.

ـ أحمد حمد النعيمي: إيقاع الزمن في الرواية العربية المعاصرة، (د، ط)، المؤسسة العربية للدارسات والنشر، بيروت، 2004 .

ـ أحمد شريبط: دراسات ومقالات في الأدب الجزائري، (د، ط)، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2003.

ـ أحمد شعث: شعرية السرد في الرواية العربية المعاصرة، ط1، مكتبة القادسية للنشر والتوزيع، حزيران، 2008.

ـ أحمد كمال زكي : الأساطير، ط1، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2002.

ـ أحمد منور: الجزائر في كتابات الأدباء الفرنسيين في القرن التاسع عشر، (د، ط) الجزائر عاصمة الثقافة العربية، 2007.

ـ إدريس بودبية :الرؤية والبنية في روايات الطاهر وطار، (د، ط)، الجزائر عاصمة الثقافة العربية، 2007.

ـ آمنة بعلي: المتخـــيل في الرواية الجـــزائرية من المتـــماثل إلى المختلف، (د، ط)، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، 2006.

ــ الحاج محجوبي عرابيي: دراسات في القصة الجزائرية المعاصرة، ط1، منشورات إبداع، 1993.

ــ الرشيد بوشعير : مساءلة النص الروائي في أعمال عبد الرحمان منيف ، دراسة في الرؤى والأشكال والتقنيات والأنماط والصور، (د، ط)، منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ، دمشق، 2004.

ــ بن الطاهر يحي: واقع المثقف الجزائري من خلال رواية تجربة في العشق للطاهر وطار، (د، ط)، منشورات التبيين ،الجاحظية، 2003.

ــ بن ساعد قلولي: مقالات في حداثة النص الجزائري، (د، ط)، اتحاد الكتاب الجزائريين الجزائر،2005 .

ــ جان جبور: النظرة إلى الآخر في الخطاب الغربي من سيطرة الهواجس إلى هواجس السيطرة، ط1، دار النهار، تشرين الأول، 2001.

ــ جعفر يايوش:الأدب الجزائري الحديث التجربة والمآل، (د، ط)، مطبعة وهران، 2006.

ــ جورج طرابيشي : شرق وغرب، رجولة وأنوثة، دراسة في أزمة الجنس والحضارة في الرواية العربية، ط4، دار الطليعة، بيروت، 1998.

ـــــــــــــ هرطقات عن الديمقراطية والعلمانية والحداثة والممانعة العربية، ط1 رابطة العقلانيين العرب، 2006.

ــ حسن بحراوي : بنية الشكل الروائي، ط1 ،الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي (د.ت).

ــ حسن حنفي: مقدمة في علم الاستغراب، (د، ط)، الدار الفنية، 1411-1991.

ــ حسن خمري: فضاء المتخيل، مقاربات في الرواية، ط1، منشورات الاختلاف، 2002.

ــ حسين أبو النجا: اليهودي في الرواية الفلسطينية ،ط1، منشورات رابطة إبداع الوطنية 2002.

ــ حميد لحمداني: الرواية المغاربية بين الأنا والآخر، البحث عن الهوية القومية في الأدب العربي، (د، ط)، معهد البحوث والدارسات العربية، 1999 .

ـــــــــــــ النقد الروائي والإيديولوجي من سوسيولوجيا الرواية إلى سوسيولوجيا النص الروائي، (د، ط)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب.(د.ت)

ــ داود سلوم : الشخصية العربية في روايات أمريكا اللاتينية، (د، ط)، دار الجيل بيروت، 1981.

ــ رزان محمود إبراهيم : خطاب النهضة والتّقدم في الرواية العربية، مؤسسة الوحدة العربية، بيروت، 2006.

ــ زكريا إبراهيم : مشكلة الحياة ، ط1، دار مصر للطباعة والنشر، القاهرة، 1971.

ــ سالم يفوت:الزمان التاريخي من التاريخ الكلي إلى التواريخ الفعلية، ط1، دار الطليعة بيروت ،1991.

ــ سعاد محمد خضر:الأدب الجزائري المعاصر، (د،ط)، منشورات المكتبة العصرية صيدا، بيروت، 1967.

ــ سعيد بن سعيد العلوي: أوربا في مرآة الرحلة، صورة الآخر في أدب الرحلة المغربية المعاصرة، ط1، منشورات كلية آداب بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء

.1995-1415

ـ سعيد علوش: الرواية والأيديولوجية في المغرب العربي، ط1، دار الكلمة للنشر 1981.

ـــــــــــــ إشكالية التيارات والتأثيرات الأدبية في الوطن العربي دراسة مقارنة، ط1 المركز الثقافي لعربي، الدار البيضاء، 1406-1986.

ـ سماح رافع محمد: المذاهب الفلسفية المعاصرة، ط1، مكتبة مدبولي ، 1973.

ـ سمر روحي الفيصل:الرواية العربية، البناء والرؤيا،(د، ط) ،اتحاد الكتب العرب، دمشق 2003.

ـ سهيل فرح:أليغ كولوبوف، حوار الحضارات، المعنى والأفكار والتقنيات، ط1،منشورات دار علاء الدين، سورية، دمشق، 2008.

ـ سيزا قاسم وجماعة من الباحثين: جماليات المكان، ط3، دار قرطبة، 1988 .

ـ شمس الدين الكيلاني: الآخر في الثقافة العربية، صورة الشعوب السوداء عند العرب في العصر الوسيط، (د، ط)، منشورات الهيئة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق، 2008.

ـ صالح فركوس: المختصر في تاريخ الجزائر من عهد الفينيقين إلى خروج الفرنسيين (814.ق.م.1962م)،(د، ط)، دار العلوم للنشر والتوزيع، عنابة، 2003/2002.

ـ صلاح فضل: سرد الآخر، الأنا والآخر عبر اللغة السردية، ط1، المركز الثقافي العربي 2003.

ـ عامر مخلوف: تجارب قصيرة وقضايا كبيرة، مقالات نقدية،(د، ط) المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.

ـــــــــــــ توظيف التراث في الرواية الجزائرية(بحث في الرواية المكتوبة بالعربية) ط1 ، منشورات دار الأديب ، 2005

ـ عبد الإله بلقزيز: الاحتلال الأمريكي للعراق، صوره ومصائره، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، 2006.

ـ عبد الرحمن بشير: اليهود في المغرب العرب (22-462 ه/642-1070م)، ط1، عين للدارسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، 2001.

ـ عبد السلام المسدي: اللسانيات وأسسها المعرفية، (د، ط)، الدار التونسية للنشر والتوزيع 1986.

ـ عبد الصمد زايد: المكان في الرواية العربية، الصورة والدلالة، ط1، دار محمد علي للنشر، 2003.

ـ عبد العاطي شلبي: فنون الأدب الحديث (بين الأدب العربي والأدب الغربي)، ط1 المكتب الجامعي الحديث، 2005.

ـ عبد العزيز بوباكير:الأدب الجزائري في مرآة استشراقية، (د، ط)، دار القصبة للنشر 2002.

ـ عبد العزيز شرف: المقاومة في الأدب الجزائري المعاصر، ط1، دار الجيل، بيروت 1991 .

ـ عبد القادر شرشار: خصائص الخطاب الأدبي في رواية الصراع العربي الصهيوني ط1، دراسة تحليلية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت تشرين الأول، أكتوبر، 2005.

ـــ عبد القادر طاش :صورة الإسلام في الإعلام الغربي، ط2، الزهراء للإعلام العربي 1993.

ـــ عبد الله الركيبي: الجزائر في عيون الرحالين الانجليز، الجزء الأول، دار الحكمة . 1999

ـــ عبد المالك مرتاض: نظرية النص الأدبي،(د، ط)، دار هومة للطباعة والنـــشر والتوزيع، الجزائر، 2007.

ـــ عبد المجيد حنون: صورة الفرنسي في الرواية المغربية، (د، ط)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1988.

ـــ عفيف البهنسي: الهوية الثقافية بين العالمية والعولمة،(د، ط)، الهيئة العالمية السورية للكتاب، 2009.

ـــ علي ملاحي:هكذا تكلم الطاهر وطار، المقام النقدي الأول، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع, الجزائر، 2011/1432.

ـــــــــــــ هكذا تكلم الطاهر وطار، المقام النقدي الثالث، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع, الجزائر، 2011/1432.

ـــــــــــــ هكذا تكلم الطاهر وطار، المقام النقدي الرابع, مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع , الجزائر، 2011/1432.

ـــ عمر بن قينة: الشكل والصورة في الرحلة الجزائرية الحديثة، ط1، شركة دار الأمة للطباعة والترجمة والنشر والتوزيع ، ماي1995.

ـــــــــــــ في الأدب الجزائري الحديث تاريخا وأنواعا وقضايا وأعلاما، (د، ط) ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995.

ـ عيسى عطاشي: صورة الصحراء في أدب الرحلة الفرنسي أوجين فرومنتين، (د، ط) مؤسسة الحياة الصحافة، الجلفة الجزائر، 2007.

ـ غريغوار منصور لمرشو، محمد صادق الحسني: نحن والآخر، ط1، دار الفكر، دمشق رجب 1422ايلول (سبتمبر)، 2001.

ـ فاطمة المزروعي : تمثيلات الآخر في أدب قبل الإسلام، ط1، أبو ظبي للثقافة والتراث المجمع الثقافي،2007.

ـ فيصل دراج: الرواية و تأويل التاريخ ،نظرية الرواية العربية،ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2004.

ـ كامل سعفان : معتقدات آسيوية (العراق –فارس– الهند– الصين– اليابان)، ط1، دار الندى 1419–1999.

ـ لينة عوض : تجربة الطاهر وطار الروائية، بين الأيدولوجيا وجماليات الرواية، (د، ط) منشورات أمانة عمان الكبرى، 2004.

ـ ماجدة حمود:مقاربات تطبيقية في الأدب المقارن،(د،ط)، منشورات اتحاد الكتاب العرب دمشق، 1997.

ـ مارلين نصر:صورة العرب والإسلام في الكتب المدرسية الفرنسية، ط1،مركز دراسات الوحدة العربية، 1995.

ــ محمد الجابري :العروبة والإسلام والغرب، ط3، مركز دراسات الوحدة العربية، يناير 2006.

ــ محمد بشير بويجرة: الشخصية في الرواية الجــزائرية 1970-1973،(د، ط)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1986.

ـــــــــــــ بنية الزمن في الخطاب الروائي الجزائري ،جماليات وإشكاليات الإبداع (1970-1980)، الجزء الثاني، دار الغرب للنشر والتوزيع ،2001-2002.

ــ محمد خير البقاعي:دراسات في النص والتناصية، ط1، مركز الإنماء الحضاري، حلب 1998.

ــ محمد راتب الحلاق: نحن والآخر، دراسة في بعض الــثنائيات المتــداولة في الفكر العربي الحديث والمعاصر، (د، ط)، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1997.

ــ محمد ضياء الرحمن الأعظمي:دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند، ط2، مكتبة الرشيد،2003.

ــ محمد غنيمي هلال: الأدب المقارن، ط 1، دار العودة، بيروت، 1983.

ــ محمد مصايف: الرواية العربية الجزائرية بين الواقعية والالتزام، (د، ط)، الدار العربية للكتاب، 1983.

ــ محمد نور الدين أفاية:الغرب في المتخيل العربي،ط1 ،منشورات دائرة الثقافة والإعلام الشارقة، 1996.

ــ محمود أمين العالم: الفكر العربي بين الخصوصية والكونية، ط2، دار المستقبل العربي

.1988

ــ محمود أمين العالم، يمنى العيد، نبيل سليمان: الرواية العربية بين الواقع والإيديولوجية ط1، دار الحوار للنشر والتوزيع، سورية، 1981.

ــ مصطفى عبد الغني: قضايا الرواية العربية، ط1، الدار المصرية اللبنانية، رمضان يناير، 1999.

ــ مناد طالب : الفكر السياسي عند سارتر وعلاقته بالثورة الجزائرية، (د، ط)، دراسة تحليلية، دار الخطاب، 2007.

ــ مها حسن القصراوي: الزمن في الرواية العربية، ط1، المؤسسة العربية للدارسات والنشر، 2004.

ــ نادر كاظم: تمثيلات الآخر، صورة السود في المتخيل العربي الوسيط، ط1، المؤسسة العربية للدارسات والنشر، 2004.

ــ نجم عبد الله كاظم: الرواية العربية المعاصرة والآخر، دراسات أدبية مقارنة، ط1، عالم الكتاب الحديث، الأردن، 1427-2007.

ــ نصر الدين سعوني:الجزائر منطلقات وآفاق، مقاربة للواقع الجــزائري من خلال قضايا ومفاهيم تاريخية، ط1، دار الغرب الإسلامي، 2000.

ــ نصار ناصيف: الإيديولوجية على المحك، ط1، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت .1994

ــ واسيني الأعرج: الطاهر وطار، تجربة الكتابة الواقعية، الرواية نموذجا، دراسة نقدية

(د، ط)، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1989.

ــ يس السيد: الشخصية العربية من صورة الذات ومفهوم الآخر، ط1، مكتبة مدبولي 1993.

-المراجع المترجمة :

ــ إدوارد سعيد:الاستشراق، المفاهيم الغربية للشرق، ت محمد عناني، ط1، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، 1996.

ــ آلان روب جربيه : نحو رواية جديدة، ت الدكتورة مصطفى إبراهيم مصطفى، تقديم الدكتور لويس عوض، دار المعارف المصرية، (د،ت).

ــ ألبير شويترر: فكر الهند (كبار مفكري الهند ومذاهبهم على مر العصور)، ت يوسف شلبي، ط1، دار طلاس للدارسات والترجمة والنشر،2000.

ــ ألبير ميمي: صورة المستعمر، ت ميشال سطوف، مراجعة وإشراف سمير سطوف (د، ط)، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007.

ــ أليكسي لوسيف: فلسفة الأسطورة، ت منذر بدر حلوم، ط1، دار الحوار للنشر والتوزيع سورية، 2000.

ــ إيغور كون :البحث عن الذات، دراسة في الشخصية ووعي الذات،ت الدكتور غسان نصر،(د، ط)، منشورات دار معد للنشر والتوزيع دمشق ،1992.

ــ بول ريكور: الذات عينها كآخر، ترجمة وتقديم وتعليق د جورج زيناتي، ط1 ،مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ، تشرين الثاني(نوفمبر)،2005.

ـــــــــــــ الزمان والسرد المروي، ترجمة سعيد الغانمي، راجعه عن الفرنسية الدكتور جورج زيناتي، ط1، دار الكتاب الجديدة المتحدة الأولى، كانون الأول / يناير 2006.

ــ بير برونيل، كلود بيشو، أندري ميشال روسو:، ما الأدب المقارن، ترجمة غسان السيد (د، ط)، منشورات دار علاء الدين، (د، ت).

ــ جان إيفا تاديه: الرواية في القرن العشرين، ترجمة وتقديم د محمد خير البقاعي، (د، ط) الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1998 .

ــ جان بيرو: اللسانيات، ت الحواس مسعودي، مفتاح بن عروس، (د، ط)، دار الأفاق 2001.

ــ جورج لوكا تش:الرواية التاريخية، ت صالح جواد الكاظم، (د، ط) المجلس الأعلى للثقافة، 2005.

ــ جوليا كريستيفا : علم النص، ت فريد الزاهي،م عبد الجليل ناظم، ط1، دار توبقال للنشر الدار البيضاء، المغرب،1991 .

ــ دانيل هنري باجو: الأدب المقارن العام، ت غسان السيد، (د، ط)، اتحاد الكتاب العرب 1997

ــ رنا قباني: أساطير أوربا عن الشرق، ت صباح قباني، ط3، دار طلاس للدارسات والترجمة والنشر، دمشق، 1993.

ــ رينيه ويليك، أوستن وارين: نظرية الأدب، ت محي الدين صبحي، مراجعة حسام

الخطيب، ط2، المؤسسة العربية للدارسات والنشر، بيروت ،1981 .

ــ غاستون باشلار: جدلية الزمن، ترجمة خليل أحمد ، ط3 ،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت ، 1992.

ـــــــــــــــ جماليات المكان ، ترجمة غالب هلسا ،ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت ، 1987.

ــ غاستون بوتول : ظاهرة الحرب ، ترجمة رمسيس يونان ،ط1، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2007 .

ــ فان تغيم الأدب المقارن: تعريب سامي الدروبي،(د، ط)، منشورات المكتبة العصرية صيدا، بيروت، (د.ت).

ــ فرانز فانون:معذبو الأرض، ترجمة الدكتور سامي الدروبي، مراجعة الأستاذ عبد القادر بوزيدة، ط1، منشورات أنيب، 2004.

ــ ماريوس فرانسوا غويار:الأدب المقارن، ترجمة هنري زغيب، ط2، منشورات عويدات بيروت –باريس، 1988.

ــ ميخائيل باختين: الكلمة في الرواية، ترجمة يوسف حلاق، (د، ط)، منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية، دمشق، 1988.

ــ ميشال بوتور: بحوث في الرواية الجديدة ، ترجمة فريد أنطو نيوس، ط3، منشورات عويدات، بيروت – باريس، 1982.

ــ ناجي غويجان : تطور صورة الشرق في الأدب الإنجليزي،ط1 ، ترجمة تالا الصباغ

مراجعة سعود المولى، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ،حزيران، 2008.

- المراجع بالأجنبية:

Mohamed Daoud: le roman algérien de langue arabe lectures، critiques،centre de recherche en anthropologie sociale et culturelle,2002.

1-w.shakespare: maktabth ،dar wa Macbeth al hilal، dar al Bihar ،Beirut، Lebanon، 2005.

_____ Hamlet، dar wa Macbeth al hilal، dar al Bihar ،Beirut، Lebanon، 2005.

_____ othello، : dar wa Macbeth al hilal، dar al Bihar ،Beirut، Lebanon، 2005.

- الرسائل الجامعية:

ــ أحلام صغور:واقع الدراسات المقارنة في المغربي العربي، دكتوراه، مخطوط، جامعة وهران ، 2008-2009.

ــ الطاهر رواينة: اتجاهات الرواية العربية في بلدان المغرب العربي، تونس، الجزائر المغرب 1945-1975، ماجستير، مخطوط، كلية عين الشمس، 1985-1986.

ــ جمال مباركي: الغرب في الرواية العربية، دكتوراه، مخطوط، جامعة باتنة،2008-2009.

ــ سعيدة هوارة: الواقعية عند الطاهر وطار وعبد الحميد بن هدوقة، ماجستير، مخطوط جامعة الجزائر ، 1985.

ــ عبد القادر توزان: الجزائر في أدب ألبير كامو، ماجستير، مخطوط ،مجلس كلية الآداب بغداد، 1980.

ــ عبد القادر شريف حسني : الخصائص السردية في رواية الولي الطاهر يعود إلى مقامه

الزكي، ماجستير، مخطوط،، كلية الآداب واللغات والفنون ،وهران.

ــ عبد القادر ميسوم:رؤية الآخر في الخطاب الروائي لأحلام مستغانمي ماجستير، مخطوط جامعة وهران، 2004-2005.

ــ عيسى برهميات: الحرب في الرواية العربية، دكتوراه، مخطوط، جامعة وهران 2002-2003.

ــ فاطمة قسول: اشتغال المتعلق به في النص السردي الولي الطاهر يرفع يديه بالدعاء للطاهر وطار نموذجا، ماجستير،مخطوط، جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف، 2008-2009.

ــ مليكة سعدي: تجليات الآخر في رويتي الصبار وعباد الشمس، لسحر خليفة ماجستير مخطوط ، جامعة وهران،2005.

ــ هوارية مغربي: صورة العربي بين فرانتس كافكا وألبير كامي،ماجستير، مخطوط جامعة وهران، 2003-2004.

ــ ياقوت بلحر: تمظهر الآخر في رواية سيدة المقام لواسيني الأعرج، ماجستير،مخطوط جامعة وهران، 2005.

-المجلات والدوريات:

ــ أحمد سيف الدين : صورة المرأة الأوربية في روايات د. شكيب الجابري، مجلة جامعة دمشق، المجلد 18 ، العدد الأول، 2002.

ــ أحمد شريبط: بنية الفضاء في رواية (غدا يوم جديد)، مجلة الثقافة، العدد115، 1997.

ــ الطاهر روانية :الكتابة وإشكالية المعنى قراءة في بنية التفكك في رواية تجربة في العشق للطاهر وطار، التبيين، العدد 6، 1993.

ــ إميل حبيبي: الطاهر وطار، في حوار فكري، مجلة التبيين، العدد 11، 1997.

ــ بن جمعة بوشوشة : مراجع الكتابة الروائية في المغرب العربي ،الآداب، ع2، جامعة قسنطينة، 1995.

ــ بومدين الجيلالي: اهتمامات الأدب المقارن في الجزائر، مجلة التبيين، عدد 29-2008.

ــ جاكلين الزعيم : اللاز لبنة في صرح الرواية الجزائرية المعاصرة، المعرفة، العدد 180، وزارة الثقافة، نيسان ابريل، 1976 .

ــ جمال شحيد: صورة الآخر في رواية العربية، الآداب الأجنبية 101-102، السنة الخامسة والعشرون، شتاء وربيع، 2000.

ــ دبي كوكس : روايات الطاهر وطار بين خطاب السلطة والنقد الاجتماعي، ترجمة بوعلي كحال، التبيين، العدد 16، سنة 2000.

ــ لؤي حمزة عباس: صورة الآخر في الخطاب القصصي العربي القصير، ثقافات، العدد 12/11، كلية الآداب، جامعة البحرين، 2004.

ــ مازن دويكات: الطاهر وطار في ملتقى بلاطة الثقافي، التبيين، العدد24 ، سنة 2005.

ـــ منير الأصبحي: صورة العرب في الخروج وروايات أخرى، المعرفة العدد 157 ، آذار مارس، 1975.

الخـــــاتـــــمة

الفـــهـــــــرس

الموضوع الصفحة

المقدمة ..... أ-خ

الفصل الأول:دراسة الصـــورة الأدبية المقارنة ومرجعيات الكتـــابة عند الطـــاهر وطار..... 01

المبحث الأول: الصورة الأدبية المقارنة.....01

1-ماهيتها 01

2-مواطنها.....03

3-اتجاهاتها ومنهجية الدراسة بها 04

أ- صورة بلد كما يصوره أدب آخر.....04

ب- صورة بلد كما يصوره مؤلف من أمة أخرى.....05

المبحث الثاني: واقع دراسة الصورة الأدبية المقارنة بالجزائر.....05

1-في الدراسات النقدية الأدبية.....06

أ- العناوين الفرعية.....06

ب- العناوين الخاصة.....13

2- في الإطار الأكاديمي 21

أ- رسائل الدكتوراه.....22

ب- رسائل الماجستير.....23

المبحـــث الثـــالث:الحـــضور الأجنبي فـــي الخـــطاب القصـــصي والروائـــي الجزائري..... 29

1- تمثل العرب للغرب في الرواية العربية 29

2- سبل تمثل العرب للغرب واتجاهاته:.....30

3- الشخصيات الأجنبية في القصة والرواية الجزائرية.....31

المبحث الرابع :مرجعيات الكتابة عند الطاهر وطار.....36

1-المعايشة.....36

2- السماع والمشاهدة.....37

3-القراءة والترجمة.....37

الفصل الثاني : صورة الشخصيات الأجنبية الذكورية 42

المبحث الأول: الشخصيات العسكرية.....42

1-القبطان..... 42

أ-في قصة محو العار.....42

ب- في رواية اللاز 45

ج - في رواية العشق والموت في الزمن الحراشي 46

2- الضابط 48

أ- في رواية اللاز.....48

ب- في رواية الشمعة والدهاليز 56

3- الجندي 61

أ- في قصة محو العار 61

ب- في قصة من يوميات فدائي. 62

ج- قي رواية اللاز 62

د- الجنود عامة 64

4- الدركي ومدير السجن 67

أ- قي قصة محو العار 68

ب-في رواية العشق والموت في الزمن الحراشي.....68

المبحث الثاني: الشخصيات الأجنبية السياسية.....75

1-الحاكم.....75

أ- في رواية العشق والموت في الزمن الحراشي 75

2- الرئيس 77

أ- في رواية تجربة في العشق 77

ب- في رواية الولي الصالح يرفع يديه بالدعاء 77

ج- في قصة محضر جلسة جامعة الدول الزعبطيطية الأخيرة.....78

3-رئيس الوزراء 79

أ- في رواية العشق والموت في الزمن الحراشي 79

ب- في رواية الولي الصالح يرفع يده بالدعاء 79

المبحث الثالث: الشخصيات الأجنبية المدنية.....82

1-رجل التعليم 82

أ- في رواية الشمعة والدهاليز 82

2- رجل القضاء 90

أ-في رواية العشق والموت في الزمن الحراشي..... 90

3- المعمر.....91

أ- في رواية اللاز 91

ب- في رواية الزلزال 93

ج- في رواية الشمعة والدهاليز 93

4- الأجانب عامة 96

أ- في قصة جارتنا الملكة.....96

ب-في رواية العشق والموت في الزمن الحراشي 96

ج- في رواية تجربة في العشق 96

د- في رواية الولي الصالح يرفع يده بالدعاء.....96

الفصل الثالث : صورة الشخصيات الأجنبية الأنثوية.....107

المبحث الأول : اللقاء داخل الوطن.....107

1-العجوز 107

أ- في قصة محو العار 107

ب- في قصة الرسالة 110

2- الزوجة 110

أ- في قصة رمانة 110

ب- في رواية الزلزال.....111

3- الفتاة 116

أ- في رواية الشمعة والدهاليز 116

4- العاهرة.....117

أ- في رواية الولي الصالح يرفع يده بالدعاء 117

المبحث الثاني: اللقاء خارج الوطن..... 142

1-الحبيبة.....142

أ- في قصة جارتنا الملكة.....119

ب- في رواية عرس بغل.....122

ج- في رواية تجربة في العشق 122

2-الفتاة.....131

أ-في قصة جارتنا الملكة.....131

3- العجوز.....131

أ- في قصة جارتنا الملكة.....131

4-الزوجة 132

أ-في رواية اللاز.....132

5-العاهرة :.....137

أ- في رواية تجربة في العشق.....137

المبحث الثالث : خارج اللقاءين.....142

1-الحببية 142

أ- في رواية العشق والموت في الزمن الحراشي 142

2- السيدة.....144

أ- في رواية الولي الصالح يرفع يده بالدعاء 144

ب- في قصة محضر جلسة جامعة الدول الزعبطيطية الأخيرة.....146

الفصل الرابع : الأجنبي من خلال المعجم والفضاء المكاني والزماني والتعابير الثقافية.....154

المبحث الأول: المعجم.....154

1-الأجنبي والمعجم.....154

2- الكلمات الدالة على الأجنبي بلغة الأنا.....154

أ -الصفات 155

ب- الأفعال 159

3-الكلمات الدالة على الأجنبي بلغة الأجنبي.....161

أ- في الخطاب القصصي 161

ب- في الخطاب الروائي 165

المبحث الثاني: الفضاء المكاني.....170

1-دراسة المكان في العمل الروائي.....170

2- الفضاء الأجنبي الكائن داخل أرض الوطن.....171

أ- الفضاء الأجنبي العسكري.....171

ب- الفضاء الأجنبي الديني.....174

ج- الفضاء الأجنبي الثقافي.....174

3- الفضاء الأجنبي الكائن خارج أرض الوطن.....175

أ-الفضاء المتعدد والمعادي.....175

ب-الفضاء الصديق.....178

ج- الفضاء المحايد.....180

المبحث الرابع: الفضاء الزماني.....182

1-الزمن في الرواية وصلته بالأجنبي..... 182

2-الماضي.....184

أ- الماضي القريب.....184

ب- الماضي البعيد..... 188

3- الحاضر 191

4- المستقبل المرتجى.....191

المبحث الرابع : التّعابير الثقافية.....197

1-الدّين.....197

أ- الديانة المسيحية 197

ب-الديانة الهندية.....198

ج الديانة اليهودية.....200

2- العادات والتقاليد.....200

أ- البيوت الأجنبية 200

ب- النظم الحياتية 201

ج- الاحتفالات والأعياد.....202

3- التّناص الأجنبي.....202

أ- التّناص الأسطوري.....202

ب-التّناص الأدبي 207

ج- التّناص الإيديولوجي والفلسفي.....211

الخاتمة 214

قائمة المصادر والمراجع 221

الفهرس.....240